بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة أم القـــــرى
كلية التربية بمكة المكرمـــة
الدراسات العليا

نموذج رقم (٨) *

اجازة أطروحة علمية فى صيغتها النهائيــــة
بعد اجراء التعديلات المطلوبـــة

الاسم رباعـــي : حسين عبد الله حسين بانبيله — القسم : التربيه الاسلاميه والمقارنه

الدرجة العلمية : ماجستير — التخصص : تربيه اسلاميه

عنوان الاطروحـــة : بعض القيم والاساليب التربويه المستنبطه من خطب المصطفي صلي الله عليه وسلم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد ،،

فبناء على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الاطروحة المذكورة عاليه والتى تمت مناقشتها بتاريخ ١٨/ ١١/ ١٤٠٨هـ بقبول الاطروحة بعد اجراء التعديلات المطلوبة ، وحيث قد تم عمل اللازم ٠

فان اللجنة توصى باجازة الاطروحة فى صيغتها النهائية المرفقة كمتطلب تكميلى للدرجة العلمية المذكورة أعلاه والله الموفق ٠

أعضاء اللجنة

المشرف	مناقش من القسم	مناقش من خارج القسم
الاسم : د ٠ نجم الدين عبد الغفور الانديجاني	د ٠ محروس سيد مرسي	د ٠ الشريف منصور العبدلي
التوقيع :		

رئيس قسم التربية الاسلامية والمقارنـــة

د ٠ نجم الدين عبد الغفور الانديجاني

* يوضع هذا النموذج أمام الصفحة المقابلة لصفحة عنوان الاطروحة فى كل نسخة

المملكة العربية السعودية
جامعة أم القرى
مكة المكرمة
كلية التربية
فرع التربية الإسلامية والمقارنة

بعض القيم والأساليب التربوية المستنبطة من خطب المصطفى صلى الله عليه وسلم

إعداد الطالب

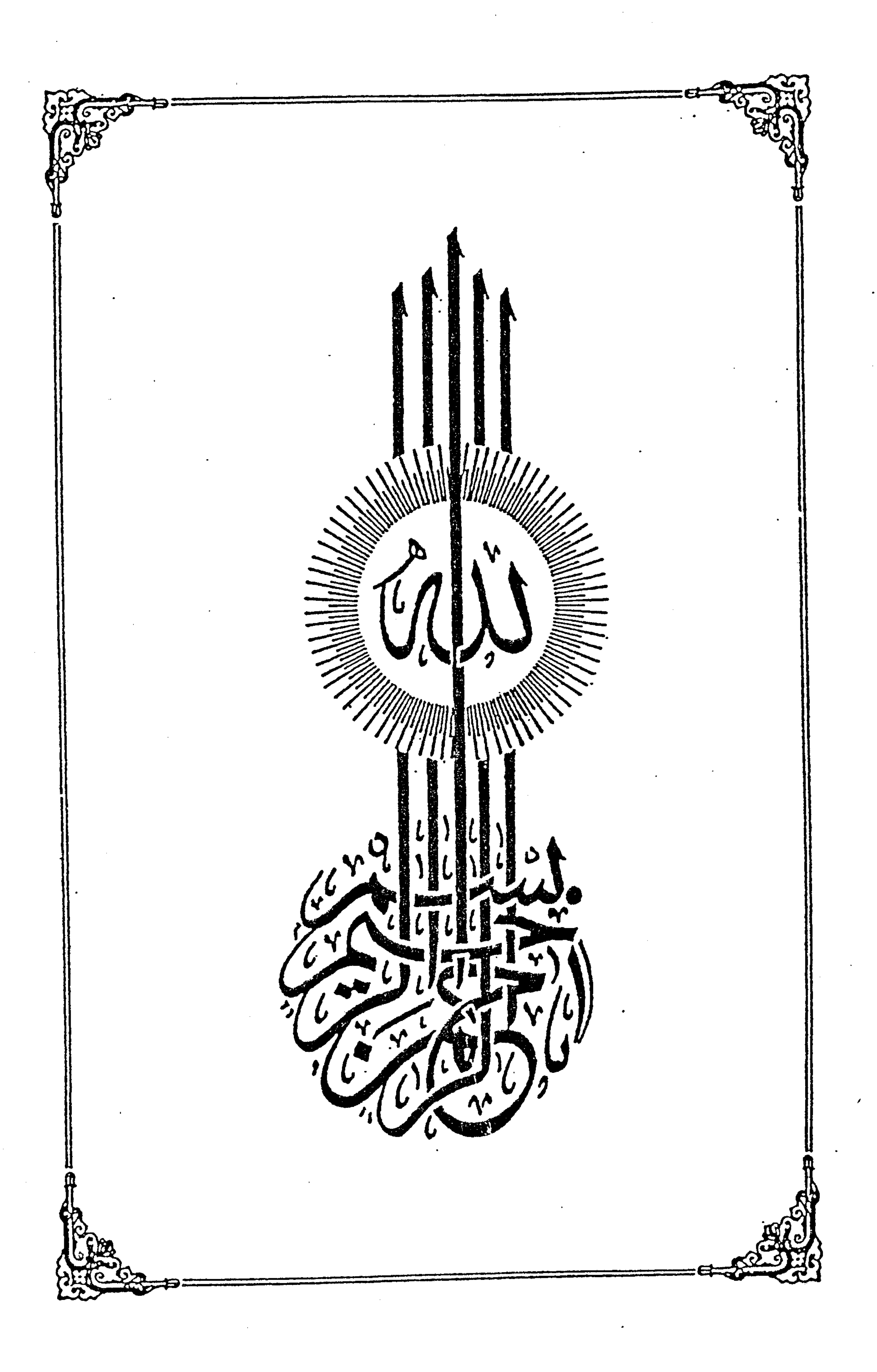
حسين عبدالله حسين بانبيلة

إشراف الدكتور

نجم الدين عبد الغفور جان الأنديجاني

دراسة مقدمة إلى قسم التربية الإسلامية والمقارنة في كلية التربية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة كمتطلب تكميلي لنيل درجة الماجستير في التربية الإسلامية والمقارنة

الفصل الدراسي الثاني ١٤٠٨هـ


بسم الله الرحمن الرحيم

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سُورَةِ الأَنبِيَاءِ : ١٠٧

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ

١٣٨٨

بسم الله الرحمـــن الرحـــيم

عنوان البحـث : بعض القيم والأساليب التربوية المستنبطة من خطب المصطفى ﷺ

اسـم الباحث : حـــسين عبدالله حسين بانبيلــــــه .

تهتم التربية بالقيم لتنشئة الفرد تنشئة تربوية متكاملة وتكون بالتالي مرتكزا في انماط السلوك عند الفرد والمجتمع وفق المنهج الايماني في الحياة.

وحياتنا المعاصرة تفتقد ـ بقدر من التفاوت ـ بعض هذه القيم مما يبعد تربيتنا بالتالي عن المحجـة البيضاء التى رسمها لنا القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

من هنا تبدو حاجتنا وحاجة أطفالنا وناشئتنا الى التمسك بالقيم النابعة من ديننا الحنيف الذى ارتضاه رب العالمين لنا دينا نتعبده به ، وسلوكا ومنهجا للحياة نسير عليهما .

ومن ثم اتجهت هذه الدراسة الى استنباط بعض القيم التربوية والأساليب من خطـــب المصطفى ﷺ في جيل أصحابه وهم القدوة والأســوة. وقد تضمنت الدراسة :

ـ الفصل التمهيدى : ويشتمل على خطة البحث ومبرراته وأهدافه .

ـ الفصل الأول : ويشتمل على تعريف للخطبة ، ومكانتها الاجتماعية ، وأنماطها مـع ذكر أهداف الخطب النبوية ، ودورها في التربيـــــة.

ـ الفصل الثاني : حدد معنى القيم لغة واصطلاحا ، كما أظهر العلاقة بين القيم والتربية على ضـوء الشريعــة ، وأبرز خصائص القيم الاسلاميــــة.

الفصل الثالث : وضح المنهج في الحصول على الخطب النبوية من مصادرها التى حـددت ، والقيم التى استخلصـت

ـ الفصل الرابع : ناقش أساليب التربية المستنبطة من خطب المصطفى ﷺ

هـذا وقـد أمكن استخلاص النتائج التاليــــة :

١ـ دور القيم في التربية لبناء الشخصية المسلمة البعيدة عن الانحرافات.

٢ـ ثبات القيم الاسلاميـة فهي ترتبط بمرتكزات المفهوم الاسلامي للشريعة فرديا واجتماعيا .

كما خلصت الي التوصيات الآتيـــــــة :

أ/ ابراز أهمية ودور العقيدة الايمانية في البرامج التعليمية.

ب/ تحديد مسئولية المربين بصفتهم القـدوة والأســوة في المجتمع.

جـ/ أن القيم الاسلامية تصحح من المسار الحضارى للفرد والمجتمع وفق رؤية ايمانية متكاملة.

ربنا هب لنا من لدنك رحمة ، وهيء لنا من أمرنا رشــدا



اهداء

الى روح أمي الغالية التي كانت - ومنذ اكثر من اربعين عاماً - تدفعني الى العلم والتعلم، والحصول على أكبر قدر من المعرفة والعلم والثقافة ... فعليها شآبيب الرحمة والرضوان ... وأسأله ان يجمعني بها في مستقر رحمته.

الى روح أبي الغالية ... الذي كان يحفر في الصخر - منذ اكثر من اربعين عاماً - لتوفير مقومات الحياة الأساسية في زمن عز فيه ذلك، فكان كفاحاً وجهاداً يعرفه من عاشه واقعاً ملموساً، لا اسطورة مكتوبة ... فعليه من الله الرحمة والرضوان ... وأسأله ان يجمعني به في مستقر رحمته.

شكر وعرفان وتقدير

قال تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ سورة الأحقاف

قال المصطفى ﷺ : (من لم يشكر الناس لم يشكر الله) رواه الترمذي (١)

وانطلاقا من هذا المبدإ الاسلامي الكريم ، فإنه من دواعي سروري أن أتقدم بالشكر والتقدير، والعرفان بالجميل إلى :

ـ أستاذي سعادة الدكتور/ نجم الدين عبدالغفور جان / رئيس قسم التربية الاسلامية والمقارنة/ الذي أعطاني كل وقته ، وبذل معي جهدًا يذكر فيشكر ولا ينكر ، وتوجيهًا سيبقى أثره في نفسي ، فقد كان لإشرافه على هذه الدراسة بصمات واضحة ، فجزاه اللهُ عني خيرَ الجزاء، ووفقه لما يحبه ويرضاه .

ـ سعادة الدكتور/ الشريف منصور العبدلي / رئيس قسم الكتاب والسنة في كلية الدعوة وأصول الدين / وسعادة الدكتور/ محروس سيد مرسي عضو هيئة التدريس بقسم التربية الاسلامية والمقارنة/ وهما أعضاء لجنة المناقشة اللذين تفضلا بالموافقة على مناقشتي في هذه الدراسة ، فجزاهما الله عني كل خير ..

ـ شيخي ومعلمي الدكتور/ عبدالله علي أحمد حافظ/ المدرس بمدرسة مكة الثانوية/والذي تتلمذت على يديه في مراحل تعليمي الأولى داعيا له الله سبحانه وتعالى بالصحة والسعادة، وأن يبارك له في عمره وأولاده .

١ـ السنن، حديث رقم ١٥٩٣ ، بتحقيق : الألباني .

ـ أخي وزميلي سعادة الأستاذ / عبدالله مبارك باحاوي / مدير مدرسة مكة الثانوية / الذي لولا مساعدته / بعد عون الله عز وجل وحسن توفيقه / لما كان لهذا العمل أن ينجز ، فله مني كل الشكر والتقدير .

ـ سعادة الدكتور / ميسرة كايد طاهر / عضو هيئة التدريس بقسم علم النفس بالكلية / والذي ساعدني وأمدني بكثير من المصادر والمراجع التي ساعدتني على اظهار هذه الدراسة بهذا الشكل ، فله شكري وتقديري .

ـ وأخيرا فانني لن أنسى زوجتي وشريكة حياتي ؛ فأتوجه إليها بخالص شكري وتقديري ، فقد تحملت من المشاق النفسية والجسمية الكثير ، فكان لها فضل المؤازرة والتشجيع ، مما ساعد على إتمام هذه الدراسة بهذه الصورة

قائمـــــة المحتويــــات

الفصـــــل الثـــالــــــث

الفصل التمهيدي

١- المقدمة
٢- أهمية البحث
٣- مشكلة البحث وتساؤلاته
٤- أهداف البحث
٥- حدود البحث
٦- منهج البحث
٧- الدراسات والبحوث السابقة
٨- مصطلحات البحث

(١) المقــــدمـة

الحمـــــدلله رب العــــــالمين القائل فـــي محكـم التنزيل ((هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾)) (١) ، والصـلاة والسـلام عـلى سيد ولد آدم القائل : (... أنا محمـد النـبي الأمـي ... ولا نبي بعـدى .. أوتيت فـواتح الـكلم وجوامعه) (٢) وبعـــد :ــ

فعلى فترة مـن الـرسل ، وانحسـار في اتصال السمـاء بالارض، طـرأت الغفـوة، وتفاقمت الغفلــة ، فـأمست الأرض تغيض بـزخم زاخـر من الجـهـل والجاهليـة ، فكان قـدرا مقدورا ، أن تشـرق الأرض من جـديد بنور ربهــا ، فـنزل الكتـاب وبعث سيد البشـر الـى البشـر جميعا ((قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)) (٣) فكان ﷺ الرحمـة المهـداة الى البشـر ، ينير لهم الطريق ، ويضئ لهـم المسالك ، فـكان بذلك أعظم العظمـاء عـلى الاطـلاق . والحـديث عـن سير العظمـاء وآثارهـم أسلوب دأب عـليه الكـثير في القديم والحــديث .

فالعظمـــاء ذوو أثر فعّـال مميّز ، وأصحـاب مقام راق عـال ، لهـم شـأن رفيع بين أممهـم وفي مجتمعهـم ، وليس بالمستغرب أو الـداعي للدهشــة ، أن يكون ذلك من حقهـم ، وهم الـذين أعطـوا الأمـم كثيرا ، ووهبوهــا حياتهم ، وقـادوهـا الى بـرّ السـلام ، أليس من حـقّهـم أن يُردّ اليهم الجميـل ويعـترف

١ـ سـورة الـجمعــة آيــة / ٢

٢ـ الامـام احمـد بن حنبل ، المســند ، ج ٢ ص ١٧٢

٣ـ سـورة الأعـراف آيــة / ١٥٨

لهم بالفضل ؟ .

إذا كان ذلك كذلك، فسيدنا محمد ﷺ أحق هؤلاء العظماء بالدراسة، وأحق أن تتخذ سيرته نبراسا يقتدى بها في دياجير ظلمات هذا العصر ذى الصراع الحضارى الساخن المتعدد الجبهات بين الاسلام وأعدائه، خاصة تلك التي تتمثل في الغزو الفكرى الذى تؤجج ناره من قبل هيئات الصهيونية والصليبية، فنحن أحوج ما نكون الى معرفة شخصية سيدنا محمد ﷺ العظيمة لنستمد منها قوة تأخذ بأيدينا نحو النجاة.

وحسب علم الباحث فان أغلب الباحثين والدارسين الذين استلهموا حياته ﷺ لتكون قدوة ونبراسا يستفيدون منها في استنباط قيم تربوية عليا تنير الطريق للسالكين، لم يتعرضوا للخطب النبوية بالدراسة والبحث، مع أنه يمكننا أن نستلهم منها قيما تربوية تساعدنا على تصحيح مسار أنظمة التربية والتعليم في البلاد الاسلامية - إن شاء الله -.

٢- أهمية البحث

تتصارع في عالمنا المعاصر اليوم تيارات تربوية كثيرة، منها ما هو حق مفيد نافع، ومنها ما هو دون ذلك.

ولعله مما يجدر بنا نحن المسلمين أن نستلهم مصادرنا الأساسية للمعرفة، ونستنطق سطورها، لنستخرج منها مبادئ

وقيماً تربوية تساعدنا على تجاوز الاحباطات التي ظهرت في المجال التربوى أثناء تطبيق المجتمع الإسلامي لمسار التجربة التربوية الغربية، تلك التى لم تجِد في ايجاد حلول مناسبة للمجتمع المؤمن المسلم الذى جرّب وسائل التربية الغربية أو الشرقية، ولعل النتيجة الطبيعية لفشل هذه الحلول المقدمة عن طريق الشرق أو الغرب، ظهور ردود الفعل الواسعة المتمثلة في ظهور كثير من الدراسات التى استلهمت المصادر الأساسية للمعرفة الاسلامية، فظهرت في السنوات الأخيرة دراسات في التربية الاسلامية حول القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف، وأثرهما في بناء المجتمع الاسلامي، أسهمت بطريق أو بآخر في تجلية بعض الصور حول أثر هذه التربية في بناء المجتمع المسلم الذى نريده، مجتمعاً يحاول أن يعيش عصره على ألا ينسى ماضيه الذى تمتد فيه جذوره.

وموضوع البحث هو (بعض القيم والأساليب التربوية المستنبطة من خطب المصطفى ـ ﷺ ـ.) والخطابة أشد أنواع الإقناع تأثيرا، اذ أنها تعطي رأى الخطيب في مشكلات يشاهدها ويعيشها، فهي ترتبط ارتباطا جذريا بمصير الجماعة

التي يعيش معها ، لذلك تكون مهمة الخطيب أن يحوّل الأفكار الذهنية الجامدة إلى عواطف يتفاعل معها السامعون ويتصرفون بتأثيرها تصرفا مغايرا لما يكونون عليه في حالتهم الأخرى.(١)

فالخطيب الذى يترسّخ تأثيره في نفوس سامعيه، ويعمل على تطويرهم وتحويلهم من موقف معيّن إلى آخر يريد الوصول إليه ، إنما هو قبل كل شيء مفكّر جاد بصير بالأمور، متعمق بأسرار النفس البشرية والكون ، حتى يستطيع أن يكشف الحقيقة ويعلنها للسامعين في إطار عاطفي يجذبهم ويؤثر عليهم غاية التأثير.(٢)

والخطابة منذ كانت سلاح المجتمع الانساني في سلمه وحربه، وفي ترقيّه والاسراع به نحو المثل الأعلى الذى يجب أن يقصد إليه، فليس بدعا أن كانت بلاغة الرسل والأنبياء عليهم السلام أجمعين إلى أممهم، سبيلاً من سبل الدعوة إلى الهداية والاصلاح في المجتمع.

وإذا كنا نرى أن أكثر الخطباء في الواقع هم من كبار رجالات الفكر والعلم، سواء كان ذلك في الماضي البعيد

١- إيليا حاوى، فنّ الخطابة وتطوّرها عند العرب، ص ٦ - ١٠

٢- المرجع السابق، ص ١٣ - ١٧

أو الحاضر الذى نعيشه في أغلب الأحيان، فكيف إذا كان الخطيب هو سيدنا محمد ﷺ سيد الخطباء وأفصح البشر على الإطلاق ومن أعطي جوامع الكلم(١)؟؟؟.

٣- مشكلة البحث وتساؤلاته

مما لا شك فيه أن جوانب حياة المصطفى ﷺ كلها تعليم وتربية وتعديل سلوك، وتستهدف كلماته كلها وأفعاله وتقريراته تعليم وتربية المسلمين وارشادهم الى السلوك الصائب، وتعريفهم الهدف من هذه الحياة على الأرض. من هذا المنطلق قام كثير من الباحثين والدارسين بدراسة جميع جوانب حياته ﷺ لتكون لنا قدوة امتثالا لامر الحق سبحانه وتعالى حيث قال:

((لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ))(٢)

حتى تضيء لهم ما ادلهم من دروب الحياة، وتكشف لهم سبل الحياة الكريمة. فكان من هذه الدراسات ما تناول شخصيته بوصفه الانسان الكامل، ومنها ماتناول حديثه ليستنبطوا منه قيما تعليمية وتربوية تقود المجتمع الانساني إلى السعادة في

١- جوامع الكلم: ماكان قليل الألفاظ، كثير المعاني.
(الفيروز آبادى، القاموس المحيط، مادة جمع)

٢- سورة الأحزاب آية/ ٢١

الدارين، فتنوعت الدراسات حول هذا الموضوع.

أما عن خطب النبي ﷺ فعلى حد علم الباحث فإن أحدًا لم يتطرق إلى بحثها لاستخراج القيم التربوية منها.

لذلك ظهرت لدى الباحث رغبة ملحّة في التوجه لدراسة هذا الجانب من أقواله ﷺ، ليستخرج منها كنوزا تربوية نتخذ منها برامج تربوية صالحة لأنظمتنا التعليمية، فتكون نبراسًا نستهدي به في تيارات الفكر المعاصر التي تتجاذبنا مرة ذات اليمين وأخرى ذات اليسار.

أن للخطابة أثرا هاما في حياة المجتمعات البشرية، لأن الغاية منها إرشاد الناس إلى الحقائق التي يرمون إلى الوصول إليها.

ولقد استخدم الرسول ﷺ هذا الأسلوب التربوي في تربية وتعليم أصحابه ـ رضوان الله عليهم ـ فكانوا خير أمة أخرجت للناس، خاصة إذا علمنا أن الخطيب يتعامل مع الناس مباشرة، فهو يخاطبهم بلغتهم التي يفهمونها، ويدركون معانيها ومقاصدها، فيكون أثرها في النفوس دائمًا، كالجذوة كلما خبت نارها، هبّت عليها رياح الايمان فأضاءت وأحيت النفوس وحركت

الضمائر، وأيقظت السهمم نحو طلب الكمال المنشود ، كما أنها تحرك فيهم المشاعر لتحقيق الغايات والأهداف التي رسموها لأنفسهم .

إن اتخاذ الرسول ﷺ أسلوب الخطابة في التربية لم يأت من فراغ، إذ أن العرب الذين بعث فيهم ﷺ قوم فيهم لَسَنٌ وبيان ، ولهم من أشراف عشائرهم خطباء طبقت شهرتهم الآفاق آنذاك ، قاموا فيهم مقام المؤدبين والمعلمين ، وكان خطباؤهم يفدون على أمراء العرب وغيرهم لينالوا منهم أعطياتهم ، كما وفد أبو سفيان بن حرب - قبل اسلامه - على كسرى ، وكما قدم قُسّ بن ساعدة الإيادي على قيصر زائراً ، وكما وفد وفْد قريش على سيف بن ذي يزن ملك اليمن يهنئه بعد انتصاره على الحبشة ، وكان من خطباء هذا الوفد عبد المطلب بن هاشم - جدّ النبي ﷺ (١) .

١- جورجي زيدان ، تاريخ التمدن الاسلامي ، ج ٣ ص ٣٠

ولقد كان للخطابة عند العرب قبل الاسلام منزلة خاصة اذ أنهم كانوا يدربون فتيانهم في حداثتهم عليها[1]. وقد حفلت كتب الأدب العربي بكثير من خطب العرب في الجاهلية[2]، خاصة خطب الوفود على الملوك والأمراء آنذاك. وقد بقي أمر الوفادة عندهم جاريا هذا المجرى حتى إلى ما بعد ظهور الإسلام، فوفدت القبائل على الرسول ﷺ وفي كل المواقف كان يجري كلام وتلقى خطب، تشرح وجهة نظر هذه الوفود وكان الرسول ﷺ يرد عليهم بما يناسب المقام والحدث، أو يأمر أحد أصحابه بالرد على خطيب الوفد، من ذلك أنه عندما قدم وفد (تميم) وعلى رأسهم الأقرع بن حابس فدخلوا المسجد النبوى، ونادوا الرسول ﷺ: أن أخرج إلينا يامحمد، فلما خرج إليهم قالوا: يامحمد، إننا جئنا نفاخرك فأذن لشاعرنا وخطيبنا، فأذن لخطيبهم وشاعرهم فتكلّم ما شاء، ثم أمر الرسول ﷺ من يرد عليهم نثراً وشعراً، حتى قال رئيسهم: وأبي، إنّ هذا الرجل لمُؤَتّى له، ولَخطيبُه أخطب من خطيبنا، ولشاعرُه أشعر من شاعرنا، ولأصواتُهم أعلى من أصواتنا،

١ـ أبو عمرو الجاحظ، البيان والتبيين، جـ ١، ص ١٢٦، بتحقيق: هارون

٢ـ مثل كتاب: العقد الفريد، جـ ١، ص ١٠٧، جـ ٢، ١٥٦، جـ ٢، ٢٢٣
الأمالي، جـ ١، ٢٩٢، ١٥٢، ٢٦١
صبح الاعشى، جـ ١، ٢١١، ٢١٢، جـ ٢، ٢١٦
البيان والتبيين، جـ ١، ٣٠٩، جـ ٢، ٣٧، ٦٩

فـأسلموا ، وأحسن رسول اللــه ﷺ جــوائزهــم. (١)

إذا كان هــذا هــو أثــر خطيب اختاره الرسـول ﷺ ليرد علـى القـوم وعـلى خطيبهم، فكيــف يكون الأمــر إذا ردّ عليهـم الرسـول ﷺ أخطب العرب وأفصحـــهم؟؟؟؟.

هــذا ولعلنا نستطيع تحـديد تساؤلات البحث في الآتي :

١ـ مـاأثــرخطب المصطفى ﷺ في نفوس سامعيه. ؟؟؟

٢ـ ما الموضـــوعـات التى تطرق إليها الرسول ﷺ في خطبه؟؟

٣ـ مـا القيــم التربويــة التى يمكن استنباطهــا من خطـب الرســول ﷺ ؟؟؟.

٤ـ ما المواقـــف التربوية التى يمكن استنباطها من خطـــب الرســول ﷺ ؟؟؟.

٥ـ كيف يمكننـــا الاستفادة من تلك القيم التربوية في وقتنــا الحـاضر. ؟؟؟

٤ـ أهـــداف البحـــث

يهــدف الباحـــث من خلال الدراسة الى :ـ

١ـ الكشف عن الكيفيــة التي عــالج بها الرســـول ﷺ

١ـ عبدالملك بن هشام، السيرة النبوية، جـ ٤ ص ٢٠٦

الأساليـــب التعليميـــة بواسطـــة الخطـابة.

٢- تحـديد الموضوعـات التى تطرق اليها الرسول ﷺ في خطبـه لترسيخ قيم تربويـــة معينـــة.

٣- وضع قـــيم تربويـــة من خطب الرسول ﷺ يمكننا الاستفادة منهـا في الوقت الحـــاضر.

٥- حـــدود البحـــث

لمـا كان موضـوع البحث هو (بعض القيم والأساليب التربوية المستنبطـة من خطب المصطفى ﷺ). فـان حـدود البحـث تنحصر فيمـا ورد في كتب الصحـاح الستـــة وفي موطـأ الامـام مالك بن أنس- رضي الله عنه- وفي مســـند الامام أحمد بن حنبل - رضي الله عنـــه - ، تحت عنوان : (خطبنا رسول الله فقال : .....) أو تحت عنوان : (خطب فينا رسول الله ﷺ فقـال : .....) أو تحت عنوان : (خطب رسول الله ﷺ فقال: ....).

٦- منهـــج البحـــث

في بحث كهـــذا يحـاول أن ينفض الغبـــار عن الوثائق، لتحكـي لنـــا صـــورا تاريخيـــة ، نستلهم منها الـــعبرة، ونأخذ منها العظـة



ونجني منها ـ إن شاء الله ـ الفائدة المرجوة ، يكون المنهج التاريخي هو المنهج الأوفق ـ بحول الله ـ لمثل هذه الدراسة ، فما هو هذا المنهج ؟ ؟

أ/ المنهج التاريخي :

ان دراسة التاريخ تأمُّل بعمق في المصادر ، إذ أنها تحكي لنا قصص تجارب الإنسان في هذا الكون (١) ، فالتاريخ تفسير الحاضر للماضي ، ويمثل البحث فيه البحث عن النور في سيرة الانسان ، فهو سجل الفكر الإنساني (٢) .

وإذا كانت هذه الأهمية للتاريخ فإن التاريخ التربوى هو تجارب الانسانية وخلاصة كفاحها على مر العصور في مختلف المجتمعات من أجل الارتقاء بالجنس البشرى وتقدمه (٣) .

وقد اسْتُخْدِمَ هذا المنهج لتقصي معالم التربية المحمدية التي لها علاقة بالخطابة سواء في العهد المكي أو المدني ، ومعرفة كيفية تطبيقها ، لنصل الحاضر بالماضي ، ونكوّن بعد ذلك المستقبل .

ب/ المنهج الاستنباطي :

يأمُل الباحث أن يقوم بتحليل وتفسير بعض الخطب وتفصيلها وصولا إلى المعاني السامية التى قصد إليها الرسول الكريم ﷺ من وراء هذه الخطب ، ووضع بها أسسًا

١ـ د . محمد زيان عمر ، البحث العلمي وتقنياته ، ص ١٣٨

٢ـ د . جابر عبد الحميد وزميله ، مناهج البحث في التربية وعلم النفس ، ص ١٠٤

٣ـ د . محمد لبيب النجيحي و زميله ، البحث التربوى ، ص ١٨٢

وقيماً تربويةً أصيلةً تستهدف الرقي بالمجتمع الاسلامي ليكون بحق خليفة الله في الأرض،ليعمرها ويسلك فجاجها بالعمل الصالح .

٧- الدراسات والبحوث السابقة

على حدّ علم الباحث، لم يتطرق أحد إلى دراسة القيم التربوية في خطب المصطفى ﷺ .

وهناك دراستان لخطب المصطفى ﷺ هما :

الأولى :

تناولت جمعَ هذه الخطب من مصادرها المتفرقة جمعاً فقط،ولم يتطرق إلى دراستها ، وهي بعنوان :

(خطب المصطفى ﷺ) جمعها وشرحها : محمد خليل الخطيب. (١) حيث قام المؤلف بجمع هذه الخطب من مصادرها التي أشار في أغلب الأحيان اليها .

وقد بوّب المؤلِف جمعَه هذا في عشرة فصول هي :

١) الجهاد وعدد خطبه ٦٦ ست وستون خطبة،

٢) أركان الاسلام ،وعدد خطبه ٦٠ ستون خطبة.

١- محمد خليل الخطيب، خطب المصطفى ﷺ،دار الاعتصام، القاهرة

٣- الاخلاص، وعدد خطبه ١٦ ست عشرة خطبة.

٤- القرآن والعلم والذكر، وعدد خطبه ٤٣ ثلاث وأربعون خطبة.

٥- التقوى وصلة الرحم والصدقة، وعدد خطبه ١٧ سبع عشرة خطبة.

٦- التحذير من البدع، وعدد خطبه ٣ ثلاث خطب.

٧- التحذير من الدنيا وفتنة النساء، وعدد خطبه ٤٣ ثلاث وأربعون خطبة.

٨- الخطب العامة، وعدد خطبه ١٩٣ مائة وثلاث وتسعون خطبة.

٩- فيما يختص به وآل بيته، وعدد خطبه ٧٢ اثنتان وسبعون خطبة.

١٠- علامات الساعة، وعدد خطبه ٢٦ ست وعشرون خطبة،

وجعله مسك الختام بالنسبة لجمعه. فيكون مجموع الخطب التي جمعها المؤلف المذكور ٥٧٣ ثلاث وسبعون وخمسمائة خطبة.(١)

وقد أشار المؤلف نفسه إلى أنه لم يكتف بالخطب بل إنه أضاف إليها "أحاديث توفية للمقام، ووصايا نميت إليه أو إلى أصحابه الكرام، وهي في حكم المرفوعة إليه عليه الصلاة والسلام"(٢).

كما قام بشرح بعض الكلمات الغريبة التي وردت في بعض الخطب الكريمة، وبين معانيها، مكتفيا بذلك فقط.

١- أنظر الخلاصة الاحصائية التي توصل إليها الباحث، ص ١٤٤

٢- محمد خليل الخطيب، خطب المصطفى، ص ٧

أما الفائدة التى جنيتها من هذا المؤلف فهي تكاد تنحصر في مطابقة ما استخرجته من الخطب النبوية من المصادر التي اعتمدتها مع ما لديه، وكذلك الاستفادة من شرحه لبعض الكلمات والعبارات من الناحية اللغوية.

الثانية :

هي بعنوان (لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا ـ حجة الوداع وخطبة الرسول ﷺ فيها) وهي من تأليف الاستاذ : عبدالكريم عبدالله نيازى.(١)

وقد جاءت هذه الدراسة في أربعة أبواب وخاتمة هي :

١ـ التعريف بحجة الوداع.

٢ـ حجة الوداع وخطبة الرسول فيها.

٣ـ الحقوق والواجبات في خطبة الرسول.

٤ـ الجانب الاجتماعي في خطبة الرسول.

ومن خلال دراستي لهذه الدراسة اتضح أن المؤلف قصرها على خطبة واحدة من خطب المصطفى ﷺ ،ألا وهي خطبة حجة الوداع.

١ـ عبدالكريم نيازى، لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا، مركز الصف الألكتروني، بيروت، سنة ١٤٠٧هـ.

مصطلحـــات البحـــــث

=•=•=•=•=•=•=•=

القيم: جمع قيمــة

والقيمة: حكم تفصيلي يعتبر اطارا مرجعيا يحكم تصرفات الانسان في حياته الخاصة والعامة. والقيمة تمثل معيارا للسلوك .... لذلك فان القيم تحتل مركزا رئيسا في تكوين شخصية الفرد ونسقه المعرفي، بل هي التى تحدد الاتجاهات مثلما تحدد السلوك كله.(١)

والقيم في الشريعة الاسلامية مصدرها الوحي الالهي، فهو الذى وضع أصولها وحدد أساسياتها، كما أوضح مظاهرها ومعالمها، فهي واضحة بينة لكل أفراد المجتمع الاسلامي، وذلك لوضوح مصدريها الكتاب والسنة.

ولقد بنى الاسلام قيمه على أساس من عقيدة تضع الموزاين، وتقرر القيم، كما أنها تقرر السلطة التي تستند اليها هذه الموازين والقيم والجزاء الذى تملكه هذه السلطة لتوقعه على الملتزمين أو المخالفين.

وحينما تكون آصرة المجتمع التى تربط بين أبنائه العقيدة الصادرة من آله واحد تتمثل فيه السيادة العليا، وليست صادرة عن أهواء بشرية تتمثل فيها عبودية الانسان للانسان ، حينما تكون هذه الآصرة إلهية المصدر، ربانية التلقي، تكون ممثلة لأعلى مافي الانسان من خصائص الفكر والروح.

فقيم الدين قيم ثوابت في الحياة الانسانية، لا تتغير بتغير الأزمنة والأمكنة والناس.

١- حسن عيسى وزميله، مجلة العلوم الاجتماعية، المجلد ٥ ،العدد (١) صفحة ١٨٠

أما المتغيرات في الحياة الانسانية وفق المنهج الرباني ، فهي الأساليب والطرق التي يتوصل الناس بها الى تلك الثوابت من القيم.

ولقد تميزت القيم الاسلامية بالطابع الانساني البعيد عن العنصرية والاستعلاء بالدم أو اللون أو الجنس، والتماسها روح الاخاء البشرى ، ومفهوم الرحمة والكرامة والثقة المتبادلة .

لذلك كانت القيم في الشريعة الاسلامية غير التقاليد المتغيرة ، فقاعدة الأخلاق الأساسية هي أن الحق واحد ، والخير واحد ، وأنهما لا يختلفان ولا يتعددان ، لأن مصدرهما واحد هو الوحي الالهي .

<u>الأساليب:</u> جمع أسلوب

والأسلوب: كما في لسان العرب (١) ، هو السطر من النخيل ، وكل طريق ممتد فهو أسلوب.

والأسلوب (٢) : الطريق ، والطريق : الوجه ، والوجه : المذهب والمذهب : الرأى ، والرأى : النظر ، والنظر : التدبير .

والأساليب: الطرق والفنون (٣)

ولعلنا نلاحظ أن هذه المعاني التي وردت في المعاجم اللغوية قسمان :

١) قسم حسي : يمثل الوضع الأسبق للفظ ، كسطر النخيل ، والطريق الممتد أو السلوك . فالأسلوب على هذا خطة يسلكها السائر .

٢) قسم معنوى : وهذا يمثل الخطوة الثانية في الوضع اللغوى حين تنتقل الكلمات من معانيها الحسية الى المعاني الأدبية

١- محمد بن منظور، لسان العرب، مادة : سلب

٢- محمد التميمي ، المسلسل في غريب اللغة، ص ١٢٨ ، ٢٦٢ ، ٢٧٤

٣- احمد بن فارس، المجمل في اللغة، مادة: سلب.

أو النفسية، ونعني بها الوجه أو المذهب أو الرأى.

والأسلوب في هذه الدراسة تعني الطريق أو الموقف التعليمي الذى استخدم فيه المصطفى ﷺ الخطبة لمعالجة بعض المواقف التعليمية التى مرت ببعض أصحابه - رضوان الله عليهم - فرأى المصطفى ﷺ أن يوجههم الى مافيه خيرهم وصلاحهم عن طريق الخطابة، أو ينبههم الى ما وقعوا فيه من الخطأ لاصلاح هذا الخطأ، وتدارك الأمر قبل أن يستفحل خطره، حتى لا تتزعزع قيم ومثل ومبادئ المجتمع الاسلامي والتى سعى المصطفى ﷺ، جاهدا لتثبيتها في نفوس المؤمنين بدعوته ﷺ.

الفصل الأول

أ - الخطابة العربية :

- تعريفها.
- نشأتها.
- دواعيها .
- أنواعها .
- خصائصها .

ب - الخطب النبوية

- مناسباتها .
- أنواعها.
- خصائصها
- الخطب النبوية وأثرها في تربية الأفراد والمجتمع .

أ/ الخطـــابة العربيـــة

الخـطابة فـنّ من فنون الأدب الرفيع،لها من التأثير النفســـي والتوجيـــه الاجتماعي أثر كبير،لأن الغاية منها إرشاد الناس إلى الحق والفضيلـــة، ومن ثـمّ حثهم على ما ينفعهم سواء في عـاجل أمرهم أو فـي آجلـه. وفي ذلك كلـه تربيـــة وتعليم، خاصـــة وأن الخطيب يواجه الجمهـــور وجهـًا لوجـــه، ويحاول أن يؤثـــر فيهم بطريقة أدائه وبراعة بيانـــه، وجودة إلقائـــه، ونبرات صـــوته.

ولـمّا كان هـذا شـأن الخطابة،فقد جعلهـا الشارع في الديـن الاسلامي شعـارًا في كل حفـل سواء كان دينيـًا أو سياسيـًا، كالجمعـــة والعيدين وموسم الحج الأكـبر، بل وفي كل أمر جـامع لنشر فضيلـــة أو للنهي عن رذيلـة، وغير ذلك من الأمـور ذوات البال. (١)

فمـاهي الخطـــابة إذن. ؟؟؟؟؟؟

١ـ علـي محفوظ، فـنّ الخـطـابة وإعداد الخطيب، ص ٢٤

ـ علي عبدالعظيم، الـدعـوة والخطابـــــــة،ص ١٠

١- تعريف الخطابة

الخَطَابة - بفتح الخاء - مصدر الفعل خطَب يخطُب، أي صار خطيباً[١]، والخُطبة - بضم الخاء - كلام الخطيب أي اسم لما يخطب به من الكلام، وكانوا لا يخطبون إلّا في أمر عظيم أو نحوه[٢].

ويقول أرسطو عن الخطبة إنها "فنّ من فنون القول، يخاطب به الجمهور ويتجه إلى الاقناع والاستمالة عن طريق السمع والبصر معاً"[٣].

ويعرفها أبو نصر الفارابي بقوله: "الخطابة: صناعة قياسية، غرضها الاقناع في جميع الأجناس العشرة، وما يحصل من تلك الأشياء في نفس السامع من القناعة هي الغرض الأقصى بأفعال الخطابة"[٤].

من ذلك كانت الخَطابة "محاولة من الخطيب التأثير في نفوس السامعين وحملهم على ما يراد بترغيبهم، وإقناعهم، فالخطابة مرماها التأثير في نفس السامع وفي مخاطبة وجدانه، واثارة احساسه

١- محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، مادة: خطب.
- احمد بن فارس، مجمل اللغة، مادة: خطب.
- اسماعيل الجوهري، الصحاح، مادة خطب.
٢- بطرس البستاني، محيط المحيط، مادة: خطب.
٣- د. محمد درويش، الخطابة في صدر الاسلام، ج ١ ص ١
٤- أبو نصر الفارابي، كتاب المنطق - الخطابة - ص ٧
- علي محفوظ، فن الخطابة، ص ١٦

للأمر الذى يراد منه، ليذعن للحكم اذعانا، ويسلم به تسليما "(١)

وتأثير الخطيب بحماسته، وصدق عاطفته، أكثر من تأثير الكاتب برزانته وإعداد بحثه(٢)، فهو يستعين على التأثير بقوة الأسلوب وبلاغته وبنبرات الصوت، ودقة الاشارة، وأمارات الوجه من تعبير صامت يعزز مدلول الكلام(٣). ذلك لأن الخطيب لا يتحدّث إلى السامعين فحسب، بل يحاول أن ينفذ كذلك إلى عواطفهم، ومن ثمّ إلى إرادتهم(٤). فالخطيب يتعامل مع القارئ والأمي والبصير والطفل والكبير، فهو بذا يتعامل مع كافة القوى البشرية في المجتمع مباشرة(٥).

لذلك كانت الخطابة أشد أنواع الاقناع تأثيرا، اذ أنها تعطي رأى الخطيب في مشكلات يشاهدها ويعيشها، فهي ترتبط ارتباطا جذرياً بمصير الجماعة التى يعيش معها، ومن هنا كانت مهمّة الخطيب أن يحوّل الأفكار الذهنية الجامدة إلى عواطف يتفاعل معها السامعون، ويتصرفون بتأثيرها تصرفا مغايرا

١ـ محمد أبو زهرة، الخطابة، ص ١٩

٢ـ د. عبدالله شحاته، الدعوة الاسلامية والاعلام الديني، ص ١٩
ـ علي عبدالعظيم، الدعوة والخطابة، ص ١١

٣ـ د. أشرف موسى، الخطابة وفن الالقاء، ص ٧
ـ د. محمد درويش، الخطابة في صدر الاسلام، ج ١، ص٢

٤ـ المرجع السابق، نفس المكان.

٥ـ د. عبدالله شحاته، مرجع سابق، ص ١٩

لمــا يكونوا علـيه في حـالتهم الأخــرى.(١)

فالخطيب الذى يتوطـن ترسيخ تأثيره في نفوس سامعيـه، ومـن ثَـمَّ يعمل عـلى تطويرهم، وتحويلهم من موقف مـعيَّن إلى موقـف آخـر يهـدف ويريد الوصول اليه، انمــا هو قبل كل شيء مفكِّر جـاد بصير بالأمـور، متعمّــق بأسرار النفس البشرية والكون، حتي يستطيع أن يكشـف الحقيقة ويعلنها للسامعين في اطـار عاطفـي شـيّق، يجذبهم ويـؤثـر فيهم غـاية التأثير.(٢)

وللخطـابة ثمرات كثيرة نستطيع أن نعـدّد منها مايلي :

١ـ فـضّ المشكلات ، وقطع الخـصومات.

٢ـ إثارة حماس ذوى النفوس الفاتـرة.

٣ـ رفـع الحـق، وخفض الباطل .

٤ـ إقـامة العـدل ، وردّ المظالـم.

ولا مر ما قال سيدنا موسى عليه السلام عندما بعثه الله إلى فرعـون : (رب اشرح لي صـدرى، ويسّرلي أمرى، واحلل عقـدة من لساني، يفقهوا قـولي)(٣) اذ لا يمكن أن ينصر صاحب اصلاح الا بالخـطابـة.

١ـ ايليــا حـاوى، فـنّ الخطابة عند العرب، ص ٩٦

٢ ـ المرجـع السـابق، ص ص ١٣ ـ ١٧

٣ـ محمـد أبو زهرة، الخطـابـة، ص ٢١

٢ـ نشأتها ودواعيها

عندما تجتمع جماعة من البشر في مكان ما ، وتتكلم بلسان واحد ، سرعان ما تختلف هذه الجماعة في آرائها ومعتقداتها سواء بالصواب أو الخطأ ، من هنا تنشأ الحاجة إلى قيام بعضهم بإقناع الآخرين واستمالتهم إلى هذا الرأي أو ذاك ، فيسارع النابهون منهم إلى استخدام المؤثرات القولية والانفعالية للتأثير في الفريق الآخر ، من هنا كانت الخطابة ضرورة من ضرورات المجتمع في الحياة العامة (١) .

من هنا يظهر لنا أن الخطابة (فنّ قديم ، نشأ مع الإنسان ، وصعد معه في مدارج الرقي ، بل ربما كانت أقدم الفنون الأدبية ، فالمتمدينون والهمج في الحاجة إليها سواء ، ولا تكاد أمة عرفها التاريخ تخلو منها . وفي آثار المصريين القدامى خطب دُوِّنَت بالهيروغليفيّة (٢) ، كان يقوم بها الملوك ورجال

١ـ عمر فروخ ، تاريخ الأدب العربي ، جـ ١ ص ٨٩ .

٢ـ احمد موسى ، الخطابة وفن الالقاء ، صص ٧ـ٨

٢ـ الكتابة الهيروغليفية : كتابة تصويرية استعطها المصريون القدماء وحروفها رسوم تقليدية عددها ٢٤ حرفا ، تتألف من صور بعض الحيوانات والنباتات والأثاث وغيرها . تكتب من اليسار إلى اليمين من أعلى إلى أسفل . (احمد عطية الله ، دائرة المعارف الحديثة ، ص ٧٣١) .

الدين، وللآشوريين خطب كتبت باللغة المسمارية.) (١)

وقد برع اليونانيون في الخطابة بشكل واسع، فكانوا أول من كتب في هذا الموضوع، واستنبطوا قواعده، وشيّدوا أركانه، وقد امتازت "أثينا" ببلاغة خطبائها، فكانت بلد الأدب وحسن الإلقاء. (٢) ونظرا للمكانة التى وصل إليها الخطيب في بلاد اليونان (اتّجه الناس إلى تعلّم الخطابة، والدُّرْبة عليها، والتمرين على الإلقاء، وتعويد اللسان النطقَ الصحيح، والبيانَ الفصيح، لذلك أخذ العلماء يستنبطون قواعد الخطابة وقوانينها بملاحظة الخطباء، وطرق تأثيرهم، وأسباب فشل من يفشل منهم.

(ويظهر أنّ أول من اتجه إلى إستنباط تلك القواعد السوفسطائيون، فانهم كانوا يعلمون الشبان في "أثينا" طرق التغلب على خصومهم في ميدان السبق الكلامي، وكيف يغالطونهم ؟ وكيف يلبّسون عليهم الحقّ ؟ ويمرنونهم على القول المبين، والالقاء المحكم.) (٣)

١ـ د . محمد درويش، الخطابة في صدر الاسلام، ج ١، ص ٣

ـ د . احمد غلوش، قواعد الخطابة، ص ٢٢

٢ـ محمد ابو زهرة، الخطابة، ص ١٢

٣ـ المرجع السابق، ص ١٣

ـ د . احمد غلوش، قواعد الخطابة، ص ص ٢٢ـ٢٣

وعند انتشار هؤلاء الخطباء السوفسطائيين في بلاد اليونان ينشرون فيها آراءهم وأفكارهم الخطيرة، كان لابُدّ لهم من زمام يكبح جماحهم، فكان هذا الزمام يتمثّل في فلاسفة اليونان الكبار : سقراط وأفلاطون وأرسطو.

وكان أرسطو أقدر هؤلاء الثلاثة حين جمع (قواعد هذا الفن، وضمّ شوارده، في كتاب أسماه " الخطابة "(١) كان أصلا لذلك العلم، ومرجعا يرجع الخطباء والمؤلفون في الخطابة إليه، يصدرا يصدرون عنه، ويردون موارده)(٢).

هذا ماكان من شأن الخطابة على عهد اليونان، ولعلنا نتساءل ماهو نصيبها عند العرب القوم الذين بعث فيهم سيدنا محمد ﷺ. ؟

كان العرب في جاهليتهم قوما أعظم صناعتهم الكلام، ولغلبة الأميّة عليهم استعانوا بألسنتهم وحوافظهم بدل الدفاتر والأقلام، في تسجيل أمور حياتهم، وكذا التعبير عمّا يضطرب في عقولهم وقلوبهم، فكان اللَّسَن وقوّة الذهن والفصاحة من أبرز مواهبهم، فاذا صدر

١- نقله إلى اللغة العربية اسحق بن حنين، وكذلك نقله ابراهيم بن عبد الله، وفسره أبو نصر الفارابي (ابن النديم، الفهرست، ٣٤٩)

٢- محمد أبو زهرة، الخطابة، ص ص ١٣ - ١٤

- د. احمد غلوش، قواعد الخطابة، ص ٢٥

- علي محفوظ، فن الخطابة وإعداد الخطيب، ص ٢٦

الكلام عن هذه المواهب فهو ضاربٌ في سماء الفنّ، محلّقٌ في عالم البلاغة. ولقد تمثّل هذا الفن عندهم - غالبا - في شكلين هما: الشعر والخطابة، حتى قيل: كان الكلام الجاهلي: خطابة وشعرا. (١)

على أن العرب في جاهليتهم اعتنوا بالشعر أكثر من عنايتهم بالخطابة، فكانوا يقدّمون الشاعر على الخطيب، وما ذاك إلّا لأن الشعر سريع الانتشار بين القبائل العربية، لجرسه الموسيقي المتناغم، ولأنه أسهل حفظًا على ألسنتهم، إذ لم تكن الخطابة في العصر الجاهلي تدوّى في القبائل كما يسير الشعر. (٢) لذا كانوا يهتمون بنبوغ الشعراء فيهم، فإذا نبغ في القبيلة شاعرٌ أتتها القبائل مهنئة، وتباشر الرجال والولدان، لأن الشاعر - حسبما يرون - حماية لأعراضهم، وذبًّا عن أحسابهم، وإشادة بذكرهم، (٣) كما كان الشاعر في الجاهلية أرفع قدرًا من الخطيب، وهم إليه أحوج، لردّه مآثرهم عليهم، وتذكيرهم بأيامهم، ولكن لمّا كثر الشعراء، وتكبسوا به، ورحلوا بالشعر إلى السوقة، وتسرّعوا إلى أعراض الناس، صار الخطيب عندهم فوق الشاعر. (٤)

١- د. صلاح الدين الهادى، الأدب في عصر النبوة والراشدين ص ١٣١

٢- المرجع السابق، نفس المكان.

٣- الحسن بن رشيق، العمدة، جـ ١ ص ٤٩ - ٥٠

٤- عمرو الجاحظ، البيان والتبيين، جـ ١ ص ١٤١ : بتحقيق: عبدالسلام هارون

ولعلنا نلاحظ أنّ العرب في الجاهلية لم يهملوا الخطابة، بل إن في أخبارهم التى تناقلتها الرواة ما يدل على شدّة عنايتهم بالخطابة، وما يدلّ على معرفتهم بخطرها، فقد كان يتولاها أهل السيادة والرئاسة من شيوخ القبائل وكبرائها، وزعمائهم وقوادهم، وكذا أهل البلاغة والكياسة فيهم. لذا ارتبطت مكانة الخطيب بالرئاسة والمهابة في مجتمعهم، (١) فكان من مظاهر عنايتهم أنهم بذلوا الجهد في تدريب فتيانهم عليها منذ حداثتهم. (٢)

ولما كانت الخطابة تحتاج إلى الحماسة، ويغلب تأثيرها في قوم لا تضبطهم حكومة منظمة، ولا تضمهم راية سلطان واحد، (٣) فمن الدواعي الطبيعية للخطابة عندهم مايلي:

١- غلبة الأمية عليهم، مما أدى بهم إلى الاستعانة باللسان كأداة للقول بدل القلم.

٢- تملكهم زمام الفصاحة.

٣- تفرقهم في قبائل مستقلة يتيسر لكل جمهور منهم الاجتماع في صعيد واحد، والاستماع إلى خطيب فرد.

١- جورجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ج ١ ص ١٩٠

- علي محفوظ ، فن الخطابة، ص ص ٢١- ٢٣

- كارلونا لينو، تاريخ الآداب العربية، ص ص ٩٧- ٩٨

٢- عمرو الجاحظ، البيان والتبيين، ج ١ ص ١٣٥

٣- احمد الاسكندري وزميله، الوسيط في الأدب العربي، ص ص ٢٤-٢٥

وقـد كانت أغراض الخطابة عندهم تنحصر في : (١)

أ/ التحريض على القتال ، والحض على الأخذ بالثأر ، أو التهيئة لملاقاة العدو .

ب/ اصلاح ذات البين عند نشوب القتال ، فيخطب رؤساء القبيلتين في تعظيم رزايا الحرب ، وتقدير مصائبها ، والتنفير منها ، أو في إمكان تحمّل دماء القتلى ، ومفاداة الأسرى .

جـ/ المفاخرة والمنافرة ، والمباهاة بقوة العصبية ، وشرف الخصال ، تهديداً للمعادين ، وترهيبا للطامعين .

د / التوصية بفعل الرغائب ، واكتساب المحامد ، والتبصر في المحامد ، والتروّي عند الحوادث ، ويكثر هذا من حكمائهم ، أو من الآباء لأبنائهم وخاصة عند دنو آجالهم .

هـ/ قد تكون بقصد توضيح أغراضهم السلمية بواسطة السفارات بينهم وبين من جاورهم ، سواء من القبائل أو الممالك التي عرفت آنذاك ، وتكون هذه السفارة إمّا لتأمين سبيل ، أو خفارة دَرْب ، أو اجازة تجارة ، أو تعزية صديق ، أو طلب معونة .

١ـ احمد الاسكندري وزميله ، الوسيط في الأدب العربي ، ص ٢٤

ـ د . شوقي ضيف ، العصر الجاهلي ، ص ص ٤١٠ ـ ٤١٢

ـ علي محفوظ ، فن الخطابة وإعداد الخطيب ، ص ٢٢

هذا وقد اشتهر من بينهم عدد من الخطباء نذكر منهم :

١ـ كعب بن لؤى بن غالب.(١)

٢ـ قيس بن خارجة بن سنان ، خطيب حرب داحس والغبراء.(٢)

٣ـ خويلد بن عمرو الغطفاني ، خطيب يوم الفجار.(٣)

٤ـ قسّ بن ساعدة الإيادى ، خطيب عكاظ.(٤)

١ـ كعب بن لؤى بن غالب، الجد السابع للنبي ﷺ ،كان من أقدم خطباء قريش. كان يحضّ على فعل الخير والبر. كان عظيم القدر عند العرب، حتى إنهم أرخوا بوفاته عام الفيل(الطبرى، تاريخه، ج ٢، ص ١٨٥)

٢ـ داحس: فرس كان لقيس بن زهير سيد عبس، والغبراء فرس كان لحذيفة ابن بدر الغزارى، جريا في سباق ، وبسببهما هاجت الحرب بين عبس وفزارة من قبائل العرب . (محمد احمد جاد المولى ،أيام العرب في الجاهلية)

٣ـ يوم الفجار : حرب كانت بين قبيلتي قريش وهوازن ، حضرها النبي ﷺ وكان عمره حينذاك أربع عشرة سنة، وسميت بذلك لأنها كانت في الأشهر الحرم. (محمد احمد جاد الموالى ،أيام العرب في الجاهلية.)

٤ـ قسّ بن ساعدة الإيادى : أحد خطباء العرب المشهورين ، وهو المضروب به المثل في البلاغة والحكمة والموعظة الحسنة،كان يخطب في أسواق العرب المشهورة، وسمعه النبي ﷺ يخطب في سوق عكاظ قبل البعثة، فعجب من حسن كلامه . مات قسّ قبل بعثة النبي ﷺ (سعيد الأفغاني ، أسواق العرب في الجاهلية.)

ومن باب الخطب التي شاعت في العصر الجاهلي أيضا الوصايا ، والوصية تختلف عن الخطبة بأن الخطبة تقال في الحفل المجتمع، بينما الوصية تقال للفرد .

وكما شاعت الوصايا والخطب في العصر الجاهلي شاع أيضا سجع الكهان ، اذ يلحقه أهل الأدب بالخطبة غير أنه أقصر جملا .

والسجع في فصول الكلام مطرد لا تخلو جملة من سجعة ، وقد سمي بسجع الكهان لأن الكاهن يطوف على كلامه غموض شامل حتى يستنتج لكل سامع من كلام الكاهن ما يريده هو .

)ة)ة)ة)ة)ة)ة)ة)ة)ة)ة)ة)ة
(ة(ة(ة(ة(ة(ة(ة(ة(ة(ة(ة(ة

١ــ د . عمر فروخ ، تاريخ الأدب العربي ، جـ ١ ، ص ٧٥

٣ـ خصائص الخطابة في العصر الجاهلي

==================

(١)

لقد تميّزت الخطابة في العصر الجاهلي بالخصائص التالية :

١ـ القصر والايجاز، وكان الايجاز هو الأسلوب الغالب عليها ، اذ كان في طبعهم، ومناط البلاغة عندهم.

٢ـ الارتجال حيث قال عنهم الجاحظ (وكل شيء للعرب فإنما هو بديهة وارتجال.).

٣ـ السجع، اذ كان محبباً إلى نفوسهم، لما فيه من نغم موسيقي يقربه من الشعر الذي كانوا يهيمون به ويستجيبون لتأثيره.

٤ـ اشتمالها على الحكمة، لمالها من أثر في قوة المعنى والإقناع، وتهيئة النفوس لقبوله.

٥ـ بعدها عن الجدل الفلسفي ، اذ كانوا يستمدونها من بيئتهم الفطرية، ومن شئون حياتهم الخالية من التعقيد.

٦ـ دوران أغلبها حول : المفاخرة والمنافرة والمدح والتهنئة.

٧ـ خلوها أحيانا من التسلسل والترتيب، وعدم مراعاة العناصر الأساسية في الخطبة.

٨ـ الاكثار من استخدام الترادف المعنوى، فيعبرون عن المعنى الواحد بعبارات شتى تأكيداً للمعنى ، وربما كان للارتجال أثر في ذلك.

٩ـ استمدت الخطابة موضوعاتها ومعانيها من أغراض حياتهم وطبيعتهم.

١ـ عمرو الجاحظ، البيان والتبيين، ج ٣ ص ٢٨

ـ د. احمد غلوش، قواعد الخطابة، ص ٢٧

ـ د. صلاح الدين الهادى، الأدب في عصر النبوة والراشدين، صص ٣٧ (ـ ٣٩)

هـذا ماكان مـن أمر الخطابـة عنـد العرب قبل الإسـلام في العصر الجاهلي ، فما هـو أمرها في عصر الرسول ﷺ ؟؟

هذا ما آمل أن اختصره هنا وصولاً إلى هدفي من هـذا البحث إن شاء اللـه .

كانت حياة العرب في الجاهلية تقوم عـلى التفاخر بالعصبيـة والأنساب والأحسـاب، كما كانت البداوة اذ ذاك غالبة عـلى العرب في جزيرتهم، فالسـواد الأعظم من سكان هذه الجزيرة كانوا قبـائل رحّـلا ، والواحات القليلة المتناثرة في أرجاء هذه الجزيرة، هي مواطن الاستقرار عندهم. ولقد لعبت الصحراء دوراً هاماً في حياتهم، إذ فيها تولّـدت أخلاقهم، وتشكّلت طباعهم، ونشأت عـاداتهم. فكانت الغارات أهـمّ ما يشغلهم. والقبيلة في حياتهم أشبه شيء بالدولة اليـوم، فعُرْفُهـا وتقاليدُهـا هي القانون المسيطر، وأفرادهـا يربطهـم تضامن مكفول ، فـهـمّ أفرادهـا اعظام شأن قبيلتهم، وإشاعـة رهبتهـا وخطرها بين القبائل المجاورة لـهـم.

من ذلك يظهر لنا أن المجتمع الجاهلي كان مجتمعاً قبلياً عمادُه التعصـّب القبلي والصراع بين القبائل ، وهذا جعل مصالحَ وشخصياتِ

أفراد هـذا المجتمع غير بارزة الا في إطار مصلحة القبيلة وعصبيتها ، كما أنه لم يكن للفرد حرية الا في اطار القبيلة، اذ لم تكن الحرية تصدر عن مبدأ أو فكرة عامة، أو عن تعريف لحقوق الانسان ، فقد سيطرت النفعية والأنانية على شخصياتهم ، فهو لا يرعوى عن الدخول في التخبط والصراع الدامي من أجل مغنم مادى أو ثروة غامضة. (وما ذلك الا لسيطرة العوامل السلبية على العوامل الايجابية في شخصية الإنسان الجاهلي ، حيث لا توجد قيم تعلي من عزيمته، ولا مبررات تطلق طاقته في مجابهة الصعوبات والتحديات.)[2] [1]

ولقد عمل الدين الاسلامي على تخليص العرب من العادات الجاهلية وإبدالهم بها عادات اسلامية عالية، تُزكّي النفوس، وتُطهّر القلوب، وتجعل من الشخص العربي الذى كان لا يحسّ إلا بشخصيته وقبيلته فقط، شخصاً اجتماعياً، يُوثّق الصلّة بينه وبين إخوته من بني البشر، فكان بحقٍّ انقلاباً شمل جميع مناحي حياة العرب، الدينية والاجتماعية، والسياسية والعقلية.

١ـ محمود موسى ، التربية ومجالات التنمية، ص ٢١٨

٢ـ د. احمد خليل ، قضايا معاصرة، ص ٢٣

لقد ربّى الرسول ﷺ نفوس أولئك الأعراب، بما غرس فيها من الايمان بالله إلهًا واحدًا لا شريك له، وبالرسول ﷺ رسولا وقائدًا وقدوة لهم في كل شئوون الحياة، كما أرسى قواعد المساواة والعدل بينهم، فلا فضل لعربي علي أعجمي إلا بالتقوى، وجاءت الشعائر الدينية الاسلامية مؤكّدة لمعاني المساواة والاتحاد والوحدة، فاجتماع المسلمين للصلاة جماعة خمس مرات كل يوم، وحضور الجمعة (الاجتماع الأسبوعي)، وصيام رمضان ، وصلاة العيدين، ووقوف المسلمين في عرفة، وانطلاقهم منها لبقية شعائر الحج (الاجتماع السنوى) في زمان ومكان واحد ، دروس عملية في تهذيب وتربية النفوس على المساواة بين المسلمين، كما أنها شاهد صدق وحقّ على اتحاد قلوبهم على السمع والطاعة لإمامهم الذى يبايعونه، ويقتدون به. حتى أن أبا سفيان بن حرب عندما رآهم يوم فتح مكة - وكان لا يزال على شركه آنذاك - وهم قائمون للصلاة، إذا ركع رسول الله ﷺ ركع المسلمون معه، وإذا سجد سجدوا معه، قال : (تالله ما رأيتُ يومًا كاليوم طواعيةَ قوم، جاءوا من ههنا وههنا ، ولا فارس الكرام، ولا الرومَ ذات القرون.) (١)

١- احمد بن يحيي البلاذرى، فتوح البلدان، ٤٢

ولقد تمكـــن الصحابي الجليل ـ جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه أن يعطينـــا وصفًا شاملًا جامعـــًا للفضائل التى غرسهـــا الدين الإسلامي في العرب بعد دخولهم فيه حيث قال :

(كنّـا قومـًا أهل جاهليـــة، نعبد الأصنام، ونأكل الميتـة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحـام، ونسيء الجـوار، ويأكل القـويُّ منا الضعيفَ، فكنّا على ذلك، حتى بعث اللهُ إلينا رسولًا منا، نعرف نسبَـه وصدقَه وأمانتَـه وعفافَـه، فدعانا إلى اللـه لنوحّده ونعبـده، ونخلع ما كـنّا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثـان، وأمرنا بصـــدق الحـديث، وأداء الأمانـة، وصلـــة الرحـم، وحسن الجوار، والكـفّ عن المحارم والدماء، ونهانـــا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحـــده، لا نشرك به شيئا، وأمرنا بالصـــلاة والزكاة والصيام، فصدقناه وآمنا به، واتبعناه على ما جـاء بـــه من اللـه، فعبدنا الله وحـده، فلم نشرك به شيئا، وحرمنا مـا حرّم علينا، وأحللنا ما أحلّ لنا.) (١)

١ـ عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٣٣٦

فنحن نرى هنا كيف بدّلهم الاسلامُ من أمّـــة إلى أمـــة أخرى نقيضـة الأولى تماما، فقد استطاع جعفر ـ رضي الله عنه ـ أن يقـدّم لنا الاسلام بصـــورة فريدة وضـح فيها أثر الاسلام في أحوال ونفوس العرب.

لقد كان ظهور الدين الاسلامي إيذانا بتطور واسع في الخطابـة، حيث كان الرسول ﷺ يتخذ منها أداة للدعـــوة إلى الدين الحنيـــف، طـوال فترة إقامتـــه بمكـة قبل الهجرة إلى المدينة المنورة، تلك المدة التي استمرت ثلاثـة عشر عاما، كان يعرض عـلى قومه من قريش، وعـلى كل من يلقاه من العرب في الأسواق والمواسم، آياتِ القرآن الكريم. وهو في أثناء ذلك يخطب في الناس داعيا إلى الله بالحكمـة والموعظة الحسنة، محاولا بكل ما أوتي من قـوة ونفاذ بصيرة، أن يوقظ في الناس ضمائرهم، بما يصوّر لهم من قـوّة الله سبحانه وتعالى، مـدبّر الكون، وخالقه وبارئه، مبيناً لهـــم أن الله سبحانه وتعالى لم يخلقهم عبثاً، وإنما خلقهم ليعبدوه وحـــده دون شريك حتى تتم لهم السعادة في الدنيا والآخرة.

ولقد اتصلت خطابتهُ ﷺ واتسعت جنباتها، بعد هجرته إلـــى المدينة المنورة، حيث أخـذ يشـرّع للمسلمين أمور دينهم، ويرسم لهـــــم حـدود حياتهم، ويبيّن لهم نظام سلوكهم، وهو في تضاعيف ذلك يأخذهم بما وهبـه الله له من قلب رحيم، ونفس طاهرة أبـيّة، بآداب رفيعـة من

السلوك البشرى السامي ، مبينًا لهم معاني الإسلام الروحية التي تقوم على معرفة الله الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، والصلة به سبحانه ، كما أنها تقوم على معرفة العمل الصالح الذى يجب أن يأخذ به المسلم نفسه ، وأن وراء هذه الحياة الدنيا حياة أخرى يحاسب المرء فيها على ما قدمت يداه حتى ولو كان مثقال ذرة من خير أو شر .

و (الفرق بين الخطابة في الجاهلية وفي الاسلام، أن الاسلام زادها بلاغة وحكمة، بما كان يتوخاه الخطباء من تقليد أسلوب القرآن ، واقتباس الآيات القرآنية، وقد كان للقرآن نحو هذا التأثير في الشعر أيضا ، ولكن الخطابة أوسع مجالا للاقتباس) (١) .

هذا ولقد كان للحديث النبوى الشريف ـ وهو الكلام الذى يلي القرآن ـ منزلة واحترام واجلال في نفوس المسلمين، وقد اجتمعت فيه فصاحة اللفظ، وجودة التركيب وحسن الأداء، اذ بلغ من البلاغة ذروتها ، ووصل من الروعة قمتها ، بين طياته روائع الحكم ، وهو في حد ذاته جوامع الكلم تحس منه بشعاع النبوة، وتحيط به هالة روحية، ولقد أثار ذلك الأسلوب روح العجب والإعجاب في أصحابه، حتى سأله صديقه الحميم أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ قائلا :

١ـ جورجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، جـ ١ ص ٢١٧

ـ علي محفوظ، فن الخطابة وإعداد الخطيب، ص ٢٥

(لقد طفتُ في العرب ، وسمعتُ فصحاءَ هم فما سمعتُ أفصحَ منك) فمن أدبك ؟؟؟ فقال عليه الصلاة والسلام : أدبني ربي فأحسن تأديبي)[1]

فعليك صلاةُ الله وسلامه ياسيدى يارسول الله .

٤- أنواعها[2]

نستطيع تقسيم الخطابة من حيث موضوعها إلى الأنواع التالية :

أ/ الخطب الدينية :

وهي أقدم الخطب وأخلدها ، ذلك لأنها تتناول في جملتها موضوعاتٍ أخلاقيةً فلسفيةً تنبعث من روح الدين . وهي تنطوى على أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، حيث نصّ القرآن الكريم على وجوب ذلك في مثل قوله سبحانه وتعالى :

((وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ))[1]

١- محمد أبو زهرة، الخطابة، ص ص ٢٦١ - ٢٦٢

٢- د . أشرف موسى، الخطابة وفن الالقاء، ص ١٠-١١

- د . محمد درويش، الخطابة في صدر الاسلام، ج ١ ص ص ١٢٨ - ١٨١

- د . احمد غلوش، قواعد الخطابة، ص ٧٧

- علي محفوظ ، فن الخطابة وإعداد الخطيب، ص ٦٩

- محمد أبو زهرة، المرجع السابق ، ص ص ١٥٣ - ٢١٦

قال تعالى ((ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ)) (١)

ذلك لأنّ الدين الاسلامي يربّي في الانسان الوجدان الفاضل ، كما يهذّب ضميره، ويوقظ شعور الانسان بالفضيلة، ويصل في الهداية والاصلاح الى أعماق النفس البشرية فيؤثّر فيها أبلغ تأثير .

ولقد ذاعت الخطب الدينية عند العرب بعد دخولهم في دين الله (الاسلام) أفواجا ، (لأنها دعامة تقوم عليها الدعوة الاسلامية وتنهض وبلغوا بها شأواً بعيداً منذ نشأتها فكأنما ولدت وقد بلغت رشدها ونضجها وكمالها .) (٣)

ب/ الخطب السياسية :

اشتهر العرب بالخطب السياسية بأنواعها (٤) ، وعندما جاء الاسلام بدعوته، ونشأت دولته في أحضان هذه الدعوة، ثم امتدت هذه الدولة وقويت ، وأخذت بأسباب الرقي والازدهار ، في طريق النماء والتطور، ظهرت أساليب في السياسة والحكم والحرب،

١- سورة آل عمران آية/ ١٠٤

٢- سورة الحج آية / ٤١

٣- د . محمد درويش، الخطابة في صدر الاسلام، ج ١ ص ١٨٠

٤- د . أشرف موسى ، الخطابة وفن الالقاء، ص ١٠

ثمّ نشأت حول هذه الأساليب خطابة وجدل، وتكتمل صورتها كأروع ماتكون خطابة سياسية، لأنها نشأت في ظلال دعوة دينية، وبذلك يكون الدين الاسلامي قد أقام الخطابتين الدينية والسياسية معاً، وغذاهما، ونهض بهما نهوضا كبيرا.(١)

ج/ الخطابة القضائية:

وهي المرافعات التي يلقيها المحامون أمام المحاكم في اتهام شخص أو الدفاع عنه، وموضوعها الفصل فيما ينشأ بين الناس من نزاع،(٢) وهي بهذا المعنى لم يكن لها مجال في الحقبة الأولى من تاريخ الدولة الاسلامية، لأن القضاء الإسلامي لا يقوم عليها ولا يحتاج إليها، اذ أن اثبات الحق يقوم على الاعتراف، أو البيّنة، أو التحكيم، فلا مجال لان يعمد أحدهم إلى الاساليب الخطابية في المحاجة والإقناع.(٣)

د/ خطب الحروب:

وهي من أقدم أنواع الخطب، اذ أنها تتحدث عن الحروب وأسبابها، أو التي تحدد الخطوط العامة للمعركة،

١- د. محمد درويش، الخطابة في صدر الاسلام، ج ١ ص ١٨١

٢- د. أشرف موسى، فن الخطابة والالقاء، ص ١٠

٣- د. محمد درويش، المرجع السابق، ص ١٨١

- علي محفوظ، فن الخطابة وإعداد الخطيب، ص ٩٥

أو التى تكون بعد الحرب تشير إلى أخطاء قد اقترفها جند ،أو تشيد بجرأة وحماس بعض الجنود .

ومن ذلك ماكان يفعله رسول الله ﷺ حينما يصف الصفوف ، ويهيء الجيوش للقتال ،فيشد بكلماته سواعدهم، ويحيي بها قلوبهم، خاصة وهم مقبلون على الجهاد في سبيل الله، ومما ماروااه ابن هشام عند الاستعداد للقتال في غزوة بدر قوله (ثم خرج رسول الله ﷺ إلى الناس فحرضهم، وقال : " والذى نفس محمد بيده، لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا، مقبلا غير مدبر، الآ أدخله الله الجنة.")[1]

هـ/ الخطب الاجتماعية :

وهي التي تعالج قضايا المجتمع على اختلاف أنواعها ،فتعالج الأسباب التى أدت الى ظهور بعض المشكلات.[2]

ورسالة الاسلام كما نعرف جميعاً هي إصلاح المجتمع البشرى باصلاح أفراده وتربيتهم التربية الصالحة، ومن ثمّ العمل على تحقيق السعادة لهم في الدنيا والآخرة.

١- عبدالملك بن هشام، السيرة النبوية ،ج ١ ص ٦٢٧

٢- د . أشرف موسى ،الخطابة وفن الإلقاء، ص ١١

ولقد عمل الرسول ﷺ على إصلاح المجتمع، وعني به أيما عناية، وأخذ بأسبابه وتكلم فيه، وأرشد إليه، وحثّ المسلمين عليه، وبيّن لهم ما ينبغي أن يكون عليه الفرد المسلم في نفسه وبيئته، من خاصة أمره وعامته، كما بيّن للناس ما ينبغي أن يتجهوا اليه في حياتهم، ورعاية معاشهم، وتعاونهم بإصلاح ذات بينهم، وفي التماسهم العلم، والتحلّي بالأخلاق الفاضلة، والآداب العامة والخاصة[١]، لذلك كان يحثهم على التكافل الاجتماعي وتقديم المعروف[٢].

خصائص الخطب في العصر الاسلامي

×××××××××××××××

مرّ بنا فيما مضى أن العرب في الجاهلية قد برعوا في الخطابة بشكل واضح، وقد ظهر فيهم خطباء اشتهروا بذلك[٣].

أمّا بعد ظهور الاسلام فقد كان الرسول ﷺ المثل الأعلى للإنسان الكامل، وقد وصفه الله سبحانه وتعالى بقوله : ((وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ))[٤] فجماع صفاته ﷺ الخلق العظيم، كيف وقد كان خلقه القرآن العظيم، وقد غرس الله في نفسه

١- د. محمد درويش، الخطابة في صدر الاسلام، ج ١ ص ١٦٥

٢- د. محمد الخطراوى، المدينة في صدر الإسلام، ص ٢٦٥- ٢٦٧

٣- ص ٣٠ من البحث.

٤- سورة القلم آية/ ٤

الشريفـــة عظمـــة الأخـــلاق، فكان يفيض منها عـــلى الناس كافـــة، إذ كان يشملهم منها بما حباه الله، فأصبحت فيه هذه السجيـــة مصدراً لهداية الناس والبر بهم، والرفق والرحمة، والمودة والعطف، والبذل والسماحـــة، والصفح والتواضع، والحلم والعفو، والصدق والأمانة، والعـــدل والاحسان. ولقـــد صوّر الله سبحانه وتعالى كل هـــذه المعاني في قوله تعالى: ((لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ)) (١)

كل هذه السجايا والأخـــلاق الحميدة أضفت بظلالها الطيبة على ما كان يقولـــه أو يفعله ﷺ .

وهذا بالتالي أعطى الخطابـــة في صدر الاسلام ميزاتٍ وخصائصَ تميزت بها منها : (٢)

١- بـــدؤها بحمد الله والثناء عـــليه، ثم الصلاة والسلام عـــلى رسوله، وختامهـــا غالبـــاً بآيـــة من القرآن الكريم، وقد يكون بتعظيـــم الله وتمجيـــده.

١- سورة التوبـــة آيـــة/ ١٢٨

٢- احمد الاسكندري وزميله، الوسيط في الأدب العربي، صص ١٠٦-١٠٧

- عـــلي محفوظ، فن الخطابة وإعداد الخطيب، ص ٣١

- د. صلاح الدين الهادي، الأدب في عصر النبوة، صص ١٣٧-١٣٩

٢ـ صفاء ألفاظها ، وسهولة عبارتها ، ومتانة أسلوبها ووضوحه .

٣ـ محاكاتها أسلوب القرآن الكريم في الاقناع ، واستمدادها من آياته .

٤ـ قوة تأثيرها ووصولها إلى قرارة النفوس، وامتلاكها للوجدان، ونصحها البالغ، مما رقّق القلوب القاسية وأثّر فيها .

٥ـ التميز بوحدة الموضوع ، فعمادها الترابط والتلاحم بين فقرات الموضوع الواحد .

ﻫﻫﻫﻫﻫﻫﻫﻫﻫﻫﻫﻫﻫﻫﻫﻫﻫﻫ

ب/ الخطب النبوية

لقد لاحظت من خلال تتبعي لكتب الحديث الشريف، أن هذه الكتب – رغم عناية علماء الحديث بها – مايلي :

١- أن علماء الحديث لم يفصلوا هذه الخطب عن الأحاديث النبوية الشريفة بأبواب خاصة أو كتب، سواء في كتب الصحاح أو السنن أو المسانيد .

٢- قلة الدراسات التي تناولت هذه الخطب، وكذلك ندرة الكتب التي قامت بجمعها (١) .

١- دواعي الخطب النبوية ومناسباتها وأنواعها

ان المتتبع لخطب الرسول ﷺ يجد أنها جاءت في مواقف عديدة أذكر منها :

١- استخدام الخطابة في الدعوة إلى الله، ومن ذلك خطبته عندما نزل عليه قوله تعالى ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (٢)

فقد أتى رسول الله ﷺ جبل الصفا، وصعد عليه، ونادى بكل

١- د. صلاح الدين المنجد، معجم ما ألف عن النبي، ص٢٩٣

٢- سورة الشعراء آية / ٢١٤

صوته قائلا " واصباحاه " ، فاجتمع الناس اليه فقال :

(يابني عبدالمطلب، يابني فهر، يابني كعب ،

أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم

أكنتم مصدقيّ ؟؟، قالوا : نعم، ما جرّبنا عليك كذبا .

قال : إني نذير لكم بين يديّ عذاب شديد .) (١)

وعندما نزل قول الله سبحانه :((فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ)) (٢)

قام فيهم خطيباً حيث قال :

(الحمدلله، أحمده وأستعينه، وأومن به، وأتوكّل عليه،

وأشهد أن لا إله إلاالله وحده لا شريك له، ثم قال : إنّ الرائد

لا يكذب أهله، والله الذى لا إله إلا هو إني رسول الله

إليكم خاصة وإلى الناس عامة. والله لتموتُنّ كما تنامون،

ولتُبعثُنّ كما تستيقظون، ولتحاسبُنّ بما تعملون، وإنها الجنة

أبداً والنار أبداً .) (٣)

١- الامام مسلم بن الحجاج ، الصحيح ، كتاب الايمان ، باب قوله تعالى "وأنذر عشيرتك الأقربين"

٢- اسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، جـ ٣ ، ص ٣٤٩

ـــ اسماعيل بن كثير، السيرة النبوية، جـ ٢ ، ص ٤٥٦

ـــ على بن الأثير، الكامل في التاريخ ، جـ ٢ ، ص ٦٠

٢- سورة الحجر آية/ ٩٤

٣- على بن الأثير، المرجع السابق، جـ ٢ ، ص ٦١

٢ـ بعد الهجرة إلى المدينة المنورة، ووصول الرسول ﷺ إليها، فرض الله سبحانه صلاة الجمعة على المسلمين، والأصل في فرضيتها الكتاب والسنة والإجماع. وأما الكتاب فقول الله عز وجل: ((يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ)) (١).

وفي السنة النبوية قوله ﷺ (لينتهين أقوامٌ عن وَدْعِهم الجُمُعات أو ليختمنَّ الله على قلوبهم ثم ليكونُنَّ من الغافلين.) (٢)

وقد نص العلماء المسلمون على أن الخطبة شرط في الجمعة لا تصح بدونها، وأنها بدل ركعتين من الظهر. (٣)

٣ـ كان النبي ﷺ يخرج يوم الفطر والأضحى إلى المصلّى فأول شيء يبدأ به الصلاة، ثم ينصرف فيقوم مقابل الناس والناس جلوس على صفوفهم، فيعظهم ويوصيهم ويأمرهم. (٤)

٤ـ كانت الظروف والملابسات تستوجب أن يقوم الرسول خطيباً لمواجهة العديد من المواقف، ليقدم العلاج والنصائح

١ـ سورة الجمعة آية/ ٩

٢ـ الامام احمد بن حنبل، المسند، جـ ٢، ص ٣٦١

٣ـ شرف الدين المقدسي، الاقناع في فقه الامام احمد، جـ ١، ١٩٣

٤ـ احمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح البارى، جـ ٢ ص ٤١٨ ـ ٤١٩

والارشادات للمسلمين في أمور عديدة، أهمها :

أ/ بيان التوحيد، وتصحيح العقيدة، ونبذ البدع المستهجنة، وترك العادات المتحكمة الضارة.

ب/ بيان أصول الاسلام من الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر، وذكر الجنة والنار، ولقاء الله وما أعده لأوليائه وأهل طاعته، وما توعد به أعداءه وأهل معصيته.

جـ/ تقرير الشرع وبيان الحلال والحرام.

د/ الحث على مكارم الأخلاق التى لم يتعلموها ويتعودوها.

هـ/ بيان ما تدعو اليه الحاجة من الأحكام التشريعية والحوادث الاجتماعية مع التذكير بالله واليوم الآخر ليصابروا على الجهاد واحتمال مكائد الأعداء لاعلاء كلمته والمحافظة على دينه القويم.

٥- وقد تطرق الرسول ﷺ في خطبه لموضوعات متفرقة مثل : خطبته ﷺ لبيان فضل الانصار (١)، أو لبيان علامات الساعة (٢)، أو لبيان بعض الشائعات الكاذبة الصادرة من المشركين والمنافقين، مثل حادثة الافك (٣).

+÷ : ÷+

١- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح البارى، جـ ٩ ص ١٠٩ - ١١٤

٢- يحيى النووى، شرح صحيح مسلم، جـ ١٨، ص ٢٧ - ٢٨

٣- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، المرجع السابق، جـ ٦، ص ٢٠٠ - ٢٠٢

٢- الخطب النبوية

+++++++++++

أ/ الخطبة الأسبوعية (خطبة الجمعة):

١- الخطبة بعد الأذان:

فقد ورد عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أنه قال (كان النبي ﷺ يجلس اذا صعد حتى يفرغ الأذان، ثم يقوم فيخطب.)(١)

٢- كانت خطبته ﷺ قصدًا - أي وسطًا - فعن جابر بن عبدالله - رضي الله عنه - قال: (كانت للنبي ﷺ خطبتان يجلس بينهما يقرأ القرآن، ويذكّر الناس، فكانت صلاته قصْدًا، وخطبته قصدًا.)(٢) وعن عمار - رضي الله عنه - قال: سمعت النبي ﷺ يقول: (إنّ طولَ صلاة الرجل وقصرَ خطبته مَئِنّة(٣) من فقهه، فأطيلوا الصلاة وأقصروا الخطبة، وإن من البيان لسحرا.)(٤)

١- الامام مسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الجمعة، باب ذكر الخطبة قبل الصلاة ومافيها من الجلسة.

٢- الامام سليمان بن الاشعث، السنن، ج ١، ص ٦٥٨

٣- مئنة: علامة (مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مادة: مأن).

٤- الامام مسلم بن الحجاج، المرجع السابق، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة.

٣- بداية الخطبة بالحمد ثم الموعظة، فعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - قال: (كان رسول الله ﷺ يخطب الناس بحمد الله، ويثني عليه بما هو أهله، ثم يقول: "من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له". (١))

٤- القراءة من كتاب الله: فعن أم هشام بنت حارثة - رضي الله عنها - قالت: (ما أخذت ق. والقرآن المجيد. إلا عن لسان رسول الله ﷺ، يقرؤها كل جمعة على المنبر إذا خطب. (٢))

ب/ الخطب السنوية (خطب العيدين):

١- الصلاة والخطبة في المصلى - أي خارج المسجد في الخلاء - إلا في المسجدين المكي والنبوي.

٢- الخطبة بعد الصلاة مباشرة ولا يسبقها أذان.

٣- موضوع الخطبة في عيد الفطر هو الزكاة، والحث على الصدقة على الفقراء لإغنائهم عن السؤال يوم عيدهم.

وفي عيد الأضحى موضوعها الأضحية، وبيان وقت ذبحها وما شابه ذلك.

١- الامام مسلم بن الحجاج، الصحيح، ج ٢ ص ٥٩٣

- الامام احمد بن حنبل، المسند، ج ٣ ص ٣٧١

٢- الامام مسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الجمعة، باب مايقرأ في صلاة الجمعة.

جـ/ الخطب الطارئة :

١- مواجهة الحدث فور وقوعه حتى لا تتناقله الألسن بالتحريف أو التصحيف، وبيان حكم الله تعالى فيه، مثلما حدث يوم فتح مكة بشأن المرأة المخزومية التي سرقت ، فعن عائشة -رضي الله عنها- أن قريشا أهمهم شأن المرأة التي سرقت في عهد النبي ﷺ في غزوة الفتح ، فقالوا : من يكلم فيها رسول الله ﷺ ؟ ؟ فقالوا ومن يجترىء عليه إلا أسامة بن زيد حِبُّ رسول الله ﷺ ،فأتى بها رسول الله ﷺ وكلمه فيها ، فتَلَوَّن وجهُ رسول الله ﷺ فقال :

(أتشفع في حدٍّ من حدود الله ؟ ؟) ،فقال له أسامة: استغفر لي يارسول الله. فلمّا كان العَشِيُّ قام رسول الله ﷺ خطيبا فقال :

(أما بعد ، فإنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريفُ تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيفُ أقاموا عليه الحد ، وإني والذى نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعتُ يدها)

ثم أمر بتلك المرأة التي سرقت فقطعت يدها.

تقول السيدة عائشة - رضي الله عنها - إن المرأة تابت وحسنت توبتها بعد ، وتزوجت، وكانت تأتي للسيدة عائشة فترفع حاجتها للرسول (١).

١- احمدعلي بن حجر العسقلاني ،فتح الباري ج ١٢ ص ٨٧

٢- وضع الحل الفوري لما قد يطرأ في حياة المسلمين من قضايا تتعلق بالعقيدة، وتستوجب قطع الشك باليقين، حتى يبيّن للناس حقيقة الأمر، ويدفع الشك الذي قد يكون داخل نفوسهم.

ومن ذلك خطبته ﷺ عندما كسفت الشمس في حياته يوم وفاة ابنه ابراهيم، فشاع بين الناس أن الشمس كسفت لموت ابراهيم.

لذا نجد الرسول ﷺ يسارع لجمع المسلمين في صلاة لم يعرفها المسلمون من قبل لأن المناسبة لم تكن مواتية بعد، فكانت صلاة مميزة بركوعها وسجودها الطويلين، ثم أُتبع ذلك بخطبة بيّن فيها أن خسوف الشمس والقمر آيتان من آيات الله سبحانه وتعالى، وأنهما لا يخسفان لموت أحدٍ ولا لحياته، وقدّم لهم تفسيرا شافيا للحدث الكوني الذي شدّ انتباههم، وشغل تفكيرهم، ولم يتركهم نهّب الأقاويل والتفسيرات المختلفة.

الخطب النبوية وأثرها في تربية الأفراد والمجتمع

لقد تمكن المصطفى ﷺ من اختيار الوسيلة التي تتناسب مع طبيعة المجتمع والأسس العلمية للتربية.

فكانت الخطبة النبوية إحدى الوسائل التي استخدمها حين وصوله إلى مهاجره الجديد ـ المدينة المنورة ـ كما كانت من أواخر أعماله قبل انتقاله إلى الرفيق الأعلى ، وذلك في مواجهة الحجيج في أكبر مؤتمر عرفته الدعوة أثناء حياته ﷺ ، وذلك في خطبة الوداع بعرفة.

لقد تركت الخطبُ النبويةُ أثرًا كبيرًا في التوجيه والإرشاد والتربية والتعليم، بحيث تعددت المواضيع التي تناولتها ، حيث يشعر الدارس لمجموع هذه الخطب أنه أمام بحر دفّاق زاخر من الموضوعات في شتى شئون الحياة والدين التي تهم الفرد والمجتمع المسلم ، ويمكننا القول بأن الخطب النبوية لم تترك مجالاً من المجالات إلّا تناولته في موقف خطابي تربوي.

ففي أول خطبة جمعةٍ خطبها المصطفى ﷺ بعد الهجرة في المدينة المنورة، بيّن ـ ﷺ ـ الرسالة التي أرسله اللهُ بها وأعلم أن فيها ما يسعد البشرية في دنياهم وآخرتهم، كما قرر أن على

المسلم طاعة الله ورسوله ، وأن تقوى الله سبحانه وتعالى والتفكر فيما يجب أن يعطه المسلم لآخرته ودنياه قوام أمر المسلم ، وأن عمل الدنيا لا ينسيه الآخرة ، وعمل الآخرة لا ينسيه عمل الدنيا ، تحقيقاً لقوله تعالى : ((وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ)) (١)

أما الهدايا التي تقدم للعاملين الذين يتقاضون أجراً من الدولة ، فقد بيّن المصطفى ﷺ أنها رشوة ، وحدد رأي الاسلام فيها ، وأنها مالٌ أخذ بغير حقه ، وضرب للسامعين مثالاً يوضح لهم من البيئة - كيف يضر هذا المال بصاحبه . (٢)

كما استطاع ﷺ استثمار فرصة توجه القلوب وتعلقها بخالقها سبحانه وتعالى أثناء خسوف الشمس فبيّن لهم موقف الاسلام من الاتصال غير الشرعي بين المرأة والرجل . (٣)

ولقد بيّن ﷺ في خطبه أن الاسلام يدعو إلى نظافة المسلم سواء كانت هذه النظافة معنوية أو مادية يلمسها الشخص أو يحسها أو يسلكها سلوكاً فردياً أو جماعياً . (٤)

كما استطاع ﷺ أن يميز الخبيث من الطيب من السلوك الفردي أو الجماعي ، فعيّن بدقة ما هو السلوك غير المرغوب فيه ويجب على

١- سورة القصص آية / ٧٧

٢- انظر ص ٢٣٧ من هذه الدراسة .

٣- انظر ص ٩٢ من هذه الدراسة .

٤- انظر ص ١٨٥ من هذه الدراسة .

المسلم أن يتخلّص منه، وذلك لراحة الفرد نفسه ثم لراحة الجماعة، فجلّى موقف الاسلام من شهادة الزور التي قد تؤدى إلى تغيير بعض المعالم أو حرمان بعض الأشخاص من حقوقهم بسببها.(١)

ومن الأمور التي أراد - ﷺ - أن يؤكدها في إدراك المسلم ووعيه أن المال في الدين الاسلامي لا يلده المال، وإنما يلد الجهد المال، فعلى الإنسان المسلم أن يعمل ويكدح لا أن يستغل ظروف أخيه المسلم التي قد تمرّ عليه ويحتاج فيها إلى المال، فوجه الأبصار والقلوب إلى شناعة الرّبا وأكد على ضرر الاحتكار والغشّ في المعاملات كلها سواء كانت مادية أو أدبية.(٢)

كما كان ﷺ يسرع إلى تصحيح المفاهيم التي قد يُساء فهمها فيجمع الصحابة ويلقي فيهم خطبة لتصحيح المفاهيم.(٣)

قعّد المصطفى ﷺ قاعدة تربوية هامة اذ كان يسارع بالنهي عن الأمر المخالف لحظة وقوعه ليكون التأثير أفعل، ولتتم الاستجابة، أى أنه يواجه الحدث لحظة حدوثه لمعالجته قبل أن يستفحل أمره.(٤)

ومن الأمور التي عالجتها خطب المصطفى ﷺ احترام بيوت المسلمين فعندما يغيب أحدهم يكون بيته في ذمّة المسلمين أجمعين، فلا يعتدى

١- انظر ص ١٩٣ من هذه الدراسة.

٢- انظر الصفحات التالية ٢٢٧، ٢٣٢، ٢٣٥ من هذه الدراسة

٣- انظر ص ٩٢ من هذه الدراسة.

٤- انظر ص ٢٥٢ من هذه الدراسة.

أحد منهم على هذه الحرمة، والمعتدى سوف يلقى جزاءه العادل.

كما نبه المصطفى ﷺ إلى أن أخوف ما يخاف على المسلمين هو فتنة الدنيا التي تأكل الأخضر واليابس.

هذا ولعلنا نستطيع أن نتبين المعالم التربوية التالية في خطب المصطفى ﷺ:

أ/ خاصية التكرار:

يمتلىء المسلم إعجابا بالأسلوب النبوى الممتلىء قوة وحماسا في أداء الخطبة. فقد كان المصطفى - ﷺ - إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول: صبحكم ومساكم (١). ولعلنا نلاحظ أمرا تربويا هاما هنا هو أن المصطفى - ﷺ - شدد النكير على من يلغو أثناء الخطبة، لأن المطلوب هنا تحقيق عمل تربوى كامل يتطلب الهدوء والسكون أثناء كلام المعلم حتى تصل المعلومات إلى المتلقي ويتمثلها لتكون فيما بعد جزءا من ثقافته وفكره. فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - ﷺ - (من تكلم يوم الجمعة والامام يخطب فهو كمثل الحمار يحمل أسفارا، والذى يقول له

١- الامام مسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الجمعة، باب التغليظ في ترك الجمعة

- الامام احمد بن حنبل، المسند، ج١، ص ٢٣٠

أنصت ليست له جمعة[1].)

ولذلك كان الانصات للخطبة يوم الجمعة، وعدم الاشتغال بغير الاستماع والانصات اليها أمرا تربويا يتحقق معه فهم المستمع للخطبة، وهي درس تربوى متكامل العناصر، ومتابعة ما تتضمنه من معان يراد بها تعليم المسلمين.

إذاً فخطبة الجمعة وسيلة تربوية ممتازة، لها صفة التكرار والتجدد، كما أن لها صفة مواكبة الأحداث الجارية وتعليمها للمسلمين.

فالتكرار أسلوب تربوى يلجأ إليه المعلم لتثبيت الأفكار والمعلومات التي يريد بقاءها في ذهن طلابه.

لذلك نرى المصطفى ﷺ يعيد الكلمة ثلاثا لتعقل عنه، فقد روى الصحابي الجليل أنس بن مالك ذلك عنه[2] .

ب/ الخطبة وسيلة سمعية بصرية:

مر بنا آنفا أن الرسول ﷺ كان اذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه، فهذه الحالة تجعل الخطبة وسيلة سمعية في نفس الوقت، لأن اقتران الاستماع بالمشاهدة في فترة مقدورة ومحددة يترك آثارا في نفس وحس المستمع قل أن يندرس أو يزول بسهولة.

١ـ الامام أحمد بن حنبل، المسند، ج ١، ص ٢٣٠

٢ـ الامام محمد بن عيسى الترمذى، السنن، ج ٥، ص ٢٦٢

ج/ الايجـــاز والوضـــوح :

يحتاج المعلم أن تكون دروسه بلغة واضحـة بحيث تعطـــي المعنى المطلوب، ومن ثـمّ تحـقق الهدف دون أن يرهق طلابـــه بعبارات طويلـــة قد تدعـوهم للملل، ومن ثم شرود أذهانهـــم وانصرافهـم عن الاستماع اليـــه.

من هنا كان المصطفى ـ ﷺ ـ يستعين بالكلمات الموحيـــة المـؤثرة في غير تكلّـــف أو تَقَـعّر في الكلام.(١)

هـ/ وحـدة الموضوع:

من خصائص خطب الرسول ـ ﷺ ـ الترتيب المنطقي الذى التزمـــه ﷺ في عرض أفكار خطبته كما رأينا في أول خطبـــة خطبهـــا ﷺ بالمدينة المنورة، وهذا يساعـد المعلم على إفهام طـلابـه لـــه، كما يساعـدهم على ترتيب النتائج على المقدمات، فتكون بذلك صـورة الدرس واضحـــة في أذهانهم، كما أن ذلك يساعدهم عـلى التذكر أثناء الاجابـة عن أسئلة معلمهم.

١ـ انظر وصف الجاحظ لأسلوب الرسول ﷺ البياني في :

البيـــان والتبيين، جـ ٢ ص ١٢٠

و/ التمثيل والشواهد من البيئة والواقع الاجتماعي : (١)

إن استخدام المصطفى – ﷺ – التمثيل من البيئة والواقع الاجتماعي ، يقرّب إلى الأذهان بصورة واضحة مايريد أن يبيّنه للناس، من ذلك ما ذكره مبيّنا للناس كيف أن المال محبوبٌ للنفوس حبها للربيع، وأن هذا المال حلوةٌ خضرة، من أخذه بحقه كان كمن أكل إذا جاع، أمّا من أخذه بغير حقه فكان كمن أكَلَ وهو شبعان فتخرج الزيادةُ منه ولا تفيده شيئا .

وهذا الأسلوب التمثيلي من الواقع والبيئة الاجتماعية يعين المعلم على ايصال مايريده الى أبنائه الطلاب، وعلى ترسيخ ذلك في أذهانهم.

÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷÷

١- انظر هذه الصفحات من هذه الدراسة ٢٣٧، ٢٥٠

الفصل الثانى

القيم وعلاقتها بالتربية الإسلامية

أ - تعريف القيم ، أنواعها ، سماتها .

- دور القيم فى الحياة النفسية والاجتماعية للفرد .
- تصنيف القيم .
- تعلم القيم

ب - القيم الإسلامية وعلاقتها بالتربية الاسلامية

- القيم والشريعة الإسلامية .
- خصائص القيم الإسلامية .

القيم والتربية

تمهيد :

شغلت القيم وموضوعاتها اهتمام كثير من الفلاسفة والمفكرين منذ فجر الفكر الانساني ، وذلك لأن الانسان في تعامله مع بني جنسه وكذا في تعامله مع المواقف التى قد يعرض لها يحتاج إلى نظام يكون موجها لسلوكه وطاقاته ودوافعه، هذا النظام الموجه هو القيم التى إذا غابت أو تضاربت فإن الانسان يغترب عن ذاته ومجتمعه، وكذا إذا غابت أو تضاربت لدى الجماعة أو لم تكن صورتها واضحة لهم فإنه سرعان ما يحدث الصراع القيمي والاجتماعي الذى قد يدفع بهذا النظام إلى التفكك والانهيار (١).

(في ضوء هذه الأهمية تصبح دراسة القيم ضرورة من الضرورات اللازمة للتربية ، ـ وهي في نهاية الأمر ـ مجهود قيمي يستهدف غرس القيم ، بعد نقدها في علائقها سواء كانوا من الناشئة أو الكبار (٢))

من هذا ، فإنني أفردت هذا الفصل لدراسة القيم، وموضوعاتها ، وكيفية تعلّمها ؟؟ وماهي علاقتها بالتربية ؟؟

١ـ د. ضياء زاهر، القيم في العملية التربوية، ص ٧ ـ ٩

٢ـ المرجع السابق، ص ٩

١- تعريف القيم

أ/ القيم لغة:

القيم: الاستقامة، وفي الحديث " قل آمنت بالله ثم استقم " فسِّر بقولهم: هو الاستقامة على الطاعة.

القيمة: واحدة القيم، لأنه يقوم مقام الشئ.

القيمة: ثمن الشئ بالتقويم، يقال: قوّمت السلعة.

وقيمة الشئ: قدره، وقيمة المتاع: ثمنه،

وجمعه: قيم.

ويقال: ما لفلان قيمة، أي ماله ثبات ودوام على الأمر.(١)

قوّمتُ السلعة: ثمّنتُها.

واستقام: اعتدل، وقوّمته: عدّلته، فهو قويم ومستقيم.

قال حكيم بن حزام: بايعتُ رسولَ الله ﷺ أن لا أخرّ إلا قائماً، اى لا أموت إلا ثابتاً على الاسلام.(٢)

القيمة: الثمنُ، والثمنُ: العوضُ، والعوضُ: البدلُ، والبدلُ: الخلف.(٣)

١- محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، مادة: قوم

- اسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، مادة: قوم

- محمود الزنجاني، تهذيب الصحاح، مادة: قوم

- مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، مادة: قوم

٢- محمد الفيروزآبادى، القاموس المحيط، مادة: قوم

٣- محمد بن يوسف التميمي، المسلسل في غريب اللغة، مادة: عدل

٢- تعريف القيم من وجهة نظر علماء علم النفس الاجتماعي

تعددت التعريفات الاصطلاحية للقيم لديهم، لذا فإنني سأستعرض أغلب هذه التعريفات لعلي أستطيع فيما بعد الوصول إلى تعريف يجمع شتات هذه التعريفات كلها .

أ/ يعرفها مصطفى فهمي ، ومحمد علي القطان ، بقولهما :

(القيم عبارة عن تنظيمات معقدة لأحكام عقلية انفعالية معممة نحو الأشخاص أو الأشياء أو المعاني ، سواء كان التفضيل الناشئ عن هذه التقديرات المتفاوتة صريحا أو ضمنيا ، وإن من الممكن أن نتصور هذه التقديرات على أساس أنها امتداد يبدأ بالقبول ، ويمر بالتوقف ، وينتهي بالرفض) (١)

ب/ ويعرفها عبدالحميد الهاشمي قائلا :

(القيم مجموعة من التنظيمات النفسية لأحكام فكرية وانفعالية يشترك فيها أشخاص بحيث تعمل تلك التنظيمات في توجيه دوافع الأفراد ورغباتهم في الحياة الاجتماعية الكبرى لخدمة أهداف محددة تسعى لتحقيقها تلك الفئة . فالقيم مبادئ وآراء منظمة تسعى لخدمة هدف مشترك بين أفراد جماعة معينة .) (٢)

١- د . مصطفى فهمي وزميله ، علم النفس الاجتماعي ، ص ص ١٦٦ - ١٦٧

٢- د . عبدالحميد الهاشمي ، المرشد في علم النفس الاجتماعي ، ص ١٤

جـ / ويعرفها محمود السيد أبو النيل بقوله :

(القيمة هي الصفة التي يكتسبها شيء أو موضوع ما من سياق تعامل الفرد وتفاعله معه، وتقدر قيمته بناء على مدى نفعه وفائدته للإنسان والمجتمع، بيد أن القيم التي تخص الشيء أو الكامنة فيه، يجب أن تميز عن تلك التي ينظر بها الأفراد إلى هذا الشيء حيث قد تعني الأولى امكانيات الأشياء لاشباع الرغبات، والثانية مدى الاستعداد للسلوك بطريقة محددة يمكن ملاحظتها.) (١)

ثم يضيف قائلا :

(ان مفهوم القيمة يتضمن اتخاذ قرار يحدد على أساسه سلوك الفرد والجماعة حيال موضوع من الموضوعات الهامة المتعلقة بالحاجات الأساسية بناء على نظام معقد من المعايير أو المبادىء، التي تتميز بأنها مرتبة ترتيبا معينا حسب أولويتها، وتنتج عن التفاعل والاحتكاك المتبادل للعناصر التحليلية الثلاثة في عملية التقييم التي تتضمنها الخبرة الانسانية المشتركة وهي :

الحق الذى يمثل الجانب المعرفي في الخبرة، والخير الذى يمثل الجانب الوجداني والخلقي، والجمال الذى يمثل الجانب

١ـ د. محمود السيد أبو النيل، الكتاب السنوى في التربية وعلم النفس، العدد السابع، ص ١٠٥

التذوقي . ويفترض أن هذه المبادئ واحدة في كل زمان ومكان ، والاختلافات الثقافية بين ثقافة وأخرى تتركز في ترتيب القيم ، أى أن الذى يختلف هو الترتيب وليس القيم (١) .

ويعرفها فؤاد أبو حطب قائلا :

(القيم مجموعة أحكام يصدرها الفرد علي بيئته الإنسانية والاجتماعية والمادية ، وهذه الأحكام هي في بعض جوانبها نتيجة تقويم الفرد أو تقديره ، إلا أنها في جوهرها نتاج اجتماعي استوعبه الفردُ وقَبِلَهُ ، بحيث يستخدمُها كمحطات أو مستويات أو معايير ، ويمكن أن تتحدد اجرائيا في صورة مجموعة استجابات القبول والرفض إزاء موضوعات أو أشخاص أو أشياء أو أفكار (٢)) .

وفي تعريف آخر لعبدالحليم محمود السيد يقول :

(القيمةُ عبارة عن الإطارات المرجعية العامة أو السائدة التى تربط اتجاهات الفرد فيما بينها ، وتعمل كدلائل تستخدم في تقويم الخبرة والسلوك من حيث اتفاقها أو خروجها عن الأهداف الاساسية للحياة (٣)) .

١ـ د . محمود السيد ابو النيل ، الكتاب السنوى في التربية وعلم النفس ، العدد السابع ، ص ١٠٩

٢ـ د . فؤاد أبو حطب ، المجلة الاجتماعية القومية ، المجلد ١١ العدد ١ ص ٦٢

٣ـ د . عبدالحليم محمود السيد ، علم النفس الاجتماعي والإعلام ، ص ٢٠٩

ويعرفهـا كل من : توفيق مرعي ، وأحمد بلقيس بقولهما :

(القيم تصوّرات توضيحيـة لتوجيه السلوك في الموقف، تحـدد أحكام القبول أو الرفض، وتنبع من التجربـة الاجتماعية، وتتوحـد بـها الشخصيـة، وهي عنصرٌ مشترك في تكوين البناء الاجتماعي ، لأنها تتضمن نظـامَ الجزاءات المرتبط بنظـام الأدوار في البناءالاجتماعـي ، كمـا أنهـا تكون جزءاً من لُـبّ الشخصيـة الاجتماعية، لأنّهـا حصيلـة أو نتاج عطية التنشئـة الاجتماعيـة.) (١) ٥

ويقول عنها محمـد مصطفى زيدان :

(القيمأحكام مكتسبـة من الظروف الاجتماعيـة ، ينشـر بها الفرد ، ويحكم بهـا ، وتحدد مجالات تفكيره، وتحدد سلوكـه ، وتمؤثـر في تعلمـه. فالصـدق والأمـانة والشجاعـة الأدبية والولاء وتحمل المسئوليـة، كلها قيم يكتسبهـا الفرد من المجتمع الذى يعيـش فيـه). (٢)

وعنها يقـول : حـامد عبدالسلام زهران :

(القيم عبارة عن تنظيمات لأحكام عقليـة انفعالية معممـة نحو الأشخاص ، والأشياء والمعاني وأوجـه النشاط.

(والقيم تعبيرعن دوافع الانسان وتمـثّل الأشياء التى توجـه رغباتنـا واتجاهاتنا نحوهـا .

١ـ د. توفيق مرعي وزميله، الميسر في عـلم النفس الاجتماعي، ص ٢٥٢

٢ـ د. محمـد مصطفى زيـدان ، معجم المصطلحات النفسية والتربوية ص ١٩٣

(والقيمة مفهوم مجرّد ضمني غالباً يعبّر عن الفضل أو الامتياز، أو درجة الفضل الذى يرتبط بالأشخاص أو الأشياء أو المعاني أو أوجه النشاط.

(وتقترب القيم من المُثُل، والمثل تمثّل الحوافز الطويلة الأمد، أو الغايات التى نسعى لتحقيقها.) (١)

ويقول عنها عبّاس محمود عوض:

(القيم رغم أنها مسائل ذاتية، إلا أنها إطار محدد للسلوك، فهي التى تشكل السلوك الفردى، والسلوك الاجتماعي، ومن ثم السلوك الإنتقائي.) (٢)

ونصل إلى تعريف كل من حسن عيسى، ومصرى حنتورة القائل:

إنها (حكم تفصيلي يعتبر إطاراً مرجعياً يحكم تصرّفات الإنسان في حياته الخاصة والعامة. والقيمة تمثّل معياراً للسلوك ... لذلك فإن القيم تحتّل مركزاً رئيساً في تكوين شخصية الفرد ونسقه المعرفي، بل هي التي تحدد الاتجاهات، مثلما تحدد السلوك كله.) (٣)

١- د. حامد عبدالسلام زهران، علم النفس الاجتماعي، ص ١٣٢
- د. مختار حمزة، أسس علم النفس الاجتماعي، ١٨٣
٢- د. عباس محمود عوض، القيادة والقيم، ص٥
٣- حسن عيسى وزميله، مجلة العلوم الاجتماعية، المجلد ٥ العدد ١ ص ١٨٠

(والقيم تمثل الجانب الأخطر في الطابع القومي لأي أمة من الأمم.)(١)

ويعرفها محمد ابراهيم كاظم قائلا :

(القيمة مقياس أو معيار أو مستوى نستهدفه في سلوكنا ، ونسلّم بأنه مرغوب فيه أو مرغوب عنه.)(٢)

والقيم حكمٌ عقلي أو انفعالي على أشياء ماديّة أو معنوية يوجه اختياراتنا بين بدائل السلوك في المواقف المختلفة.(٣)

ونصل أخيرا إلى تعريف ضياء زاهر القائل :

(القيم هي مجموعة من الأحكام المعيارية المتصلة بمضامين واقعية ، يتشرّبها الفردّ من خلال انفعاله وتفاعله مع المواقف والخبرات المختلفة، ويشترط أن تنال هذه الأحكام قبولاً من جماعة اجتماعية معيّنة، حتى تتجسد في سياقات الفرد السلوكية أو اللفظية أو اتجاهاته واهتماماته.)(٤)

١- حسن عيسى وزميله، مجلة العلوم الاجتماعية، المجلد ٥ العدد ١ ص ١٩٠

٢- د. محمد ابراهيم كاظم، المجلة الاجتماعية القومية، المجلد ٥ العدد ٢ صص ١٠-١١

٣- د. محمد ابراهيم كاظم، تطورات قيم الطلبة، ص ١٤

٣- د. سمير نعيم احمد، مجلة العلوم الاجتماعية، المجلد ٥ العدد ٢ ص ١٢٢

٤- د. ضياء زاهر، القيم في العملية التربوية، ص ٢٤

ولكل قيمـة معنيان :

أحـدهما موضـوعي Objective ووفق هـذا المعنى تكـون القيمـة كـلّ ما من شـأنـه ـ في أى شيء من الأشياء أو موجـود من الموجـودات ـ أن يجعلـه جـديرا بالرغبـة فيه او بالاحترام.

أما المعنى الآخـر فذاتـيّ Subjective وهو ما يرغـب فيـه شخص معـيّن أو يحترمـه، وفي هذا المعنى تختلف القيمـة مـن شخص لآخـر، بحسب الموقف الذى يحيط بكل منهم وحاجاتهم وأذواقهم. (١)

فالقيم إذاً هي مجموعـة القوانين والمقاييس التى تنبثق من مجموعـة من الناس، ومن ثـمّ تكون بمثابـة موجّهـات للحكم عـلى الأعمـال والممارسات المادية والمعنويـة، وتكون لهـا من القـوّة والتأثير عـلى الجماعـة بما لها من القوة والتأثير على الجماعـة، وذلك لمالهـا من صفـة الضـرورة والالزام والعموميـة، عـلى أن أى خـروج عـليها أو انحراف عنها، يصبح بمثابة خروج عـن أهداف الجماعـة ومثلهـا الـعليـا. (٢)

١ـ د. احمد زكي بدوى، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، ص ٤٣٨ ـ ٤٣٩

٢ـ د. لطفي بركات احمـد، القيم والتربيـة، ص ٤

ونستطيع أن نخلص من كل ما تقدم إلى الأمور التالية :[1]

١ـ أن القيمة كانت تعني أن شيئا كان ثمنه المقابل له كذا، ثم استعمل بمعنى القدر والمنزلة. ومن هنا نشأ المعنى الفلسفي لهذه الكلمة، فهو انتقال من دلالة مادية معروفة في علم الحساب إلى دلالة معنوية تعبّر عمّا في الأشياء من خير أو جمال أو صواب.

٢ـ أن القيمة بوجه عام مجموعة الخصائص الثابتة للشيء التي يقدر بها، ويرغب فيها من أجلها. ويتكون سلّم القيم للأشياء من جهة تفاوتها فيما يقتضي لها التقدير أو ما يبعث على الرغبة فيها.

٣ـ ولقد اختلف الفلاسفة في قيم الأشياء، هل هي حقائق ذاتية أو اعتبارات ذهنية ترجع إلى تقدير الفرد أو إلى ظروف المجتمع. فمنهم من جعل قيم الأشياء في :

أ / مقدار محاكاتها للعالم العُلوي.

ب / التطابق بين الارادة والعقل.

جـ / الحكم عليها بمقياس اللذة.

د / ارجاعها الى موافقة الطبيعة.

١ـ نخبة من الاساتذة المختصين، معجم العلوم الاجتماعية، ص٤٧٣

لكنّ الدين الاسلامي أبرزها في صورة واضحة، وبيّن ما يربط الحياة الدنيا بالحياة الأخرى، ولهذا الارتباط شأنه في تقويم الأشياء والأعمال، ومن ثمّ الحكم عليها. إذ أن حكم الله هو الفيصل في الحكم على الحسن والقبيح، والضار والنافع، والمباح والمحرم.

فالحسنُ ما وافق أوامر الشرع واستوجب الثواب، والقبيح ما خالف الشرع، وترتّب عليه العقابُ سواء في الدنيا أو الآخرة.

فأعمال الدنيا مقدمة حسب نتيجتها في الآخرة، وقيمة الأشياء من حيث ما تحصله للإنسان من حسن الأفعال أو قبحها.(١)

السمات العامة للقيم

لعل أهم هذه السمات ما يلي:(٢)

١- القيم أساسية في حياة كل انسان سويّ. فالقيم أشبه بمرشد يتحكّم في النشاط الحرّ الإرادي. وهذه القيم تساعد كل انسان على تنظيم معالم شخصيته الفردية الاجتماعية، كما تساعد القيمُ على تناسق بناء الذات.

٢- القيم ذات طبيعة ذاتية اجتماعية لها أثر بارز في

١- نخبة من الأساتذة المختصين، معجم العلوم الاجتماعية، ص ٤٧٣

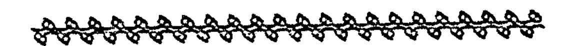
٢ - د. عبدالحميد الهاشمي، المرشد في علم النفس الاجتماعي، ص٢ ١٤

- د. توفيق مرعي وزميله، الميسّر في علم النفس الاجتماعي، ص ٢٥٣

السلوك العام والخاص، وفي تحديد العلاقات مع بعض أفراد الجماعة الكبرى التي يعيش فيها ذلك الفرد .

٣- القيم ذات ثبات واستقرار نفسي اجتماعي نسبي ، لأنها تدخل في نطاق العادات الفكرية والاجتماعية والسلوكية. ولكن هذا الثبات النسبي يسمح بالتغيير والتعديل إذا أراد الفرد ذلك وصدقت عزيمته.(١)

٤- تترتب ترتيباً هرمياً إذْ يحاول الفردَ أن يُخضع قيمه بعضها لبعض، فيخضع الأقل قبولا عند الناس للأكثر قبولاً وفقاً لترتيب خاص به.



١- رددت على هذه المقولة في (القيم الاسلامية وعلاقتها بالشريعة). انظر ص ١٠١ وما بعدها من الصفحات، من هذه الدراسة.

دور القيـــم في الحياة النفسية والاجتماعية للفرد

إذا كانت القيم ترتبط عنـد الأفـراد والجماعـات بمعنى الحيـاة ذاتهـا ،لأنهـا ترتبط ارتبـاطا وثيقا بدوافع السلوك وبالآمـال والأهـداف. (١) فكـيف يتعلمها الفرد. ؟؟؟؟

القيـم نتاج اجتماعي ، يتعلمهـا الفرد ويكتسبها ويتشربهـا ثم يستدخلهـا تدريجيـا ويضيفهـا إلى إطـاره المرجعي للسلوك ، ويتم ذلك خلال التنشئة الاجتماعية. كمـا أن الفرد يتعلم عن طريـق التفاعـل الاجتماعي أن بعض الأهـداف والدوافع تفضـل غيرهـا ، ويفـضّلها عـلى غيرها ، أى أنـه يقوّمها أكثر من غيرها . (٢)

إذا كان ذلك كذلك ، فهل لنا أن نتعـرّف عـلى آثـار القيم في حياة الإنسـان إذ أنهـا تكوّن جزءاً من إطاره المرجعي للسلوك ؟

إننا نستطيع أن نتعرف عـلى آثارهـا في المجالات التالية :

١ـ في التوجيـه والارشاد النفـسي : ويبدو ذلك بصفة خاصـة في انتقاء الأفراد الصالحين لبعض المهن مثل رجال السياسة

١ـ د. توفيق مرعي وزميله ، الميسر في علم النفس الاجتماعي ، ص ٢٤٨

٢ـ د. حامد عبدالسلام زهران ، علم النفس الاجتماعي ، ص ١٣٣

ـ د. مختار حمـــزة ، أسس علم النفس الاجتماعي ، ص ١٨٣

ـ د. سمير نعيم احمـد ، مجلة العلوم الاجتماعية ، المجلد ١٠ العدد ٢ ص ١٢٣

٣ـ د. حامد عبدالسلام زهران ، المرجع السابق ، ص ١٣٦

والأخصائيين النفسيين والاجتماعيين وغيرهم، حتى يتعلم الناس منهم القيم الصالحة.

٢- في الصحة النفسية والعلاج النفسي : لعله من المعروف أن أي عملية تستهدف تعديل السلوك، ينبغي أن تضع في الاعتبار جميع جوانب الشخصية المستهدفة بما في ذلك القيم. ولا يخفى الأثر الذى تقوم به القيم في عمليات العلاج النفسي، إذ أن تصارع القيم عند بعض الأفراد يؤدى بهم إلى اضطرابات سلوكية نشاهدها في حالات العصاب النفسي (١). كما أن الاختلاف في الدين أو في الطبقة الاجتماعية أو المبادىء السياسية يؤدى إلى تعرضهم أكثر من غيرهم للاضطرابات النفسية.

٣- في الحياة : تكون القيم جزءاً لا يستهان به في الإطار المرجعي للسلوك في حياة الأفراد العامة (٢)، والخاصة (٣).

من كل ما تقدم نستطيع القول بأن القيم ذات تأثير واضح في توجيه سلوك الفرد، وهي أعمق في تركيب الشخصية، وأقل قابلية للتغير. لذلك فهي ذات علاقة بتوافق الفرد أو بسوء توافقه، وسوء التوافق دليل على اضطراب الشخصية (٤).

١- العصاب Neurosis اضطراب عصبي وظيفي محدود لا يؤدى بصاحبه الى مستشفى الأمراض العقلية. (د. الخولي، قاموس التربية ٣١٧)

٢- د. حامد زهران، علم النفس الاجتماعي، ص ١٣٥

٣- د. عبدالحميد الهاشمي، المرشد في علم النفس الاجتماعي، ص ١٤٣

٤- د. عباس محمود عوض، القيادة والقيم، ص ٥

إذاً هل يحق لنا أن نتساءل عن تأثير القيم في سلوك الأفراد والجماعات بعد ذلك ؟؟

نعم، (القيم تؤثر في سلوك الفرد تأثيرا يتفاعل مع مؤثرات أخرى لتحديد السلوك في المجال المعين) (١) فهي توجد حالة من التأثير المنظم على السلوك (٢).

فكل جماعة وكل مجتمع تنتظم فيه مجموعة من القيم، يشترك فيها الناس، وهي تنظم سلوكهم الاجتماعي، وحينها نطلق عليه نظام القيم : Value System القائم في تلك الجماعة أو ذلك المجتمع، وهذا النظام قد يختلف في تلك الجماعة أو ذلك المجتمع، وإن اشترك معها في بعض نواحيه (٣).

ولا يقتصر الأمر في تأثير القيم على السلوك ، بل انها أيضا تؤثر في الادراك، اذ أن الأشخاص الذين تسودهم القيم الدينية يدركون الكلمات الدينية ويتعرفون عليها بسهولة أكثر من غيرها من الكلمات (٣).

كما أن القيم المدمرة التى تنشرها القوى الاستغلالية بين فئات المجتمع ، والأوهام الزائفة التى تروج لها مثل قيم الأنانية والفردية

١- د. محمد ابراهيم كاظم، المجلة الاجتماعية القومية، المجلد ٥ العدد ٢ ص ١٠
٢- د. فاروق سيد عبدالسلام، مجلة كلية التربية بمكة العدد ٤ السنة ٤ ص ١٢١
٣- د. حامد عبدالسلام زهران، علم النفس الاجتماعي، ص ١٣٥
- د. مختار حمزة ،أسس علم النفس الاجتماعي ، ص ١٨٣

أو القيم التي يستحيل اتباعها إلا لفئات قليلة على حساب الأغلبية.(١)

مستويات القيم

(٢)
حدد العلماء للقيم مستويات ثلاث، يدل كل منها على مرحلة من مراحل الاستيعاب (٣). وهذه المستويات هي :

١- مستوى التقبّل (٤): Acceptance وهو المستوى الذى يشار إليه في التراث السيكولوجي بمصطلح اعتقاد belief ، وهو تقبّل انفعالي لقضية أو مبدأ على أساس يعتبرها المرء ضمنيا أساسا ملائما. أما من حيث اليقين فانه - أي هذا المستوى - يقع في أدنى درجاته.

٢- مستوى التفضيل : Preference وهو مستوى يقع في منزلة بين التقبّل والالتزام الكامل، ويتمثّل في اندماج الفرد في موضوع القيمة. أما من حيث درجة اليقين، فهي في منزلة متوسطة.

٣- مستوى الالتزام (٥): Commitment ، وفيه توجد أعلى درجات اليقين.

١- د. سمير نعيم احمد، مجلة العلوم الاجتماعية، المجلد ٧ العدد ٢، ص ٨٦

٢- د. فؤاد أبو حطب، المجلة الاجتماعية القومية، المجلد ١١، العدد ١، ص ٦٢

٣- الاستيعاب: تعني تشرّب الفرد لقيم الجماعة واتخاذها هاديا لسلوكه.

د. محمد الخولي، قاموس التربية، ص ٢٤٣

د. احمد زكي بدوى، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، ص ٢٢٣

٤- التقبل : خبرة أو مظهر أو سلوك يتميز باتجاه إيجابي مفهوم، أو حكم ما.

د. احمد زكي بدوى، المرجع السابق، ص ٥

٥- الالتزام: قد يكون خلقيا لا ينشأ عن عقد، بل عن طبيعة الانسان من حيث قدرته على الاختيار بين الخير والشر.

د. محمد الخولي، المرجع السابق، ص ٧١

ـ تصنيف القيـــــــــــم

حـــاول بعض العلماء تصنيف القيم إلى أنواع هـــي (١) :

١ـ القيم الدينيـــة : Religious ، وهي ما تهتم بالدين والمعتقدات ، ويعـــبّر عنها اهتمام الفرد وميله إلى معرفة ماوراء العالم الظاهرى الـــذى يعيش فيــــه ، فهو يرغب في التوصل إلى معرفة أصل الإنسان ومصيره . كمـــا أنــــه يرى أن هناك قوة تسيطر على العالم الذى نعيش فيه ، لذا فهو يحاول أن يصل نفســـه بهذه القوة . ويتميز معظم الأشخاص الذين تسودهم هذه القيمـــة باتباع تعاليم الدين الذى يعتنقونه في كل النواحي . كما يتميز بعضهم بإشباع هذه القيمة في طلب الرزق والسعي وراء العمل في الدنيا على اعتبار أن ذلك عمل ديني .

٢ـ القيم النظريـــة : Theoritical وهي ما تهتم بالمعرفـــة والحقيقـــة . ويعبّر عنهـــا اهتمام الفرد وميله إلى اكتشاف الحقيقـــة ، فيتخـــذ اتجاها معرفيـــا من البيئة والعالم المحيط به ، فهو يسعى وراء القوانين التى تحكم

١ـ د . حامد عبدالسلام زهران ، علم النفس الاجتماعي ، ص ص ١٣٣ ـ ١٣٤

٢ـ د . محمود السيد أبو النيل ، علم النفس الاجتماعي ، ص ٢٣٠

٣ـ د . توفيق مرعي وزميله ، الميسر في علم النفس الاجتماعي ص ٢٦٧

ـ عبدالحميد الهاشمي ، المرشد في علم النفس الاجتماعي ، ص ص ١٤١ ـ ١٤٢

ـ د . مصطفى فهمي وزميله ، علم النفس الاجتماعي ، ص ١٧٢

ـ د . سعيد جلال ، علم النفس الاجتماعي ، ص ١٥٦

ـ د . حنا غالـــب ، التربية المتجددة وأركانها ، ص ٤٥

هذه الأشياء للتعرف عليها . وهؤلاء يتميزون بأن نظرتهم موضوعية نقدية، معرفية، تنظيمية، وعادة يكونون من الفلاسفة والعلماء.

٣- القيمة الاقتصادية : Econemical وهي ما تهتم بالنواحي المادية. ويعبّر عنها اهتمام الفرد وميله إلى ما هو نافع، بحيث يتخذ من البيئة والعالم المحيط به وسيلة للحصول على الثروة وزيادتها عن طريق الإنتاج والتسويق والاستهلاك واستثمار الأموال. ويتميز هؤلاء بأن نظرتهم عملية، ويكونون عادة من رجال المال والأعمال.

وأصحابها يرون أن القيم النظرية مضيعة للوقت، ويحددون علاقات الناس فيما بينهم على أساس الثروة والمال.

٤- القيم الجمالية Aesthetic ، وهي ما تهتم بنواحي الشكل والتناسق، ويعبّر عنها اهتمام الفرد وميله إلى ما هو جميل من ناحية الشكل أو التوافق والتنسيق. ويتميز الأشخاص الذين تسودهم هذه الصفة بالفنّ والابتكار، وتذوّق الجمال، والابداع الفني ونتائجه. وهؤلاء يعارضون المؤمنين بالقيم الاقتصادية المادية ويرون أنهم يئدون القيم الجمالية.

٥- القيم الاجتماعية : Social ، ويعبّر عنها اهتمام الفرد وميله إلى غيره من الناس، فهو يحبهم ويميل إلى مساعدتهم، ويجدون في ذلك إشباعا. ويتميز أصحابها بالعطف والحنان والإيثار وخدمة الغير، كما أنهم ليسوا أنانيين أو انفعاليين عاطفيين.

٦- القيم السياسية : Political وهي ما تهتم بنواحي السلطة والمركز الاجتماعي . ويعبر عنها اهتمام الفرد بالنشاط السياسي أو العمل السياسي، وحل مشكلات الجماهير، ويتميز الأشخاص الذين تسود عندهم هذه القيم بالقيادة في نواحي الحياة المختلفة، ويتصفون بقدرتهم على توجيه غيرهم، وبعلاقاتهم الاجتماعية النفعيه.

هذا التصنيف الذى مربنا هو التصنيف الذى يطلق عليه العلماء تصنيف المحتوى، وهناك عدة تصانيف أخرى منها : (١)

١- التصنيف على أساس الشدة : من حيث انها ملزمة تحدد ما ينبغي أن يكون أو لا يكون. أو أن تكون قيما تفضيلية تحدد ما يفضل أن يكون، أو مثالية تحدد ما يرجى أن يكون.

٢- التصنيف على أساس العمومية : من حيث عمومية شيوعها وانتشارها في المجتمع كله بصرف النظر عن ريفه وحضره، وطبقاته وفئاته المختلفة.

٣- التصنيف على أساس المقصد : من حيث انها قيم وسائلية تعتبر وسائل لغايات أبعد، أو أنها غائية تعتبر غاية في حد ذاتها.

١- يمكن التوسع في معرفة تفاصيلها في المراجع التالية :

- د. عبدالحميد الهاشمي، المرشد في علم النفس الاجتماعي.
- د. حامد عبدالسلام زهران، علم النفس الاجتماعي.
- د. مصطفى فهمي وزميله، علم النفس الاجتماعي.
- د. مختار حمزة، أسس علم النفس الاجتماعي.
- د. سعيد جلال، علم النفس الاجتماعي.

هذا التصنيف أو التمييز للقيم لا يعني أنها منفصلة بعضها عن بعض، ولكنها تترابط مع بعضها من أجل تحديد الأهداف التي يسعى الفرد والمجتمع لها، ومن ثم تحديد معالم فلسفة الحياة في هذا المجتمع أو ذاك.

وحتى يتضح لنا ذلك نستطيع القول بأن (القيم الجمالية ممتلكة لقيم الحق، والقيم الأخلاقية هي جميعها قيم اجتماعية، والقيم الدينية لها أبعاد اجتماعية وجمالية.)[1]

ولعله من الواجب أن نشير هنا إلى أن القيم السائدة في العالم الآن هي في غالب أمرها قيم مادية، إذ شُغل العالَم المعاصر بالإنجازات العلمية والتقنيّة التي أدت إلى قيام التناقض والصراع بين الفلسفات التي تسود في مجتمعاتنا المعاصرة، وبين التطبيق التربوي، مما أدى إلى انعكاس تلك التناقضات في صورة قلق نفسي، وارتياب، وضياع، مما يجعل التخلص منها يكمن في إعادة التوازن والتكامل بين القيم والأهداف التربوية التي يقصدها المجتمع.

وكما رأينا فيما سبق أن القيم من أهم العوامل التي تسهم في تقدم ورقي المجتمع، وذلك لارتباطها الوثيق بواقع الحياة والمجتمع، واستمدادها لمقوماتها من فلسفته.

١- فيليب هـ. فنيكس، فلسفة التربية، ص ٨٢٤، ترجمة: النجيحي.

القيم الاسلامية وعلاقتها بالتربية الاسلامية

حتى نستطيع أن ندرك هذه العلاقة بينهما ، لابد لي أن أوضح أمرين هامين هما :

١) أن هذه العلاقة علاقة وثيقة ومتبادلة بين المجتمع والتربية، فالتربية تنفعل بما في المجتمع، وتقوم على أنساقه (١) ونظمه ، لتعبر بالتالي عن أهدافه وخصائصه وثقافته ومن ثم تعمل على تحقيق هذه الأهداف وابراز هذه الخصائص ، ولتعكس أطره الفكرية والحضارية، والاقتصادية والسياسية، ومن ثمّ تحافظ عليها وتعمل على الابقاء عليها بين أبنائها .

٢) تحتاج عملية الإحياء الحضارى الشامل الذى تسعى المجتمعات العربية الاسلامية الى الوصول إليها الى مُعِينٍ لها في هذه العملية، والتربية الاسلامية أكبر مُعين لها في هذا المجال ، فتربية الانسان المسلم، القادر على تحمل المسئولية ، يسهم في هذه العملية، بوعي واخلاص وصدق ، وهذا ما تحتاجه المجتمعات العربية المسلمة هذه الأيام .

من هذا يظهر لنا أن العلاقة بين القيم والتربية الاسلامية علاقة وطيدة، فكلاهما يهتم ببناء الانسان والمجتمع، لإحداث التقدم المطلوب، من أجل تحقيق غايات الانسان المسلم الصالح الواعي .

١ـ النسق : ما جاء من الكلام على نظام واحد . (الغيروزآبادى ، القاموس مادة : نسق .)

يقال أمر فلان متسق : أى مجتمع على الصلاح منتظم . (تفسير القرطبي ، ١٩ / ٢٧٨)

فوظيفة التربية الاسلامية أن تقوم بإعداد المناخ الاجتماعي الذى ينمو فيه الأفراد متمسكين بقيم الاسلام في العمل والتعامل، في الانتاج والاستهلاك، في الحب والخير، وفي الحقوق والواجبات.

ولمّا كانت تربية العقيدة في الأفراد والمجتمعات على السواء لها أثر فعّال في سلوكهم، وذلك لما تحتويه العقيدة من أصول لها أهميتها البالغة في تحصيل سعادة الدنيا والآخرة، اذ أن العقيدة الاسلامية تدعو إلى تحرير الانسان من الخوف الا من الله عزّ وجل، وتدعم كرامة الانسان، واستقلاليته، وترفّعه عن الدنايا والرذائل، والخضوع لغير الله تعالى الا فيما أمر به سبحانه.

ففي هذا المقام يقول الامام ابن تيمية (إنما الدين الحق هو تحقيق العبودية لله بكل وجه، وهو تحقيق محبة الله بكل درجة، وبقدر ما تكمل محبة العبد لربه، وتكمل محبة الرب لعبده، وبقدر نقص هذا يكون نقص هذا، وكلما كان في القلب حب لغير الله، كانت فيه عبودية لغير الله بحسب ذلك.)(١)

فالعقيدة الاسلامية لها أثرها الواضح في تربيتها نفوس الأفراد وعقولهم، بحيث تصبح هي العامل النفسي المؤثر والموجه الأساسي والرئيسي في سلوك الإنسان، كما أنها تصبح

١- العبودية، ص ١٣٦

المحرك الفعال لجميع نشاطاته وتوجهاته، وطالما كانت العقيدة الاسلامية هي الموجهة والمحركة لنشاطات وتوجهات الفرد المسلم، فإنها ستؤدى حتماً إلى سلوك متزن فريد من نوعه، تحكمه وتسيطر عليه هذه العقيدة.

ولما كانت العلاقة بين العقيدة والقيم في المجتمع الإسلامي علاقة وطيدة وثيقة، فإنه لا يمكننا أن نفصل بينهما لأنهما متحدان ومتكاملان، اذ لا يوجد مجتمع مسلم بدون عقيدة التوحيد الإسلامية، ولو تغيّرت هذه العقيدة أو أصابها التغيير أو الانحراف لرأينا القيم في هذا المجتمع منهارة مزعزعة لا تقوى على الصمود والوقوف، أي أننا نستطيع القول بأنه يستحيل قيام قيم إسلامية بدون عقيدة التوحيد، أى أن هناك نوعاً من التبادل الوظيفي بين العقيدة والقيم في المجتمع الاسلامي، حيث تضمن العقيدة للقيم تحقيق أهدافها الأساسية السامية، كما أن بقاء هذه القيم فيه تأكيد للعقيدة وعمل لبقائها واستمرارها حيث يظهر لنا أن هذه الأهداف هي جزء أصيل في العقيدة.

ولعلنا نلاحظ أن القيم ـ بكل أصنافها ـ قد حظيت ـ وخاصة الأخلاقية منها ـ بعناية بالغة في الدين الإسلامي، وذلك لأنه اعتبرها أساس بناء الشخصية المسلمة من أجل ذاتها نفسها، ثم من أجل الآخرين، وكل ذلك لازم للنهوض بالانسان الفرد ثم بالمجتمع المسلم.

إن القيم مهمة ضرورية لكل مجتمع بشرى، فهي خير وسيلة لبناء خير فرد ومن ثم خير مجتمع، وخير حضارة انسانية، ولعلّ هذا من الأمور الضرورية واللازمة لحماية الحياة الفردية، ثم الاجتماعية في ذلك المجتمع.

من هذا المنطلق نستطيع القول بان القيم الاسلامية سياجٌ يحمي منجزاتِ المجتمع الحضارية من الانهيار والتسيب ثم الانحلال ، وهي بهذا ضابطٌ متزن يضبط سلوك الأفراد ، ويحوله إلى إسهامات وفعاليات حقيقية نشاهد آثارها واضحة ملموسة في حياة الناس.

ولقد اتخذ الدين الاسلامي لتحقيق هذه القيم في المجتمع عدّة مسالك تربوية منها :

أ/ ربط الفعل المنهي عنه برادع ديني يتمثل في التحذير بتوقيع عقوبة أخروية على مرتكب بعض الرذائل التى لا يمكن ضبطها بمظاهر محددة مثل : الغيبة، والنميمة، والحسد ، والحقد ، وما إلى ذلك مما يتصل بالجانب الخلقي أكثر مما يتصل بالجانب العملي . (١)

ب/ كانت نظرة الاسلام إلى البشر على أنهم بشر وليسوا ملائكة يعيشون بلا خطيئة، وإنما هم بشر تتحكم فيهم الشهوات والنزعات والرغبات، ولا بد أن يوجد من بينهم من يضعف لديه الوازع الديني ، فلا يستجيب للترهيب الأخروى . . . . . لذلك لجأ

١- محمود شلتوت، الاسلام عقيدة وشريعة، ص ٢٩١

إلى وضع عقوبات دنيوية، لكبح جماح هذه النفوس من جهة، ولصيانة المجتمع الاسلامي من شيوع الفساد والفوضى من جهة أخرى.

فكأن العقوبات الدنيوية مترتبة على الأفعال التى يترتب عليها أو على إتيانها أو ترك العمل بها ضرر بنظام المجتمع الاسلامي، وعقيدته وقيمه، أو بحياة أفراده، أو بأموالهم، أو أعراضهم، أو مشاعرهم، أو بغير ذلك من شتى الاعتبارات التى تستوجب ضمان بقاء المجتمع قويا متضامنا متصفا بالأخلاق الفاضلة الكريمة التي تساعد على العيش في هدوء وراحة بال.(١)

واذا كنا قد اعتبرنا التربية في جوهر عملها عملية قيمية سواء عبرت عن نفسها في صورة واضحة أو ضمنية، فان المؤسسة التعليمية تسعى بكل وظائفها وعلاقاتها إلى بناء القيم في كل مجالاتها الخلقية أو النفسية أو الاجتماعية أو الفكرية أو السلوكية.(٢)

ذلك لأن المؤسسة التعليمية تعكس صورة الواقع الذى تعيش فيه، والمستقبل الذى تتطلع إليه، فالعمل النافع اجتماعيا قيمة تسعى المؤسسات التعليمية لغرس مبادئها في نفوس أفراد المجتمع، وكذلك التعاون من أجل الصالح العام قيمة تخطط في ضوئها أسس العلاقات الإنسانية الطيبة بين أفراد المجتمع، والعمل الوظيفي قيمة اذا حقق رفاهية أفراد المجتمع، واستثمار الموارد والامكانات

١ـ عبدالقادر عودة، التشريع الجنائي الاسلامي، ج ١، ص ٦٨ـ ٦٩

٢ـ د. لطفي بركات احمد، القيم والتربية، ص ٣٢ـ ٣٥

سواء المادية أو البشرية بفاعلية مؤثرة قيمةً إذا خُطط لها تخطيطاً علميا مدروسا ... وهكذا.(١)

والسؤال الذى يطرح نفسه بعد ذلك، هو : ماهي وظيفة المؤسسات التعليمية والتربوية في بناء القيم في المجتمع، ومن ثَمَّ ترجمتها إلى دلالات سلوكية. ؟؟؟؟

قبل الاجابة عن هذا السؤال، أحب أن أوضح مايلي :(٢)

١- يجب أن تكون مصادر القيم سماوية لما تتضمنه من قواعد وخصائص عامة صالحة لهداية البشر كل البشر في كل زمان ومكان.

٢- أن تكون وثيقة الصلة والارتباط بأساسيات الوجود الانساني في المجتمع، فهي تعبّر عمّا هو صواب وما هو خطأ، وعمّا هو حقّ وما هو باطل ... وغير ذلك من الأمور التى تشكل نظرة الانسان إلى مجتمعه وعلاقاته به.

٣- يجب أن تتضمن الجوانب المادية والجوانب المعنوية في الحياة حتى يكون للمجتمع توازنه الشامل الكامل.

٤- يجب أن يثق بها أفراد المجتمع، وأن يعلموا أنها تساعدهم على تطوير مستقبلهم بتحويل أفراد المجتمع على نحو يختلف عمّا هم عليه اذا تركوا وشأنهم دون بناء قيمي مقصود.

١- د. لطفي بركات احمد، القيم والتربية، ص ص ٣٢- ٣٥

٢- د. ضياء زاهر، القيم في العملية التربية، ص ٧٠

٥- إن بناء قيم المجتمع تؤثر فيه كلّ مؤسسات وأجهزة المجتمع، وما تنظمه من علاقات، وما تختاره من وسائل.

وإذا كان ذلك كذلك، وإذا كانت التربية تهدف إلى تنمية الفرد والجماعة إلى مستويات نحو الأفضل عن طريق الاكتمال والنضج، والتهذيب والتثقيف المستمر المتواصل، فان بناء القيم في الفرد والجماعة ليس مسئولية المؤسسات التربوية والتعليمية وحدها، بل هي أيضا مسئولية كل أجهزة ومؤسسات المجتمع في مختلف مواقعها المتعددة الأوجه، حتى لا يصبح البناء تناقضات فكرية قيمية بين العمل والفكر، أو بين التطبيق والنظرية، وبين الادراك الحسي والادراك العقلي.

لذلك فان بناء القيم على مختلف المستويات والمواقع يستلزم الاستبصار بمظاهر السلوك والأنشطة المنبثقة عنه بالنسبة للصغير والكبير، والسوي والمعوق على السواء.

من هنا نستطيع القول بأن التنظيم الاجتماعي الذى يسود في مجتمع ما، قد نسّقت ونظّمت وتبلورت أهدافه حتى تستطيع الجماعة التخلص من مظاهر الفوضى والتضارب، وحتى تتمكن من التحرروالانطلاق.

وحتى يمكن الانتقاع من هذا التنظيم لابد من وجود القيادات القادرة على تحمل المسئولية.

لذا كان من الواجب على التربية أن تعمل على اعداد أجيال قادرة على تحمل المسئولية، والإسهام في الحياة العامة بصورة

إيجابية لمواصلة النهوض والارتقاء بأنفسهم ومن ثمّ بمجتمعاتهم.(١)

وإذا كان العلماء قد اتفقوا على أن المقصود بظاهرة الضبط الاجتماعي هو (ما تضعه الجماعة من قيود لتضمن لجميع الأفراد فرصا متكافئة من حرية العمل وحق الانتفاع بالنتائج)(٢) ، فإن ذلك لا ينافي حرية الفرد بل بالعكس، فالضبط وسيلة من وسائل شعور الفرد بحريته.(٣)

ومهمة التربية أن تعوّد الفرد الذى يرى نفسه في جماعة، وفي إطار المصالح المشتركة، أن يرى سلوكه لا على أنه مصدر رضا لنفسه هو فقط، ولكنه أيضا مصدر رضا وإسعاد لغيره من أبناء المجتمع، ووسيلة تمكّن الآخرين من أن يحصلوا على حقوقهم وإسعادهم.(٤)

لذلك تعمل تلك التربية (على تفهم الفرد لقيم وعادات ومُثُل ومعايير الجماعة التى هو عضو فيها ، وذلك بتهيئة جو تربوى اجتماعي طبيعي ينمو فيه الفرد ويتعلّم على نحو يخدم أغراض الانطلاق الفردى والتقدم الاجتماعي .)(٥)

١- د . محمود الشق وآخرون ، التربية المعاصرة ، ص ٥٢

٢ ، ٣ ، ٤ ، المرجع السابق ، ص ص ٥٢ - ٥٣

٥- المرجع السابق ، ص ٣١

من هنا نجد المصطفى ﷺ يحرص أشد الحرص في فترة الدعوة المكية على تطبيق ما جاء في القرآن الكريم من تربية العقيدة الصحيحة في نفوس الأفراد الذين استجابوا لدعوته، وبذلك استطاع ﷺ أن يغير حياة العرب تغييراً جذرياً، لا يماثله أى تغيير آخر، إذ استطاع أن يحرر الجماعة الاسلامية الأولى من عبادة غير الله، ومن الخضوع لأحد غير الله سبحانه وتعالى، وبذلك أبطل الوثنية وعبادتها، وحارب الشرك في كل صوره، وقضى على عبادة الأصنام والأوثان، ودعا إلى توحيد الله سبحانه، وإخلاص العبادة له وحده، ومن ثمّ نبذ كل ما كان عليه أهل الشرك من ضلال وعباداتٍ ومثلٍ وقيمٍ فاسدة.

يقول سيد قطب ـ رحمه الله ـ : (١)

(عندما بدأ الرسولُ الكريم دعوتَه، كان ينبغي أولاً تحرير الروح البشرية من العبودية لغير الله من الأرباب المتفرقة، من الأهام المخيمة، ومن الشهوات المذلة، ولم يكن بدٌ من هذا التحرير قبل كل شيء لانقاذ الروح الانسانية وتطهيرها، وإعدادها لتكاليف الحياة الرفيعة التى يتطلبها الاسلام.)

والمتتبع لتاريخ دعوته ﷺ يجد ان الطريق لم يكن سهلاً ميسوراً، فقد تعرّض في سبيلها ـ ﷺ ـ لصنوف كثيرة من المعارضة والتكذيب، كما تعرّض أصحابه الأول رضي الله عنهم لصنوف من العذاب الذى لا يطيقه إلا المؤمنون من البشر، وكان في كل ذلك، يحضهم ﷺ على الصبر والثبات على عقيدتهم، كما أمره بذلك رب العالمين سبحانه، وبذلك استطاع ﷺ أن يجعل من

---

١ ـ دراسات إسلامية، ص ٧٤

جماعة الاسلام الأولى دعاة إلى الحق، ومقتدين بتربيته ﷺ لهم، حتى خلصت عقيدتهم، وصفت لله وحده، وصارت عبادتهم خالصة لله رب العالمين.

ثم يردف رحمه الله قائلا : (إن الله سبحانه وتعالى يعلم أن الأخلاق لا تقوم إلا على أساس من عقيدة، تضع الموازين، وتقرر القيم، كما تقرر السلطة التي تستند إليها هذه الموازين والقيم، والجزاء الذى تملكه هذه السلطة، وتوقعه على الملتزمين والمخالفين وأنه قبل تقرير هذه العقيدة، وتحديد هذه السلطة تظل القيم كلها متأرجحة، وتظل الأخلاق التى تقوم عليها متأرجحة كذلك، بلا ضابط وبلا سلطان، وبلا جزاء.

(ولما تقررت العقيدة ـ بعد الجهد الشاق ـ وتقررت السلطة التي ترتكن إليها هذه العقيدة. . . لماعرف الناس ربهم عبدوه وحده، لما تحرر الناس من سلطان العبيد ومن سلطان الشهوات . . . تطهرت الأرض من الرومان والفرس . . . لا ليتقرر فيها سلطان العرب، ولكن ليتقرر فيها سلطان الله . . . لقد تطهرت من سلطان الطاغوت كله، رومانيا . . . وفارسيا وعربيا على السواء.) (١)

هذا هو الأساس الذى يقوم عليه منهج التربية المحمدية ، وتلك هي الخطوط الرئيسة الهامة فيها بصورة عامة، وفي التربية الاعتقادية بصورة خاصة. وهذه هي التربية الحقة التى انتهجها مربي الانسانية، ومهذب البشرية سيدنا محمد ﷺ والتى أعطت

١ـ معالم في الطريق، ص ٣٧

ثمارها الطيبة، فغرست العقيدة الاسلامية في نفوس المسلمين الأوائل .

وتكررت معناهذه الصورة عندما حدثت حادثة خسوف الشمس في المدينة المنورة بعد الهجرة، فقد ورد في صحيح مسلم: (١)

(عن عائشة — رضي الله عنها — قالت خسفت الشمس، في عهد رسول الله ﷺ فقام رسول الله ﷺ يصلي فأطال القيام جداً، ثم ركع فأطال الركوع جداً، ثم رفع رأسه فأطال القيام جداً، وهو دون القيام الأول، ثم ركع فأطال الركوع، وهو دون الركوع الأول، ثم سجد، ثم قام فأطال القيام، وهو دون القيام الأول، ثم ركع فأطال الركوع، وهو دون الركوع الأول، ثم رفع رأسه فقام فأطال القيام، وهو دون القيام الأول، ثم ركع فأطال الركوع، وهو دون الركوع الأول، ثم سجد، ثم انصرف رسول الله ﷺ وقد تجلت الشمس.

(فخطب الناس، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

(إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، وإنهما لا ينخسفان لموت أحد، ولا لحياته، فإذا رأيتموهما فكبروا وصلوا، وتصدقوا . يا أمة محمد إنْ من أحد أغيرُ من الله أن يزني عبده، أو أن تزني أمته . يا أمة محمد لو تعلمون ما أعلمُ لبكيتم كثيراً ولضحكتم قليلاً ألا هل بلغت؟ ؟)

١— الامام يحيى النووي، شرح صحيح الامام مسلم، ج ٦ ، ص ٢٠٠

— احمد بن علي بن حجر العسقلاني ، فتح الباري، ج ٢ ، ص ٥٢٩

— الامام احمد بن حنبل ، المسند ، ج ٤ ، ص ٢٤٩

— الامام عبد الرحمن بن شعيب النسائي ، السنن، ج ٣ ، ص ١٣٣

— الامام عبد الله بن يزيد بن ماجة، السنن، ج ١، ص ٤٠٠

كان حدوث هذا الخسوف ـ وهو حدث كوني ـ يوم وفاة ابـن المصطفى ﷺ ابراهيم، فشاع بين الناس أن الشمس إنما خسفت ذلك اليـوم لموت ابن المصطفى ﷺ، ولما كان هذا الوضع يتعلـق بالعقيـدة، كان لابـد للرسول ﷺ أن يبين للمسلمين حقيقـة هـذا الحـدث، ومن ثم يصحح مفاهيم الناس عنـه، حتى تظـل عقيدتهم صافيـة نقيـة، كما أرادها الله سبحانه وتعالى ببعثته ﷺ.

ولما كانت الأحـداث الكونية عـادة ما تشـد الناس وانتباههم إليهـا، وتشغل جـزءا كبيرا من تفكيرهم، فيغتنم بعض ضعاف النفوس هـذه الأحـداث، إذ يطلقون الأقاويل المختلفة حولها، ويقومون بتفسـيرات مختلفـة حول هذه الظاهرة الكونية ... لذلك أراد المصطفى ﷺ أن يقطـع عـليهم الطريق، ويفـوت عليهم الفرصـة، فسارع إلى صـلاة خاصـة بهذا الحـدث، لم تكن معروفة لدى المسلمين من قبـل هـذا الحـدث إذ أن المناسبة لم تواتية بعـد. فهذه الصـلاة مـيزت بطول قيامها وركوعها وسجودها والقـراءة فيها، والاستمرار فيها حتى تنجلي الشمس.

وبعد انجلاء الشمس خطب المصطفى ﷺ خطبة بـين فيهـا أن خسوف الشمس والقمر آية من آيات الله سبحانه، وأنهما لا ينخسفان لموت أحـدٍ أو لحياته.

الجانب التربوى المستفاد من خطبته ﷺ السابقة

انتهز الرسول ﷺ شدة انتباه المسلمين لهذا الحدث، فبيّن لهم وهم في هذه اللحظة متفتحي الأذهان، حاضرى الوجدان، من انبهارهم بهذا الحدث، أن جريمة الزنى، جريمة اجتماعية يأباها الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ. وهذا أسلوب متقدم في التربية والتعليم وهو أسلوب ناجح، يقدّم المعلومة للمستمع حينما يكون متفتح الذهن مستعدا لقبول ما يلقى عليه.

وقد ورد في بقية الخطبة أن أصحاب[1] رسول الله ﷺ قالوا يا رسول الله، رأيناك تناولت شيئا في مقامك، ثم رأيناك تكعكعت[2].

قال ﷺ إني رأيت الجنة، فتناولت عنقودا ولو أصبته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا، وأريت النار فلم أر منظرا كاليوم قط أفظع. ورأيت أكثر أهلها النساء، قالوا: بم يا رسول الله ؟؟ قال: يكفرن. قيل يكفرن بالله ؟؟ قال: يكفرن العشير، ويكفرن الاحسان، لو أحسنت الى احداهن الدهر كله، ثم رأت منك شيئًا قالت: ما رأيتَ منك خيرًا قطّ.) وهذا يفسر لنا سرعة انفعالها وعدم تقديرها لكثير من الأمور.

١- احمد بن حجر العسقلاني، فتح البارى، ج ٢، ص ٥٤٠

- يحيى النووى، شرح صحيح مسلم، ج ٢، ص ٢١٣

- عبدالله بن يزيد بن ماجة، السنن، ج ١، ٤٠٢

- عبدالرحمن بن شعيب النسائي، السنن، ج ٣، ص ١٤٧ -١٤٨

٢- تكعكعتَ: أى توقفتَ وأحجمتَ (النووى، شرح صحيح مسلم)

ومما ورد في خطبته السابقة قوله ﷺ :(١) (وعُرضت علي النارُ فرأيت فيها امرأةً من بني إسرائيل تُعذّب في هرّةٍ لها ربطتها، فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض(٢)، ورأيتُ فيها أبا ثمامة عمرو بن مالك يجرّ قصبه(٣) في النار، وحتى رأيت فيها صاحب المحجن(٤) يجرّ قصبه في النار، كان يسرق الحاج بمحجنه فإن فُطن له قال: إنما تعلّق بمحجني، وإن غُفل عنه ذهب به)

من بقية هذه الخطبة نستطيع أن نتبيّن الامور التالية:

١- أن رسول الله ﷺ انتهز هذه الفرصة التي تشبعت فيها النفوس بالخوف من الله عز وجل، وبيّن لهم أن هذا الحادث إنما هو بأمر الله سبحانه، الذى أحكم كل حركة في هذا الكون، وأن هذه الحوادث لا تأتي إلا بأمر الله، فهي ليست مرتبطة بموت كبيرٍ أو ولادة عظيم، وإنما هي آية من آيات الله يخوّف بهما عباده(٥)، وقد فزع ﷺ من هذا الحادث وخشي أن تكون الساعة(٦).

١- يحيى النووى، شرح صحيح مسلم، ج ٦، ص ص ٢٠٧- ٢٠٩
- احمد بن حجر العسقلاني، فتح البارى، ج ٢، ص ٥٤٠
- عبدالله بن يزيد بن ماجة، السنن، ج ١، ص ٤٠٢
- احمد بن علي بن شعيب النسائي، السنن، ج ٣، ص ١٣٣
٢- خشاش الأرض: بفتح الخاء، هوام الأرض وحشراتها، وقيل صغار الطير.
٣- القُصب: بضم القاف واسكان الصاد: الأمعاء.
٤- المِحْجن: بكسر الميم وإسكان الحاء، عصا معوجة.
٥- احمد بن حنبل، المسند، ج ٥، ص ٣٧
٦- احمد بن حجر العسقلاني، المرجع السابق، ج ٢، ص ٥٤٥

٢ـ ان تصفية وتربية العقيدة لدى الإنسان ـ كما وضحت ذلك سابقاً ـ تؤدي إلى تصفيـة وتربية السلوك البشري، وهذا أهم ما في الموضوع.

٣ـ لقد استطاعت التربية المحمدية أن تؤتي ثمارها جنية، وأن تخلص إنسان ذلك المجتمع من أدران الجاهلية وأوضارها ... وأن تصنع منه إنساناً آخر لا يمت إلى انسان الجاهلية بصلة، إذ أنه يستشعر عظمة الخالق ومحاسبته له.

٤ـ ولقد استطاعت هذه التربية أن تحيي الضمير الإنساني، وأن تهذبه لأنها أعطت الانسان المسلم شعوراً قوياً، وقبساً منيراً في قلبه من الايمان، يمنعه من الوقوع في الآثام، ويقف حيثما اختار الله له موقعه من مسئولية الخلافة في الأرض.

ومن آثار تربية العقيدة في سلوك الانسان المسلم الذى تربى على يد المصطفى ﷺ نسوق هذه الحوادث لمعرفة مدى أثر تربية العقيدة في السلوك البشرى.

أولى هذه الحوادث: حادثة الصحابي ماعز بن مالك، كما وردت في صحيح الإمام مسلم حيث قال: (١)

(جاء ماعز بن مالك إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله طهرني. فقال: ويحك. ارجع فاستغفر الله وتب إليه. قال: فرجع غير بعيد، ثم جاء فقال يا رسول الله طهرني، فقال النبي ﷺ مثل ذلك، حتى اذا كانت الرابعة قال رسول الله فيم أطهرك؟؟؟ فقال:

١ـ يحيى النووى، شرح صحيح مسلم، ج (١١)، ص ص ١٩٩ ـ ٢٠١

من الزنى . فسأل رسول الله ﷺ أبه جنون ؟ فأُخبر أنه ليس بمجنون ، فقال : أشرب خمرا ؟؟ فقام رجل فاستنكهه (١) ، فلم يجد منه ريح خمر . فقال ﷺ. أزنيت ؟؟ فقال : نعم . فأمر به فرجم . فكان الناس فيه فرقتين ، قائل يقول لقد هلك ، لقد أحاطت به خطيئته ، وقائل يقول ما توبةٌ أفضلَ من توبة ماعز ، إنه جاء إلى النبي ﷺ فوضع يده في يده ، ثم قال اقتلني بالحجارة ، فلبثوا بذلك يومين أو ثلاثة ثم جاء رسول الله ﷺ ، وهم جلوس فسلّم ثم جلس ، فقال : استغفروا لماعز بن مالك . قال: فقالوا غفر الله لماعز بن مالك . قال: فقال رسول الله ﷺ : لقد تاب توبةً لو قسمت بين أمة لوسعَتْهم .)

هذه القصة التي رويت عن صحابي جليل ، عاش مع المصطفى ﷺ وتربى على يديه ، اقترف ذنباً ولم يطلع عليه أحد سوى الله عز وجل عالم الغيب والشهادة ، أراد أن يطّهر نفسه من أدران هذا الذنب . فانه يعلم أن ذنبه عظيم ، ولكن عقوبة الله أعظم ، وخشي الفضيحة يوم القيامة على رؤوس الأشهاد ، فأراد أن يذهب إلى ربه وقد أخذ جزاءه الدنيوى ، فجاء الى النبي ﷺ وطلب منه أن يقيم عليه الحد .... لقد استيقظ ضميره .... وهذا أعلى مايكون من التربية ... وحياة الضمير .

هذا ماكان من صحابة رسول الله ﷺ وهو معهم ، يعيش بين أظهرهم ... ينزل عليه الوحي لتعديل بعض الأخطاء التي قد يقعون فيها ، وهم كذلك بعد وفاة المصطفى ﷺ وانتقاله إلى الرفيق الأعلى تكون هي هي القدوة ... وهي هي التربية

استنكهه : أي شم رائحة فمه (الجوهرى ، الصحاح ، مادة كنه)

التى صنعها المصطفى ﷺ في نفوسهم، فأحيا بها ضمائرهم سواء كان معهم أو لم يكن معهم.

والقصة التالية تدور أحداثها مع أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ (١)

عن زيد بن أرقم قال: كان لأبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ مملوك يغل عليه (٢)، فأتاه بطعام فتناول منه لقمة، فقال له المملوك: مالك كنت تسألني كل ليلة ولم تسألني الليلة؟ قال: حملني على ذلك الجوع، من أين جئت بهذا؟ قال: مررت بقوم في الجاهلية فرقيت لهم فوعدوني، فلما أن كان اليوم مررت بهم، فاذا عرس لهم، فأعطوني. قال: أف لك، كدت تهلكني، فأدخل يده في حلقه فجعل يتقيأ (٣)، وجعلت لا تخرج، فقيل له: إن هذه لا تخرج إلا بالماء، فدعا بعس (٤) (وفي رواية بطست) من ماء، فجعل يشرب ويتقيأ، حتى رمى بها، فقيل: يرحمك الله كل هذا من أجل هذه اللقمة؟؟ فقال: لو لم تخرج إلا مع نفسي لأخرجتها. سمعت رسول الله ﷺ يقول: "كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به" فخشيت أن ينبت شيء من جسدى من هذه اللقمة.)

١ـ عبد الرحمن ابن الجوزى، صفة الصفوة، ج ١، ص ٢٥٢

ـ عبد الله بن احمد الأصبهاني، حلية الأولياء، ج ١، ص ٣١

٢ـ يغل عليه أى يأتيه بالغلة (الرازى، مختار الصحاح، مادة: غل)

٣ـ يتقيأ: تكلف القيأ (الجوهرى، الصحاح في اللغة، مادة: قيء)

٤ ـ بعس: العس بضم العين القدح الكبير (الجوهرى، مادة عس)

في القصة السابقة تربية وعبرة وعظة :

هذا أبو بكر الصديق – رضي الله عنه – وهو خليفة المصطفى ﷺ يأتيه خادمه بلقمة فيشك في مصدرها فيعمد إلى إخراجها بكل الوسائل والسبل المتاحة يومئذ ، وعندما استعصت عليه قيل له لو تركتها حتى لا تؤذى نفسك ، قال –رضي الله عنه – إنها لو لم تخرج الا مع نفسي لأخرجتها .... عليك رضوان الله أيها الصديق ، ضمير واع ستيقظ .... وتربية أصيلة ... يخاف أن يصيبه شيء من الحرام فيدخل جوفه ... كيف يكون ذلك وقد سمع المصطفى ﷺ ينهى عن أكل السحت والحرام ... حتى لا يؤدى أكله إلى دخوله جهنم ، انها التربية المحمدية التى تربي الضمير وتوقظه وتحييه .... كما أنها تربية الارادة القوية في النفس التى تؤدى إلى محاسبتها والانتصاف منها ، فهذه النفوس ارتبطت بخالقها سبحانه وتعالى ... فهي تحرص على العبادات والطاعات ، واتباع الأوامر ... ان هذه اليقظة المتمكنة من النفس الانسانية لا تأتي الا من تربية واعية تعمقت في النفس وأثرت فيها ... تلك هي التربية المحمدية .... وهو ما امتازت به عن غيرها من أنواع التربية الأخرى .

وهذه الحادثة تروى عن عمر بن الخطاب[١] — رضي الله عنه :

(كان عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — أثناء خلافته يتّجر مع القوم، فكان أن جُهّزت عيرٌ إلى الشام، فبعث عمر إلى عبد الرحمن بن عوف يستقرضه أربعة آلاف درهم، فقال للرسول : قل له يأخذها من بيت المال ثم ليردها . فلما جاء الرسولُ فأخبره بما قال شقّ ذلك على عمر، فلقيه عمر فقال : أنت القائلُ ليأخذها من بيت المال ؟ فإن متّ قبل أن تجيئ قلتم أخذها أمير المؤمنين دعوها له، وأُوخذ بها يوم القيامة، لا ، ولكن أردت أن آخذها من رجلٍ حريصٍ شحيحٍ مثلك فإن متّ أخذها من ميراثي ،أو قال من مالي)

هذه هي التربية المحمدية التي تبعد يدَ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — أن يجول بيده في أموال بيت المسلمين لنفسه، وهو قادر على ذلك بحكم موقعه، لكنه — رضي الله عنه — لم يشأ أن يأخذ منه شيئاً مخافة أن يتوفى قبل أن يتمكّن من سداده، فيكون في ذمته مال للمسلمين يطالب به يوم القيامة.

يالها من تربية ترفع البشَر إلى مصاف الملائكة وتضعهم فوق هامات الحياة البشرية بكل صورها وملامحها الملائكية.

١— محمد بن سعد ، الطبقات الكبرى، ج ٣ ص ٢٧٨

القيم والشريعة الاسلامية [1]

تعتبر الشريعة الاسلامية ومصدراها الأساسيان ـ القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ـ المصدر الأساسي للقيم في المجتمع الاسلامي ، وذلك لما تتضمنه من قواعد وخصائص عامة صالحة لهداية البشر في كل مكان وزمان، لأن الدين الاسلامي هو الدين الذى اختاره الله سبحانه وتعالى ليكون الدين الخاتم الذى ارتضاه الله للعالمين منذ بعثة المصطفى ﷺ ، وحتى يرث الله الأرض ومن عليها ، قال تعالى : ((وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)) (٢)

ونحن نعلم أن النظام الاجتماعي في أى زمان ومكان له تأثيره على التربية، اذ أنها تمده بكثير من التوجيهات والتصورات وأساليب العمل ، وغالبا ما ينبع هذا من صورة المجتمع،كما تتمثل في الأنظمة والأنساق (٣) الاجتماعية الضابطة للعادات والتقاليد وسلوكيات الأفراد ، إذ أن الأفكار و (المعتقدات الرئيسية والقيم

١ـ للتوسع انظر :

ـ د . أكرم ضياء العمرى ، الاسلام والوعي الحضارى .
ـ محمد قطب ، التطور والثبات في حياة البشر .
ـ محمد الغزالي ، خلق المسلم .
ـ د . فاروق الدسوقي ، استخلاف الانسان في الأرض .
ـ د . فاروق الدسوقي ، مقومات المجتمع الإسلامي .
ـ د . عبدالغني النورى ، التربية الاسلامية بين الأصالة والمعاصرة .
ـ د . علي خليل أبوالعينين ، التربية الإسلامية وتنمية المجتمع .

٢ـ سورة آل عمران آية / ٨٥

٣ـ **الأنساق : النسق : ما جاء من الكلام على نظام واحد .**
(الفيروزآبادى ، القاموس ، مادة : نسق)
ويقال : أمر فلان متسق : أى مجتمع على الصلاح منتظم (تفسير القرطبي ، ج ١٩ / ٢٧٨)

المتعارف عليها اجتماعيا ، وأساليب العمل وغير ذلك من الخصائص التي تميّز طريقة الحياة، تقدّم منبعا ومصدرا رئيسيا للفلسفة التربوية والأهداف والمحتوى في أى مجتمع وفي أية فلسفة.(١)

لكن هذا ليس على إطلاقه ، فالقيم والتقاليد الاجتماعية الصالحة هي التي تجعل للمجتمع طابعه الاسلامي المتميز.(٢)

هذه القيم هي التى استمدها المسلمون الاوائل من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فالتمسك بكتاب الله سبحانه وتعالى ، وبسنة نبيه ﷺ هو الذى عصم المجتمع الاسلامي في عصور قوّته من أن تتسرب إليه عوامل الضعف والانحطاط ، وهما كفيلان بتحقيق ذلك للمسلمين على مدى التاريخ ، سواءً في حاضرهم الذى يعيشونه ،أو في مستقبلهم ، انطلاقا من ايماننا بحديث المصطفى ﷺ - الصادق المصدوق - حيث يقول ﷺ : (تركتُ فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا ، كتاب الله وسنتي ، ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض.)(٣)

لقد استطاع المسلمون الأوائل - بفضل هذه القيم - أن يصنعوا الفعالية الحضارية والتاريخية التى دفعت ذلك المجتمع نحو الرقي والحضارة ، سواء في الحياة الفكرية، أو في معرفة سنن الكون ، أو في المجال الاجتماعي والسياسي والاقتصادى ،أو في المجال الخلقي

١- د . صلاح الدين مجاور وزميله، المنهج المدرسي ، ص ٦٣

٢- د . عبدالغني النورى، التربية الاسلامية بين الأصالة والمعاصرة، ص ٧١

٣- الامام مالك بن أنس، الموطأ ، كتاب القدر ،باب النهي عن القول في القدر.

وارتقاء الضمير الانساني.[1] وهذا مـا دفع المسلمين الأوائل الى أن يتمثلوا في أنفسهم شعور المؤمن بمسئوليته الاجتماعية، وجوهرها أنها مسئولية بين الانسان وربه، يشعر المؤمن بحافزها في هذه الدنيا ليقوم بما يجب عليه في نطاق رسالة الاسلام الشاملة، ويتلقى نتائجها في حياة أخرى أدوم منها وأسعد.[2]

وبعد أن أعلن الله سبحانه وتعالى اكمال العقيدة، واكمال الشريعة للمؤمنين، لم يعد للمؤمن أن يتصوّر أن بهذا الدين ــ على هذا المعنى ــ نقصاً يستدعي الاكمال، أو قصوراً يستدعي الإضافة ولا محلية تستدعى التطوير أو التحوير، وإلا فما هو بمؤمن، وما هو بمصدق بخبر الله، وما هو بمرتض ما ارتضاه الله للمؤمنين، حيث ان شريعة ذلك الزمان الذى نزل فيه القرآن الكريم هي هي شريعة كل زمان، قال تعالى : ((ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ))[3] ((وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ))[4]

ولقد كان التطبيق الحيّ والترجمة الصحيحة للعقيدة الاسلامية في تلك السنوات الذهبية ــ الثلاثة والعشرين ــ من عمر البشرية على

١ــ محمد المبارك، المجتمع الإسلامي المعاصر، ص ٥١

٢ــ المرجع السابق، ص ٥٢

٣ــ سورة المائدة آية/ ٣

٤ــ سورة آل عمران آية / ٨٥

هذه البسيطة والتي يطلق عليها اصطلاحا (العهد النبوى) من البعثة النبوية إلى انتقاله ﷺ إلى الرفيق الأعلى، ويلحق بها عصر الخلافة الراشدة على سبيل الشمول ، والقرون الثلاثة المشهود لها بالخير على سبيل الانتقاء. اذ كان سيدنا محمد ﷺ القرآن الناطق والصورة الكاملة للاعتقاد الصحيح والتشريع الحكيم، والتربية الصالحة بمقولته وحاله، وبمظهره وسلوكه ، وبنظرته النافعة الصائبة ، وكلماته العذبة التي تدخل شغاف القلوب بغير استئذان ، حتى كان كلّ من رآه لأول وهلة هابه، ولكن من عاشره وعاش معه أحبه، وتمنى عدم فراقه ﷺ .

لقد كان سيدنا محمد ﷺ معلمًا ومربيًا ومرشدًا ، كما كان أبًا وأخًا وزوجًا كريما ، كما كان في مراحل حياته كلها المثل الكامل والقدوة المثلى للبشرية كلها دون استثناء ، منذ أن بعثه الله عز وجل الى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

إذا كان ذلك كذلك، فيحقّ لنا أن نقول ان الاسلام قد بني الشخصية الانسانية الحضارية السويّة بعد ما هدم الشخصية الانسانية الجاهلية بما فيها من تشوش واضطراب وغلوٍ وخرافات وأوهامٍ ، وفتح العيونَ العميَ ، والقلوبَ الغلفَ، والعقول الصدئة على العلم والتجربة ، والاطلاع والنظر في خلق السماوات والأرض، وفي النفس البشرية ذاتها حيث قال الله :(وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ) (١)

١- سورة الذاريات آية/ ٢١

إن أساس التصور الاسلامي للوجود كله ، ومن ثمّ للوجود الانساني ، تصوّر يختلف في طبيعته اختلافا جوهريا عن كل تصوّر آخر عرفته البشريةُ منذ ظهورها وحتى انبثاق الدين الإسلامي من مكة المكرمة. ومن ثم تقوم عليه التزامات لا تقوم على أي تصور آخر في جميع الأنظمة والنظريات والفلسفات التي سادت أو تسود أرجاء الأرض، سابقاً أو حالياً .

وأهمّ ما يميز هذه الالتزامات الارتباط التام بين حياة البشر وحياة الكون، بين القانون الذى يحكم فطرة البشر ويحكم هذا الكون ، ذلك لأن مصدر هذه الالتزامات هو المشرّع الذى له حقّ التشريع وحده، هو الخالق سبحانه وتعالى الذى له الخلقُ والأمرُ فالله يخلقُ ما يشاءُ ويختاره .

وحينما تكون آصرة المجتمع التى تربط بين أفراده العقيدة الصادرة من إله واحد تتمثل فيه السيادةُ العليا ، وليست صادرة عن أهواء بشرية تتمثل فيه عبودية الانسان للانسان.... حينما تكون هذه الآصرة الهية المصدر، ربانيّة التلقي ، تكون ممثلة لأعلى ما في الانسان من خصائص الروح والفكر.

ولعلنا نستطيع أن نقول إن المجتمع الاسلامي هو المجتمع الوحيد الذى تمثل فيه العقيدة رابطة المجتمع الأساسية، ذلك لأن العقيدة فيه تجمع بين الأسود والأبيض، والأحمر والأصفر ... بين العربي وغير العربي ... بل بين سائر أجناس البشر، تجمعهم في

أمة واحدة ربها الله، وعبوديتها له وحده، والكل في هذه العقيدة أنداد يتلقون أوامر واحدة مصدرها الله رب الجميع، تكون القيم والأخلاق التى تسود هذا المجتمع "إنسانية" بكل ما في هذه الكلمة من معنى .

وحينما تكون القيم والأخلاق انسانية، تكون واضحة المعالم ليست غامضة ولا مائعة، وهي أيضا ليست قيماً " متطورة" متغيرة متبدلة لا تستقر على حال ولا ترجع الى أصل . وإنما هي قيم وأخلاق تنمي في الانسان خصائصه التى يتفرد بها عن الحيوان .

فالاسلام في كل أقواله وأحواله يقرر قيمة وأخلاقية هذه الانسانية التى تنمي في الإنسان المسلم الجوانب المضيئة التى تفرق بين الانسان والحيوان وتميز بينهما ، وتمضي بها صُعُدًا في سلم الرقي الحضارى تحرسها هذه القيم وتلك الأخلاق من الانتكاس . . بل انها ترتقي بها إلى المرتفع الانساني . فخطّ التقدم نحو الانسانية يسير فى اتجاه الضبط والالتزام للنزوات والأهواء ، لتؤدى بذلك وظيفة انسانية لها آثرها في ميراث الحضارة الانسانية .

من أجل ذلك كله تكون القيمُ والأخلاقُ الإسلامية هي اللائقة بالإنسان لدفع مسيرته الإنسانية نحو التقدم والتحضر، ولضبط سلوكه البشرى حتى لا ينحرف نحو الرغبات والأهواء الشخصية البحتة .

إن القيم الإسلامية هي في مجملها قيم انسانية بلغتها البشرية في الفترة الذهبية من عمر التاريخ البشرى على الكرة الأرضية ـ التى أشرت اليها سابقا ـ وهذه القيم ليست مثالية خيالية

انما هي قيم واقعية عملية، أمكن تحقيقها بالجهد البشري، في ظل المفهوم الإسلامي الصحيح للحياة وعلاقة الانسان بالكون وخالقه سبحانه وتعالى — بل ويمكن تحقيقها أيضا في كل بيئة بشرية تتبع نفس الخط الواضح الذي قامت به في تلك الفترة المشار إليها آنفا، اذ أنها لاتتعاض — بل على العكس تشجّع وتعمل على قيامها — مع المدنية والحضارية، ولكن على شرط أن تقوم وفق مفهوم استخلاف الله للانسان في الأرض لاعمارها وإشادة صرح حضارة الاسلام الخاصة.

ان الحضارة الاسلامية يمكنها أن تكون ذات أشكال ونماذج متنوعة في تركيبها المادي أو التشكيلي، ولكن أصولها والقيم التي تقوم وترتكز عليها راسخة لأنها هي مقومات هذه الحضارة، والتي يمكننا تلخيصها فيما يلي :

١— العبودية لله وحده، دون غيره لا شريك له سبحانه.

٢— الخلافة في الأرض على عهد الله وشرطه، مع التجمع على آصرة العقيدة الواحدة.

٣— تحكيم منهج الله وشريعته وحدها في رعاية شئون هذه الخلافة.

٤— سيادة هذه القيم الانسانية المنبثقة عن هذه الشريعة والتي تنمي في الانسان انسانيته لا حيوانيته.

من كل ما تقدم نستطيع أن نقول إن الاسلام يؤكد أن لكل شيء في هذا الكون قيمة جوهرية مجسدة أو كامنة في ذاته، وأن هذه القيمة لا تخضع لأهواء البشر أو أحكامهم، فكل شيء في الكون مخلوق بقدر. قال تعالى: (وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا)[1] وقال عز وجل

١— سورة الفرقان آية/ ٢

((إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ))(١) . والقدر والتقدير من القوام وهو معنى القيمة.

والاسلام كما علمنا أن لكل شيء في الكون قيمة جوهرية، كذلك علمنا أن نفرّق بين النافع والضار، فلا نهتم بالكم دون تحقيق الكيف، حيث يقول عزّ وجل : ((قُل لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ))(٢) ويقول عز وجل : ((وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ))(٣) وقوله تعالى في محكم التنزيل ((لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ.))(٤) يقول سيد قطب(٥) رحمه الله

(بهذا الاحتكاك المرير يتميّز الخبيث من الطيب، وتتكشف الطبائع المنحرفة من المستقيمة، ويظهر الثابتون الصابرون الذين يستحقون نصر الله .... وعند ذلك يجمع الله الخبيث على الخبيث ... والتعبير يجسّم الخبيث حتى لكأنه جرم ذو حجم، وكأنما هو كومة من الأقذار يقذف بها في النار، دون اهتمام ولا اعتبار)

لقد وضّح الاسلام وبيّن أن القيمة ليست قيمة مادية فحسب، فهناك قيم معنوية لا مادية، فالكلمة لها قيمة، والكلمة الطيبة تثمر قيمًا موجبة على نحو حركي تدفقي متجدد، فهي ليست محددة أو جامدة، حيث يقول الله سبحان وتعالى :

١- سورة القمر آية/ ٤٩
٢- سورة المائدة آية / ١٠٠
٣- سورة الأعراف آية/ ١٥٧
٤- سورة الأنفال آية/ ٣٧
٥- في ظلال القرآن ، جـ ٩ ص ١٠٠

((أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾)) (١) يقول سيد قطب ـ رحمه الله ـ (٢) (إن الكلمة الطيبة ـ دعوة كانت أو حركة أو عملا ـ لكالشجرة الطيبة، ثابتة سامقة مثمرة ... سامقة متعالية ... تطل على الشر والظلم والطغيان من عل، وإن خيّل إلى البعض أحيانا أن الشر يزحمها في الفضاء ... مثمرة لا ينقطع ثمرها، لأن بذورها تنبتُ في النفوس المتكاثرة آناً بعد آن.

والكلمة الخبيثة لكالشجرة الخبيثة، قد تهيج وتتعالى وتتشابك، ويخيّل إلى بعض الناس أنها أضخم من الشجرة الطيبة وأقوى ولكنها تظل ناشفة هشة، وتظل جذورها في التربة قريبة حتى لكأنها على وجه الأرض ... وما هي إلاّ فترة ثم تجتثّ من فوق الأرض فلا قرار لها ولا بقاء.

ليس هذا مجرد مثل يضرب، ولا مجرّد عزاء للطيبين وتشجيع، وانما هو الواقع في الحياة، ولو أبطأ تحقيقه في بعض الأحيان.)

١ـ سورة ابراهيم آية / ٢٤ ـ ٢٦

٢ـ في ظلال القرآن، ج ١٣، ص ١٠٠

ـ التصوير الفني في القرآن، ص ٥٦ ومابعدها.

قلت آنفا إن للقيمة خاصية جوهرية مجسدة أو كامنة في ذات الأشياء تجعلها قادرة على الاسهام إيجاباً أو سلباً في توازن النسق ذاته. وهذه الحقيقة أشار إليها القرآن الكريم حيث يقول الله تعالى ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ (١) هذه المقابلة بين النفع والاثم تعني أن في الخمر قيمة سالبة وأخرى موجبة، ولعلنا نلاحظ أن ذلك ليس مقصوراً على الأشياء المادية وحدها، بل أيضا تشمل المعنويات فالكلمة الطيبة تنطوي على قيم موجبة، بينما الكلمة الخبيثة تنطوي على قيم سالبة، كذلك فالايمان بالله وحده سبحانه قيمة موجبة، بينما الايمان بالطاغوت والكفر بالله قيمة سالبة .

من هذا يظهر لنا أن التفرقة بين القيمة الموجبة والقيمة السالبة تفسح المجال للفعل الارادى والفاعلية الانسانية، لأن الانسان قد يوجه سلوكه من أجل الحصول على القيم الموجبة، أو قد يوجهه من أجل الحصول على القيم السالبة، فالانسان نفسه يجسد قيماً موجبة كالعدل والرحمة والمحبة والايثار ... وقد يتجسد قيماً سالبة كالظلم والقسوة والبغض والأثرة ...

ولقد سبق وأن ذكرت أن الخمر فيه قيمة موجبة وفيه قيمة سالبة، فحين يتناولها الانسان فانه يحصل منه على قيمة الانتشاء وهي قيمة موجبة، ولكنه يحصل في نفس الوقت على قيمة سالبة تتمثل

١- سورة البقرة آية / ٢١٩

في سلب الإنسان عقله وإرادته، وصدّه عن الصلاة المفروضة عليه وعن ذكر الله، والقيمتان لا تتفكان كما عبر عن ذلك الامام الشاطبي (١).

ولعلنا نلاحظ أن المفكر الاسلامي الامام ابن تيمية قد حرص كل الحرص على اظهار القيم الاسلامية في المعاملات وفي غير المعاملات ويتضح ذلك بصورة ظاهرة عند عرضه لقيمة العدل ـ نعرضه هنا بايجاز ـ حيث يقول رحمه الله (٢) ـ في معرض حديثه عن عوض المثل (ومداره على القياس والاعتبار للشيء بمثله، وهو نفس المعروف الداخل في قوله تعالى (ويأمرهم بالمعروف) وهو مقابلة الحسنة بمثلها والسيئة بمثلها .) ولعلنا نفهم من ذلك أن العدل يحقق عندما تتساوى القيم المتبادلة، وهذا هو العدل الواجب، وفي ذلك يقول ابن تيمية (ولكن مقابلة الحسنة بمثلها عدل واجب، والزيادة إحسان مستحب، والنقص ظلم محرم، ومقابلة السيئة بمثلها عدل جائز ، والزيادة ظلم محرم، والنقص إحسان مستحب) .

إن الاسلام لا يلغي المعاصرة والرقيّ العلمي بل يساعد عليه ويؤيده شريطة أن يكون مبنياً على التصور الإسلامي لارتباط الانسان بالحياة والكون، لأن خالقهما واحد هو الله سبحانه وتعالى ، وهو سبحانه الذى أمرنا أن نستخدم كل امكاناتنا البشرية لاستغلال

١ـ انظر كتابه : (الموافقات في أصول الشريعة) الجزء الثاني : " كتاب المقاصد " ففيه تفصيلات حول هذا الموضوع.

٢ـ انظر كتابيه : ١) الحسبة في الاسلام أو وظيفة الحكومة الاسلامية.
٢) السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية.

كل الموارد المادية حولنا في بناء صرح الحضارة الانسانية السليمة حيث قال تعالى : ((ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ)) (١) وقوله ((أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً)) (٢) وقوله ((وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾)) (٣) .

ان الحضارة في المصطلح الاسلامي تعني عمارة الأرض وفق المنهج الرباني ، فتدخل في هذا البناء الجوانب المادية والتنظيمية ، كما تدخل فيه القيم التى يحملها هذا الدين ، غير منفصلة أو بعيدة عنها . إذ أنه ليست هناك عمارة مادية أو تنظيمية غير مرتبطة بقيم معينة في حياة الناس ، متأثرة بها ومؤثرة فيها .

ذلك لأن القيم لا تعيش في فراغ ، انما هي تعيش وتظهر في كيان مادي تنظيمي ، والحضارة الاسلامية ذات قيم ثابتة ، وأشكال مادية وتنظيمية نامية ومتغيرة على الدوام . والمفروض في الحالة السوية أن يظل الارتباط قائما بين تلك القيم وهذه الأشكال المتغيرة ، فاذا تغيّرت القيم وابتعدت عن روح الاسلام لم تعد صالحة أن نطلق عليها " حضارة اسلامية " ، إذ أن تقويم الحضارة بالأمرين معا ، لا بالجانب المادى والتنظيمي وحده ، بل يكون تقويمها بمقياس القيم هو المقدم وهو المعتبر ، لسبب واقعي

١- سورة الجاثية آية / ١٢ - ١٣

٢- سورة لقمان آية / ٢٠

٣- سورة النحل آية / ١٤

بسيط، هــو أن الإنسان يستطيع أن يعيش وأن يمارس كيانه الانساني علـى المستوى الأعـلى بأقل قدر من الأشكال المادية والتنظيمية، ولكنه لا يستطيع أن يعيش ولا أن يمارس كيانه الانساني على أى مستوى كان بغير قيم ومبادئ، مهما يكن عنده من أدوات التقدم المادى والتنظيمي (١) .

إن الجيل الأول الذى ربي في حجر المصطفى ﷺ وعلى عينـه لم يكن يملك من الأشكال الحضارية المادية والتنظيمية إلا القدر اليسير منهـا ، ولكنـه كان أعظم أجيال البشرية قاطبة بلا منازع، فكانـت المـدة منذ بعثته ﷺ إلى انتقاله إلى الرفيق الأعـلى ، بالاضافة إلى مـدة الخلافـة الراشدة العصر الذهبي لتاريخ البشرية منـذ فجـر التاريخ حتي اليـوم .

إن (الشيء الذى تفردت به الحضارة الإسلامية ـ مع قيامها بالجانب الذى يمكن أن تقوم به كل أمة ممكنّة في الأرض ـ أنهـا تقـوم بـه بمقتضى المنهج الرباني .) (٢) .

إن الأمـر الذى أريد أن أخلص إليه هنا ، أن هنالك فـي الحياة ثوابت ومتغيرات، وأريد أن أوضح هذه الثوابت وتلك المتغيرات علـى مقتضى المنهج الرباني .

فمـن ثوابت الحياة الانسانية : قيم الحق ، والعدل ، والخـير ، والجمال والسعادة ... الخ ، فمَنْ من الناس لا ينشد هذه القيم ولا يحـترمهـا ، وتتوق نفسـه لرؤيتها متمثلـة بين الناس علـى أتم

١ـ محمد قطـب، واقعنا المعاصـر، ص ١٠٠ـ ١٠٢ .

٢ـ المرجـع السـابق، ص ١٠٩ .

وأكمل وجه ؟؟؟ ومَنْ مِن الناس يتنكّرُ لها أو يحاول هدمها وإزالتها من حياة الناس ووجودهم ؟؟؟

أمّا متغيرات الحياة الانسانية فهي الأساليب والطرق التى يتوصل الناس بها إلى الثوابت من القيم الانسانية بميزات المنهج الرباني ، فمن الناس مَنْ وفّق إلى الوصول إليها عن طريق هذه الأساليب والطرق ، ومنهم مَنْ لم يوفق ... ومنهم من ضلّ الطريق ... ومنهم من وصل الى العكس من ذلك تماما وهو لا يشعر بذلك ، وصدق الله العظيم حيث يقول سبحانه وتعالى

((وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾)) (١)

فالمتغيرات في الحياة الانسانية لا تخضع للدوام والاستمرار ، ذلك بسبب كونها عرضة للوقائع والنوازل واختلاف الأمكنة والأزمنة والبيئات .... لذلك نجد الاسلام يقف منها موقفاً حكيماً اذ ألمع إلى النواميس الحاكمة لهذه المتغيرات فركز البحث عليها ، وسلّط الأضواء على جميع جوانبها المختلفة ، حتي إذا وضحت المعالم ، واستبانت المحجّة ، واستعلن الأمر لكل ذى بصر وبصيرة ، ترك الفروع والجزئيات والأمور الثانوية من صياغة وسبك وتقنين للمتخصصين الذين يدركون أسرار التشريع ، ومقاصده العامة والخاصة ، ويعون أمور العصر ، ومستجدات الأيام ، ليتعاونوا جميعا على ايجاد النظم الضابطة ، مستنيرين بالقواعد الكبرى والثوابت

١ـ سورة البقرة آية / ١١ ـ ١٢

العظمى في الرسالة الاسلامية، مستلهمين روح الدين وأهدافه، وقواعده الكبرى، ونصوصه القطعية. فإذا انتهوا من ذلك عرضوا ما توصلوا إليه، فإذا لم يجدوا فيه من ذلك شيئا أجازوه ليعمل الناس بمقتضاه.

ان الاسلام ليس دينا مرعبا يمثل التسلط على العقل البشرى والحياة البشرية، ليزج بها في قوقعة من التوابث تشمل كل شيء ولا تكاد تغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصتها ... كلا، فالإسلام لا يلغي المعاصرة والرقي العلمي --- بل انه على العكس تماما، فهو يساعده ويؤيده شريطة أن يكون مبنيا وفق المنهج الرباني الذى اختاره الله سبحانه وتعالى للبشرية.

ولعله من المعلوم أن الجهاد فرض إسلامي .... ولقد جاهد المصطفى ﷺ أعداءه بالسيف والرمح والنبل في غزواته ... فهل يجب علينا أن نجاهد أعداءنا اليوم بالسيوف والرماح والنبال؟ أم أنه سبحانه وتعالى أمرنا بالاستعداد لأعدائنا بما نستطيع من قوة حيث قال: ((وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ))(١)

ولقد عرف المسلمون الأوائل هذه الأوامر، فلم يجمدوا على ماكانوا عليه في أوائل عهدهم، وإنما طوروا هذه الطرق والوسائل والأساليب بما لا يخالف أمر الله سبحانه وتعالى والتوابث من أمور الاسلام.

١- سورة الأنفال آية / ٦٠

من ذلك مافعله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – حينما عرف أن عند الفرس زماماً للأمور يعرف باسم (الديوان) ، فقام بتدوين الدواوين ، كما قام – رضي الله عنه – بوضع التاريخ الهجرى للمسلمين ليؤرخوا به أحداثهم. (١)

وهذا أمير المؤمنين عثمان بن عفان – رضي الله عنه – حينما علم مخاطر اختلاف المسلمين في قراءة القرآن الكريم أمر بجمع الناس على قراءة واحدة ، وأبطل ما عداها. (٢)

وهذا أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز – رضي الله عنه – أمر بكتابة السنة النبوية وتدوينها. (٣)

هل كان هؤلاء السادة في أعمالهم المذكورة خارجين عن الاسلام لأن النبي ﷺ لم يفعل ذلك ولا كان على عهده ؟؟؟

كلاّ ، بل على العكس من ذلك تماماً ، اذ نرى فيه عظمة لهذا الدين تتجلّى أكثر فأكثر ، وذلك في قابلية لاستيعاب مشكلات العصر وواقعاتها ، ومن ثمّ قدر على الحلول الصحيحة لكل تلك المتغيرات .

أما الثوابت الاسلامية وهي قواعده الكبرى ، ونصوصه القطعية ، وما هو من شعائره الأساسية ، أو ماهو معلوم من الدين بالضرورة ، فلا يمكن تعديله أبدا بوجه من الوجوه عمّا قرره الإسلام في عقيدته ولا في شريعته ولا في تربيته وتطبيقه ، بل يجب أن يؤخذ ذلك من الإسلام حرفياً . اذ أن الثوابت في الدين لا يجوز فيها

١– أبو هلال العسكرى ، الأوائل ، ج ١ ، ص ٢٢٧ – ٢٤٣

٢– أحمد اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج ١ ، ص ١٧٠

٣– د . محمد عجاج الخطيب ، السنة قبل التدوين ، ص ٣٢٨ – ٣٣٠

القول إلا بما قاله الدين الاسلامي ، وخذ على ذلك أمثلة نسوقها لتوضيح الصورة، واستبانة الأمر فقط :

— لو فرضنا أن مجمعاً من علماء الشريعة الاسلامية — وهذا من باب الافتراض لا غير — أحلّوا شُربَ الخمر، فهل يكون ذلك حلا لا ؟؟؟

— لو فرضنا أن مجمعاً من علماء الشريعة، جعلوا الزكاة المالية على عروض التجارة الربعَ بدلاً من ربع العشر، فهل يقبل هذا منهم؟؟؟

— لو فرضنا أن مجمعاً من علماء الشريعة ، وافقوا على استحلال أكل الربا ، فهل يحق للمسلمين التعامل بالربا بأى صورة من صوره المنتشرة اليوم. ؟؟؟

إنني أريد أن أخلص إلى القول بأن الثوابت الاسلامية ، وقواعد الاسلام ، ونصوصه القطعية، وما هو من شعائره، أو ما هو معلوم من الدين بالضرورة، لا يجوز المساس به بأى حال من الأحوال، بل يجب علينا نحن المسلمين أن نأخذه كما جاءنا دونما زيادة ولا نقصان، وليس لنا إلا أن نحسّن طريقة العرض والأداء أو طريقة الصياغة والتقديم.

ولعلنا نتساءل هنا عن الثوابت في حياة البشر وفق التصور الإسلامي لها ماهي ؟؟ وعن المتغيرات في الحياة البشرية كذلك ؟؟ وللاجابة عن هذا السؤال نقول :

إن الثوابت في الحياة البشرية وفق التصور الإسلامي لها ، تترتب تأسيساً على ثوابت الحياة الأساسية، ذلك لأن الشريعة الاسلامية

تواكب الحياة الاسلامية وتماشيها ،بل وتراعي بشكل أساسي قيام هذه الحياة والحفاظ عليها ، وتلبية احتياجاتها وفق هذا التصور.

فالركن الاعتقادى والأخلاقي في الإسلام هما من الثوابت التي لا تقبل ولا تحتمل التغيّر ولا التبدل بحال من الأحوال....
إنما الذى يمكن أن يطرأ عليه التغيير أو التطوير أو التبديل هو وسائل تحقيق هذه الثوابت في الشريعة، وكذا أساليب تطبيقها باختلاف الأزمنة والأمكنة والواقعات.

فالأحكام الأساسية وهي التى تعتبر ثوابت في الشريعة الاسلامية والتى جاءت لتأسيسها ومقاومة خلافها ،لا تتبدل أبدا بتبدل الأزمان انما الذى يتبدل هو وسائل وأساليب تحقيقها ، فمن الثوابت القطعية في الشريعة الاسلامية وجوب منع الأذى ، وقمع الاجرام، ومنع الظلم وحماية الحقوق .... الخ ،فمثل هذا وأضرابه لا يتغير بتغير الأزمان أو الأمكنة أو البيئات، وانما الذى يمكن تغييره هو أسلوب أو وسيلة تحقيق ذلك ، وطرائق العيش، ووسائل الارتقاء بالحياة الانسانية، ولكن الشيء الذى لا يمكن تغييره ولن يتغيّر أبدا هو وجود القوانين السلوكية والخلقية التى تضبط كليات هذه الحياة وتأطرها على مبادئ عليا جاءت بها شريعة الله ومنهجه الذى أراده لخلقه سبحانه وتعالى .

(ان الاسلام له موقف محدد ودقيق من التطور والتغيّر ،ينبني على أساس طبائع الأشياء ، وقانون الفطرة، فالتطور في الحياة لا يمسّ حقائق الأمور، بل تمسّ الأطر الخارجية لها ،

فالانسان من حيث غرائزه،أو دوافعه لا يتبدل، فهو منذ أقدم العصور إلى اليوم يحتفظ بالغرائزنفسها، غرائز الحب، وغريزة الكراهية ،غريزة الطمع، غريزة الطموح، غريزة الشبع، غريزة الجنس، فلما كانت هذه الغرائز لا تتبدل، فإن ضوابط فهمها وتوجيهها لا تتبدل أيضا فيما إذا أردنا أن تسير في ساراتها دون انحراف ودون محاولة قتل لها.(١)

فالشريعة الاسلامية عندما وضعت مساراتها الصحيحة لسير هذه الغرائز التى وضعها الله سبحانه في النفس البشرية لم يخضعها للتطور والتبدل وفق مفهوم الفلسفات الأرضية، حتى لا تتعرض حياة البشر للزعزعة وعدم الاستقرار، والتبدل الذى يؤدى إلى ضياع حياة الانسان، وإنما ارتضى للجميع في المجتمع الانساني الدين الذى يجب ألّا يستبدل غيره به، اذ أن استبدال الأصل يؤدى إلى الخراب والفساد، كما أن الحلول الفاسدة لا تنتج عنها إلا نتائج فاسدة.(٢)

ثم إذا كنّا ونحن نؤمن بالله سبحانه ربًا، وبسيدنا محمد ﷺ نبيًا وخاتمًا للأنبياء، وبالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة دستورًا ومنهجًا للحياة، لا نؤمن بأن هذه الشريعة وما يصدر عنها من قيم ومبادئ صالحة لكل زمان ومكان،كيف نكون مسلمين.؟؟؟؟ والإسلام معناه الاستسلام لله والانقياد له بالطاعة والخضوع لأوامره وتشريعاته.

١ـ د. محسن عبدالحميد ،منهج التغيير الإجتماعي في الاسلام، ص ٧٦

٢ـ المرجع السابق، ص٧٧

(إن التطور المقصـــود ، هو النمو الطبيعي لظواهر الأشياء في المجتمع الانساني في إطار الفطرة السليمة، والتغيير الدائم إلى الأصلـــح والأرقى ٠)(١) ذلك لأن الشريعة الاسلامية جاءت لتقويم حياة الانسان، وتعديل سلوكـــه المنحرف، وذلك عن طريق ضبط هذا السلوك بموازين ومقاييس وقيم ومثل عليـــا ، حيث قال ﷺ: (إنما بعث لأتمـــم صالح الأخـــلاق ٠)(٢)

فالتطوير الذي يتمشى مع الفطرة الانسانية السوية (هو الذي تتمثل فيـــه الجهـــود الانسانية، وتبدو منه أعمال المكلفين الاختيارية، التي هـــي مناط الحكم عليها بالخير أو الشر، بالصواب أو الخـــطأ ، ثم بمبـــلغ ملاءمتها أو عدم ملاءمتها لصالح المجتمع ورقي الإنسانية٠)(٣)

ولقـــد واجـــه صحابة رسول الله ﷺ بعد وفاته ظروفاً صعبة ظهرت فيها مستجدات وأحداث لم تحدث في عهد المصطفى ﷺ فلـــم يقفوا منها مكتوفي الأيدي، بل انهم على العكس من ذلك سارعوا إلـــى الاجتهاد في تلكم الوقائع حتى وصلوا إلى حكم الله فيها وكانـــــــت أهم شخصيـــة عـــزى إليها تطوير تفكير المسلمين في التشريع هـــي عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنـــه ٠)(٤) فمـــقد كان عمر ـ رضي الله عنه ـ يضع نصب عينيه المصلحة العامة للمسلمين، وراعى ما طـــرأ على المجتمع الاسلامي والدولة الاسلاميـــة، كذلك ما اقتضته ظروف مسايرتهـــــا

١ـ د ٠ محسن عبد الحميد ، منهج التغيير الاجتماعي في الإسلام، ص ٨١

٢ـ الامام أحمد بن حنبـــل ، المســـند ، جـ ٢ ، ص ٣٨١

٣ ـ د ٠ محمد بيصار، العقيدة والاخلاق ، ص ٤٥

٤ـ المرجع السابق، ص ٤٦

في فهم القرآن الكريم وفي التفكير المتعلق بالتشريع وإقامته على أسس جدية تتفق ومصلحة المجتمع الاسلامي واتساع آفاقه وجوانبه حينذاك. (١)

هذا و(مما لا شك فيه أننا نطلك تنظيما قيميا ممتازا قائما على الشريعة الإسلامية السمحاء، وانه لا جدال في أن امتلاك المسلمين الأوائل لهذه القيم بأساليب تربوية قامت على التسامح والمودة والحب والاخاء، ساهم في قوة المسلمين الأوائل وفي نشر الاسلام في بقاع الأرض.

إننا (لسنا في حاجة إلى التفكير في أى أنواع القيم نختار فهذه مسألة محلولة تماما، لأن قيمنا يجب أن تستند إلى ديننا الاسلامي الحنيف.) (٢)

إذا كان الأمر كذلك، فهل يمكننا أن نتعرّف على الخصائص والمميزات الخاصة بالقيم الاسلامية، حتى يمكننا التعرف على هذه القيم فيما بعد. ؟؟؟؟

١- من ذلك موقف الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه من:

قسمة الغنائم، وموقفه من الطلاق ثلاثا، وموقفه من المؤلفة قلوبهم.

انظر: - أخبار عمر وابنه، للطنطاويين، دار الفكر، بيروت سنة ١٣٨٩هـ.

- عمر بن الخطاب في الاسلام، د. محمد أنيس عبادة، دار الكتب العلمية.

- منهج عمر بن الخطاب في التشريع، د. محمد بلتاجي، دار الفكر.

- شهيد المحراب عمر بن الخطاب، عمر التلمساني، دار الانصار، القاهرة

- حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، عباس العقاد، دار الهلال، القاهرة.

٢ - د. فاروق عبد السلام، القيم وعلاقتها بالأمن النفسي، مجلة كلية التربية بمكة المكرمة، العدد الرابع، السنة الرابعة ص ١٣٤.

خصائص القيـــم الاسلاميــــة

وصلنا في مكان آخر من هذا البحث إلى أن شريعتنا الاسلاميـــة تمتلك تنظيمـــا قيميا ممتازا ، وأن هذه القيم ساعدت رجال الرعيــل الأول من المسلمين على القيام بدورهم - عن طريق هذه القيم - في نشر الدين الإسلامي في شتى بقاع الأرض.

إن هذه الشريعة التي تمتلك هذه القيم بهذه القوة الفاعلـــة، مصـــدرهـــا هو القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، لما يتضمنه هـــذان المصدران من قواعـــد وخصائص عامة صالحة لهداية البشر في كل زمان ومكان.

هذه الخصائص يمكننا ذكرها هنا على وجه الاجمال على النحو التالي (١):

١- للتوسع انظر:

- د. محمد بيصار، العقيدة والأخلاق وأثرهما في حياة الفرد والمجتمع.
- ســـيد قطـب، خصائص التصور الاسلامي.
- توفيق محمد سبع، قيم حضارية في القرآن الكريم (عالم صنعه القرآن).
- محمد قطـــب، التطور والثبات في حياة البشــــر.
- محمد قطـــــب، الانسان بين المادية والاسلام.
- محمد قطـــــب، حول التفسير الإسلامي للتاريخ.

أ/ الربانية والخلود :

يقرر القرآن الكريم هذه الحقيقة بوضوح وجلاء في قوله تعالى : ((قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ)) (١) وقوله سبحانه وتعالى : ((وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾)) (٢) وقوله تعالى : ((وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ ۙ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ۖ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ)) (٣)

من الآيات الكريمة السابقة ـ وغيرها كثير ـ يتضح لنا أن الاسلام منهج رباني المصدر مئة بالمئة ١٠٠٪ . فعقائده وعباداته آدابه وأخلاقه، شرائعه ونظمه، كلها ربانية الهية في أسسها الكلية، ومبادئها العامة، لا في التفريعات والتفصيلات والكيفيات.

ومادام الأمر كذلك، فان الآداب والأخلاق الاسلامية آداب ربانية وهذا يعني أن الوحي الالهي هو الذى وضع أصولها وحدد أساسياتها التي لابد منها لبناء الشخصية الاسلامية، حتى تكون متكاملة متماسكة شاملة متميزة في مخبرها ومظهرها، عالمة بوجهتها وطريقها، اذا التبست على كثير غيرها المسالك، واختلطت الدروب.

١ـ سورة الأنعام آية / ١٦١ ـ ١٦٣

٢ـ سورة الشورى آية / ٥٢ ـ ٥٣

٣ـ سورة يونس آية / ١٥

(إن المصدر الأساسي للإلزام الخلقي في الإسلام، ليس هو اللذة ولا المنفعة، ولا العقل ولا الضمير، ولا العرف ولا المجتمع ولا التطور، ولا غير ذلك مما ذهبت إليه مدارس الفلسفة الخلقية، مثالية وواقعية. وإنما مصدر الإلزام، ومقياس الحكم الخلقي - في الأساس - هو الوحي الإلهي.

(وبعبارة أخرى : الحسن ما حسّنه الشرع، والقبيح ما قبّحه الشرع. وليس معنى هذا أن الشرع يأتي بتحسين ما قبحه العقل، أو تقبيح ما يحسنه، فلم يُعرف ذلك في الأخلاق الاسلامية، ولا في الشريعة الاسلامية كلها، فهي شريعة ملائمة للفطرة السليمة، موافقة للعقل الرشيد.) (١)

أما من حيث كونها خالدة، فقد أمر الله سبحانه عباده المؤمنين به - منذ بعث سيدنا محمد ﷺ أن يعبدوه بها دون غيرها من الديانات السابقة، أو للمذاهب والأفكار التي قد تظهر فيما بعد، قال تعالى : ((وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ)) (٢)

ويبدو ذلك واضحاً في قوله تعالى : ((ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا)) (٣)

١- د. يوسف القرضاوي، الخصائص العامة للاسلام، ص ٤٤

٢- سورة آل عمران آية/ ٨٥

٣- سورة المائدة آية/ ٣

ب/ الانسانية والواقعية :

إذا كان مصدر التشريع الاسلامي ربانياً ، فإن الانسان هو الذى يفهم هذا المصدر، ثم يستنبط منه، ويجتهد في ضوء تعاليمه ومن ثم يحوّله إلى واقع تطبيقي ملموس.

وإذا كانت غاية المجتمع المسلم - وهي غاية الفرد المسلم - هي الربانيّة، فإن معنى هذا أن مضمون هذه الغاية هو سعادة الانسان وفوزه بالنعيم، وتحقيق الخير للإنسان والسمو به، والحيلولة بينه وبين الانحراق والسقوط.

إن كلمة " الانسان " تكررت في القرآن الكريم خمساً وستين مرة (٦٥) ، فضلا عن ذكره بألفاظ أخرى مثل (الناس) إذ تكررت مئتين وأربعين مرة (٢٤٠) في القرآن الكريم كله.(١)

وأول آيات القرآن الكريم نزولاً على رسول الله ﷺ كانت خمس آيات من أوائل سورة العلق، ذُكر الانسان في اثنتين منها ، ومضمونها كلها العناية بالانسان، من حيث هو مخلوق مكلّف مأمور. وإذا كان الخطاب فيها موجهاً لسيدنا محمد ﷺ فهو موجه أيضا لكل إنسان يفهم الخطاب من بعده. وهذه الآيات هي قوله تعالى :

((اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾))(٢)

فالأمر بالقراءة هنا رمز لكل عمل نافع يقوم به الانسان، ولعله خصّ القراءة هنا بالذكر دون غيرها من الأعمال، ليبيّن أنها نقطة الانطلاق

١- محمد فؤاد عبدالباقي ، معجم ألفاظ القرآن الكريم، مادة: انسان و: ناس

٢- سورة العلق آية/ ١- ٥

للإنسان، ومفتاح رقيه، وذلك لأن العمل في الاسلام يجب أن يكون قائماً على العلم، والعلم مفتاحه القراءة. ولعلنا هنا نلاحظ أن القراءة مقيدة باسم الرب مضافا الى ضمير المخاطب وهو الانسان، وذلك لما يوحي به "اسم الرب" من معاني التربية والرعاية والترقية في مدارج الكمال.(١)

ومبدأ المساواة الانسانية الذى قرره الاسلام ونادى به أساسه أن الاسلام يحترم الإنسان ويكرمه من حيث هو إنسان، لا من أى حيثية أخرى. الانسان من أى سلالة كان، ومن أى لون كان، من غير تفرقة بين عنصر وعنصر، وبين قوم وقوم، وبين لون ولون، مُسقطا كل أنواع التفرقة القبلية والعنصرية والقومية واللونية، قال تعالى: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾))(٢)

ولقد خطب الرسول ﷺ الناس في حجة الوداع بهذا المعنى حيث قال: (أيها الناس، إنّ ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير. وليس لعربي على أعجمي فضل إلا بالتقوى.)(٣)

أما الواقعية فهي من الخصائص المميزة للقيم في الشريعة الاسلامية حيث انها راعت الفطرة والتكوين الإنساني عن طريق

١- سيد قطب، في ظلال القرآن، جـ ٣، ص٢٠٢

٢- سورة الحجرات آية/ ١٣

٣- أبو عمر الجاحظ، البيان والتبيين، جـ ٢، ص٣٣

- عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، جـ ٤، ص ٢٥٠

الاستجابة للنزعات الفطرية والطبيعية في الانسان بالحق.

فالشريعة الاسلامية بهذا المعنى لم تنس في توجيهاتها الفكرية، أو في تعليماتها الأخلاقية، أو في تشريعاتها القانونية واقع الكون وواقع الحياة، ثم واقع هذا الانسان بكل ظروفه وملابساته، ذلك لأن الذى يشرّع للانسان ويوجهه ويعلمه هو الذى خلق الكون، وخلق الحياة، وهو الذى خلق الإنسان، فهو سبحانه أعلم بما يصلحه وما يفسده، وما يرقى به إلى درجات الكمال البشرى، وما يهبط به إلى حضيض البهيمية ((أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾))[1] ؟؟؟

إن هذه النزعة القرآنية مبنية على فطرة الإنسان وتطلعها إلى الترقي، وشوقها إلى المثل الأعلى، فهي إذاً واقعية مثالية، سلمت من إفراط غلاة المثاليين، ومن تفريط الواقعيين من البشر.

ج/ الشمول والوضوح :

إن الاسلام كما قال المرحوم العقاد[2] : (هو العقيدة المثلى للانسان منفرداً أو مجتمعاً، وعاملاً لروحه أو عاملا لجسده، وناظراً إلى دنياه، أو ناظرا إلى آخرته، وسالما أو محاربا، ومعطيا حق نفسه، أو معطيا حق حاكمه وحكومته. فلا يكون المسلم مسلماً، وهو يطلب الآخرة دون الدنيا، ولا يكون المسلم مسلما وهو يطلب الدنيا دون الآخرة، ولا يكون المسلم مسلما لأنه روح تنكر الجسد، أو لأنه جسد ينكر الروح، ولأنه يصحب اسلامه في حالة

١- سورة الملك آية/ ١٤

٢- الاسلام في القرن العشرين، ص ٢١-٢٢

ويدعه في حال وأخرى .... ، لكنما المسلم هو المسلم بعقيدته كلها مجتمعة لديه، في جميع حالاته سواء تفرد وحده أو جمعته بالناس أواصر الاجتماع.

(إن شمول العقيدة في ظواهرها الفردية، وظواهرها الاجتماعية هو المزية الخاصة في العقيدة الاسلامية، وهو المزية التى توحي إلى الإنسان أنه " كُلٌّ " شامل، فيستريح من " فصام " العقائد التى تشطر السريرة شطرين، ثم تعيا بالجمع بين الشطرين على وفاق.)

وإذا كان ذلك كذلك، فإننا نستطيع أن نقول إن الاسلام هو رسالة الانسان كله في كل أطواره، رسالته في الحياة بكل أطوارها، وبكل جوانبها ومجالاتها، فلا عجب أن نجد التعاليم الاسلامية كلها تتميز بهذه الشمولية والاستيعاب لكل شئوون الحياة والانسان، ويمثل هذا الشمول متجليا في :

١- العقيدة والتصور.

٢- العبادة والتقرّب.

٣- الأخلاق والفضائل.

٤- التشريع والتنظيم.

أما الوضوح فان أول مظاهره في الدين الإسلامي، أن أصوله ودعائمه الكبرى واضحة بينة، لكل أفراد المجتمع الإسلامي ولجمهرة المؤمنين به، يستوى في ذلك الأصول الاعتقادية، والشعائر التعبدية، وأمهات الفضائل الخلقية والأحكام التشريعية.

ومن أهم مظاهر هذا الوضوح في النظام الاسلامي أن مصادره محددة بينة ، لكل مسلم.

فالمصدر الأول هو كتاب الله سبحان وتعالى : القرآن الكريم الذى وصفه بقوله ((كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ))(١).

وقوله تعالى :((يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا))(٢)

وقوله تعالى : ((وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً))(٣)

والمصدر الثاني سنة سيدنا محمد ﷺ ، ونعني بها كل ما ثبت عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقريره، فهذه السنة هي الشرح النظرى، والتطبيق العملي للقرآن الكريم، ولقد وصفته زوجته السيدة عائشة — رضي الله عنها - بقولها (كان خلقه القرآن)(٤) فأعظم تفسير لكتاب الله يتجلّى في سيرة سيدنا محمد ﷺ وفي حياته الحافلة، وسنته الشاملة، لذلك اختاره الله سبحانه ليكون قدوة للعالمين حيث قال تعالى : ((لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا))(٥) وما ألحقه العلماء المجتهدون في الشريعة الاسلامية بهذه السنة سنة الخلفاء الراشدين المهديين بعده ؟

١- سورة هود آية / ١

٢- سورة النساء آية/ ١٧٤

٣- سورة النحل آية/ ٨٩

٤- الامام أحمد بن حنبل ، المسند ، ج٦، ص ٩١

٥- سورة الأحزاب آية/ ٢١

الذين نشـؤوا في حجـر النبوة الطاهر، ونهلوا من معين الرسالـة، وربـوا عـلى عين المصطفى ﷺ ،فقد كانوا في حياتهم امتدادا لرسولنا ومعلمـنا ﷺ ، فما أثرعنهم مما اتفقوا عـليه جميعهم، أوعـن طائفـة، ولم ينكره عـليهم أصحابهم، فهو سنة بها يقتدى فيتهدى .

ولقد جاء في الحديث (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديـين من بعدى عضـوا عـليها بالنواجـذ .) (١)

د / الوسطية والتطـور والثبات:

من الأمـور المسلمات البدهيـة التى اتفق عـليها العلمـاء أن التوسـط قـاعـدة أساسية في جميع شئون الحياة، بل اعتـبروهـا قانونا محكمـا لمناحي المحسوسـات والمعقـولات والمدركات ، سـواء في الفرد أو الجماعـة، فما من شيء إلا وهو يحتاج إلى التوسـط ، لإقامـة العدل والقسط في ماهيتـه ، وفي ذلـك يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ (٢) (إن الله أرسل رسله، وأنزل كتبـه، ليقوم الناس بالقسط، وهو العـدل الذى قامت به السماوات والأرض ، فاذا ظهرت أمارات الحق وقامت أدلتـه بأى طريق كان، فـذلك شرع الله ودينه ، ورضاه وأمره.)

١ـ احمد بن حنبل، المسـند ، ج ٤ ص ١٢٧

٢ـ إعلام الموقعين، ج ٣ ، ص ٥٤٣

(فالشريعة جارية في التكليف بمقتضاها على الطريق الوسط الأعدل ، الآخذ من الطرفين بقسط لا ميل فيه ، الداخل تحت كسب العبد من غير مشقة عليه ولا انحلال ، بل هو تكليف جار على موازنة تقتضي في جميع المكلفين غاية الاعتدال ، كتكاليف الصلاة والصيام والحج والجهاد والزكاة .

فإن كان التشريع لأجل انحراف المكلف ، أو وجود مظنة انحرافه عن الوسط إلى أحد الطرفين ، كان التشريع رادًا إلى الوسط الأعدل لكن على وجه يميل فيه إلى الجانب الآخر ليحصل الاعتدال فيه ، فعل الطبيب الرفيق يحمل المريض على ما فيه صلاحه بحسب حاله وعادته ، وقوة مرضه وضعفه ، حتى إذا استقلت صحته هيأ له طريقًا في التدبير وسطًا لائقًا به في جميع أحواله .)(1)

ولقد كان من عظيم حكمة الله سبحانه ان اختار الوسطية (أو التوازن) شعارًا مميزًا لهذه الأمة التي هي آخر الأمم ، ولهذه الرسالة التي ختم الله بها الرسالات الإلهية ، وبعث بها خاتم أنبيائه ورسله رسولا للناس جميعًا ، ورحمة للعالمين ، حيث يقول الله تعالى : في وصف هذه الوسطية ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾(2)

ووسطية الأمة الاسلامية إنما هي مستمدة من وسطية منهجها ونظامها وتشريعاتها ، فهو منهج وسط لأمة وسط . منهج معتدل سلم من الإفراط والتفريط ، أو من الغلو والتقصير .

١ـ أبو إسحاق الشاطبي ، الموافقات في أصول الشريعة ، جـ ٢ ، ص ١٦٣

٢ـ سورة البقرة آية / ١٤٣

والوسطية تعني كذلك استقامة المنهج ، والبعد عن الميل والانحراف، فالمنهج المستقيم ـ أو حسب تعبير القرآن "الصراط المستقيم" ـ هو الطريق السوى الواقع وسط الطرق لا الجائرة عن القصد إلى الجوانب، فإذا فرضنا خطوطاً كثيرة واصلة بين نقطتين متقابلتين فالخطُّ المستقيم إنما هو الخط الواقع وسط تلك الخطوط المنحنية، ومن ضرورة كونه وسطاً بين الطرق الجائرة أن تكون الأمة المهدية إليه وسطاً بين الأمم السالكة إلى تلك الطرق الزائغة.

ولعلنا نستطيع أن نقول إن الوسطية إذا كانت تعني استقامة المنهج ، فإنها أيضاً تمثل الأمان النفسي للبشر، كما أنها دليل القوة ، إذ الوسط هو مركز القوة، وكما تعني الوسطية القوة والأمان، فإنها تمثل الوحدة في أرقى معانيها ، إذ أن الوسط أو مركز الدائرة يمكّن لكل الخطوط الآتية من الأطراف أو محيط الدائرة أن تلتقي عنده. فالتوسط والاعتدال هو طريق الوحدة الفكرية ومركزها ومنبعها ، وكم جرّت المذاهب والأفكار المتطرفة من الفرقة والخلاف بين أبناء الأمة الواحدة ومن ويلات كانت في غنىً عنها لو أنها اتحدت واتخذت من الاعتدال والتوسط ديدناً لها.

من هنا نستطيع أن نقول إن الاسلام وسطٌ في الاعتقاد ، وسط في العبادة، وسط في الأخلاق والقيم والمبادئ والمثل ، وسط في التشريع والتنظيم.

ويتجلى التطــور والثبات في الوسطية التي يتميز بها نظام الإسلام وبالتالي يمـيز بها مجتمعــــه عن غيره من المجتمعات البشرية ، التوازن بين الثبات والتطــــور، وإن شئت قلت بين الثبات والمرونة، فهــــو نظــــام يجمع بينهمــــا في تناسق بديع، بحيث وضع كلًّا منهمـــا في موضعـــه الصحيح ٠٠٠٠ الثبات فيما يجب أن يبقى ويخلــــد ، والمرونـــة فيما ينبغي أن يتغير ويتطـــور.

ولعلنا نستطيع أن نخلص إلى القول في هذا المجال ، ونحـــدد مجالات الثبات ومجالات المرونة فنقول :

١ـ الثبات يكـون عـلى الأصـول والكليات، والمرونة في الـجزئيـــات والفروع والتفصيـــلات.

٢ـ الثبات يكون عـلى القيم الدينية والأخـلاقية، والمرونـة في الشئون العلمية والدنيويــــــة.

٣ـ الثبات يكون عـلى الأهـداف والغايات، والمرونة في الأساليـب والوســائل.

وبهذا نستطيع أن نقول ان عنصر الثبات يتجلى واضحًا في رفض المجتمع المسلم للعقائـــد ، والمبادئ ، والأفكار ، والقيـــم ، والشعارات الـتي تقـوم عـليها المجتمـعات الأخرى غير الإسلامية وتمـيزها ، وما ذاك إلّا لأن مصـــادر هذه القيم والعقائد والأفكار في تلك المجتمعـــات غير مصــــادرهـــا في المجتمع المسلم، ووجهتها غـير وجهته وسبلها غير سبلـــه ، فالمجتمع المسلم متمـيز في مصادر تشريعاته ووجهته ومنهجه ،

حيث قال الله تعالى :

((ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۖ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَٰذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾)) (١)

وقولـه تعالى مبينا منهج الإسلام ((وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾)) (٢)

هذا الثبات على المبادئ والقيم والأفكار والمعتقدات، نجد مقابلـه مرونة وسماحة في النواحي العملية والتطبيقية في مجال الحياة، مما يتصل بالأساليب والطرق والوسائل، لا بالأصول والأهداف والغايات.

١- سورة الجاثية آية/ ١٨ - ٢٠

٢- سورة المائدة آية/ ٤٨ - ٥٠

من ذلك ما نجده متمثلا في قول الرسول ﷺ (الكلمة الحكمة، ضالة المؤمن، فحيث وجدها فهو أحق بها).(١)

إن المجتمع المسلم مطالب بنظام حسن في تعبئة الجيوش، أو في تحسين الانتاج سواء كان زراعيا أو صناعيا، وتمهيد سبل المواصلات بكافة صورها وأشكالها، كما أنه مطالب أيضا بالأخذ بالأحسن والأمثل في مشاريع تخطيط المدن والقرى أو فيما يحفظ الصحة العامة، وذلك بتسخير القوى الكونية لسلطان العلم لمصلحة بني البشر، بشرط ألا يصطدم ذلك بأحكام الدين الأساسية.

من ذلك مافعله المصطفى ﷺ في غزوة الأحزاب حينما أشار عليه الصحابي الجليل سلمان الفارسي - رضي الله عنه - بحفر الخندق حول المدينة المنورة، بل وأكثر من ذلك فقد شارك فيه المصطفى ﷺ بنفسه، فكان يعمل مع أصحابه في الحفر ولم يقل ﷺ هذا من عمل الفرس والمجوس لا نأخذ به.

وحينما واجه الصحابة - رضوان الله عليهم - مواقف مماثلة عطوا على الأخذ بما لدى الأمم السابقة من أعمال لا تؤثر على المبادىء الأساسية في الشريعة الإسلامية، فهذا الخليفة الراشد عمر بن الخطاب يؤرخ التاريخ، ويدون الدواوين، ويضع العشور، ويقيم الخراج ... وهذا الخليفة الراشد عثمان بن عفان، يجمع الناس على مصحف واحد ويحرق ما دونه، ويزيد الأذان الثاني

١- عبدالله بن يزيد بن ماجة، السنن، حديث رقم ٤٢٢١ بتحقيق د. الأعظمي

- الخطيب التبريزي، مشكاة المصابيح، حديث رقم ٢١٦

يوم الجمعة .... ولم يقل أحد من الصحابة إن هذا شيء لا ينبغي ، ولم يجدوا في ذلك بأساً ، ما دام يحقق مصلحة ، ولا يصادم نصاً أو قاعدة شرعية ثابتة بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

إن المجتمع المسلم لو فرّط ولان في أفكاره ومبادئه ومفاهيمه وأخلاقه وشرائعه للتطور المطلق، لفقد هذا المجتمع وحدته، وأصبح في كل قطر من أقطاره مجتمع مغاير للمجتمعات المنتسبة للاسلام في أقطار أخرى، فلا تقوم الأمة الواحدة التي أرادها الله سبحانه، وإنما تكون هناك أمم ومجتمعات متناقضة متباينة.(١)

***

١- للتوسع، انظر:

- سيد قطب، خصائص التصور الاسلامي ، ص ٨٣ - ١٠٦

- د . محمد رأفت سعيد، الأصالة والمعاصرة في الفكر الاسلامي ، ص ١٩-٢٨

الفصل الثالث

- المنهج المستخدم لاستخراج الخطب النبوية من مصادرها.

- بعض القيم التربوية المستنبطة من خطب المصطفى صلى الله عليه وسلم.

منهج البحث في الحصول على خطب المصطفى ﷺ من المصادر والمراجع الخاصة بها

لما كانت الفترة الزمنية لاعداد هذه الدراسة لا تتسع لاستيعاب جميع خطب النبي ﷺ رأيت أن ينحصر البحث في الكتب الستة وموطأ الامام بن أنس ومسند الامام احمد بن حنبل، واقتصرت على الأحاديث التى فيها ذكر " خطب ".

" خطبنا رسول الله ﷺ فقال : " أو " خطب فينا رسول الله ﷺ فقال : " أو خطب رسول الله ﷺ فقال : ".

وبالرجوع الى كتاب "معجم ألفاظ الحديث النبوى" الذى قام باعداده عدد من المستشرقين، ونشره الدكتور : أ. ى. ونسك. خرجت بالاحصائية التالية :-

١- صحيح الامام البخارى	٣٠ خطبة
٢- صحيح الامام مسلم	٣٠ خطبة
٣- مسند الامام أحمد	١٦٠ خطبة
٤- موطأ الامام مالك	٥ خطبة
٥- سنن الامام أبي داود	٣٠ خطبة
٦- سنن الامام الترمذى	٢٠ خطبة
٧- سنن الامام النسائي	٧٠ خطبة
٨- سنن الامام ابن ماجة	٤٥ خطبة
تسعون وثلاثمائة خطبة بالمكرر	٣٩٠ خطبة

لذلك وضعت خطـــة لاستخراج هذه الخطب النبوية من مظانها ، وتتلخص هذه الخطـــة فيما يلي :-

١- عمل بطاقات خاصة لكل مصـدر من مصادر هذه الخطب.

٢- تجميع الخـطب ذات القاسم المشترك العام في المعنى والهدف والغايـــــة.

ثم خلصت بعد ذلك الى :

أ/ بعد استخراج هذه الخطب من مصـــادرها المشار إليها ، وجـدت أن بينها عـددا لا يستهان به مكـررا فـــي كل واحــد من هذه المصـــادر، لذا فضّلت أن أعيــد النظـر مـرة أخـــرى لأتعـــرّف على المكرر من بينها ، فأكتفي بواحـــدة منهـــا ، ثم أشير إلى المكرر في المصــادر والمراجع التى أوردتهـــا

منهـجي في دراسة هـذه الخطب

لذا رأيت أن أتخـــذ المنهج التالي لدراسة هذه الخطب واستخراج القيم والأساليب التربويـــة منها :

١- التوصل الى المجمـــوع العـــام بصورة واضحـــة.

٢- تجميع الخطب وتنسيقها وتحديــد ميادينها ووظائفها

ثم رتبتها ترتيبا موضوعيـــا فوجـدتها عـلى النحو التالي :

١- الخطب التى تهتم بالتركيز على العقيدة الصحيحة وبيانها .

٢- الخطب التى تهتم بابراز القيم الاسلامية ، وأثرها في المجتمع.

ولتحقيق هذا المنهج قمت بتجميع الخطب من المصادر والمراجع التي حددتها في "حدود البحث"، فظهر لي ما يلي :

١- أن مؤلفي المعجم ذكروا صفحات في المراجع والمصادر المذكورة غير أنني بالبحث فيها لم أجد ما أشاروا اليه، وقد وضحت هذا العدد في الاحصائية المرفقة.

٢- أن مؤلفي المصادر والمراجع من أئمة الحديث - رحمهم الله وأثابهم على جهودهم - قد كرروا كثيرا من الخطب للأسباب التالية :

أ/ كونها وردت عن غير واحد من أصحاب النبي ﷺ، وهذا يعطيها مزيدا من القوة ، فاذا ماعرضها حديث ورد من طريق صحابي واحد تراجح عليه.

ب/ كونها وردت بألفاظ مختلفة لكن المعنى واحد .

جـ/ كونها اشتملت على جملة من الأحكام التشريعية أو التوجيهات والأساليب التربوية التى تختلف باختلاف الموضوع.

٣- يظهر من الاحصائية المرفقة أن أكبر قدر من التكرار كان لدى الامام أحمد بن حنبل - رضي الله عنه - في المسند ، وذلك متأت من كثرة المسانيد لديه، وعددها مائة وستون خطبة هذا بالمكرر.

٤- كما يظهر من الاحصائية أيضا أن أقلها ما جاء عند الامام مالك بن أنس - رضي الله عنه - في الموطأ ، حيث كان عدد الخطب عنده خمس خطب فقط.

٥- بعد حصر الخطب الموجودة فعلا ، والتى أمكن استخراجها من المصادر والمراجع فكان عددها سبعا وخمسين ومائتي خطبة، واذا تركنا المكرر منها والخطب التى ليست للرسول ﷺ كان المتبقي منها أربعا وثمانين ومائة خطبة (١٨٤).

٦ـ أمـــــا عدد الخطب غير المتعلقة بالدراسة، وهي الخطب الخاصـة بخطبــة (بالكسر) النكاح (وقــد وردت في المعجم ضمن مـادة (" خ ط ب " فكان عـددهـــا ٢٤ خطبـــة) والخطب التي ليست للمصطفى (وقد وردت على في المعجم عـلى أنهـا آثار للصحابة، وعددها ١٩ خطبة)، وكذا الخطب الـتي لم أعثر عـليها وعـددها ١٩٤ خطبـــة.

ب/ لتحـــديد الخطوة الثانية من المنهج الـــذى أشــرت اليـــه آنفـــا ، وهـــو " تجميع الخطب وتنسيقها " اتبعت الخطــوات التاليـــــة :

١ـ قمــت بجمع هذه الخطب المتشابهـــة في الألفـاظ والمعاني ، ثم حـــددت دلالاتهـــا الـــتربويـــــة.

٢ـ كانت نتيجـــة ذلك أن ظهــرلي أن القاسم المشــترك الاعظم بينهـــا هو التأكـــيد عــلى العقيدة وتبيانها ، وهذا هو الذى كنت أتوقعـه خاصـــة وأن الرسول ـــ قد بعث على فـــترة من الرسل ، لاعـادة البشريـــة الى حظيرة التوحيـــد ، فالدين (ليس هو الايمـــان فقط ، أو الاسلام فقط، أو الاحســـان والاستقامـــة والصـــلاح فحسب، وانما هو كل ذلك مجتمعا ، فالشخص الذى يعتنق الاسلام ينبغي أن يكون مـؤمنا ومسلمـــا ومستقيمـــا ومحسنـــا وصالحــــا.) (١)

من هـــذا يظهر لنا أن الاســـلام جعـــل سلـــوك المـرء وحـدة لا تتجـزأ ، بل انـــه وحـــد بين سلوكـــه الخـــارجي الظاهر، وبـــين عقيدته الداخلية، وايمانه الباطن ، بين التصديق بالـقلب، وبين عمــل الجوارح ، بين الايمـان والاســـلام. (٢)

١ـ د. أحمـد فـؤاد الأهواني ، التربية الاسلاميـــة، ص٧٨

ـ د. كمال محمـد عيســـى ، خصائص مدرسة النبوة، ص ٣٣

٢ـ د. أحمـد فـؤاد الأهواني ، المرجع السابق ، ص ٧٩

جـ/ تحديد ميادين الخطب النبوية

لتحقيق هذا الهدف قمت بتوزيع الخطب النبوية التى تم استخراجها من أمهات كتب السنة، والتى حددتها في حدود البحث ، وذلك حسب الجو العام للخطبة، فظهر لي أنها - بعد هذا التوزيع - تتجه الى تعميق القيم الاسلامية، وتعديل بعض أنواع السلوك الذى يبدو عليه الانحراف.

فكانت المحصلة التالية :

أ/ القيم الاجتماعية وتشمل :

١- قيم الطاعة.

٢- قيم المساواة ، ووحدة النوع البشرى.

٣- قيم الايمان بكرامة الانسان

٤- قيم المحبة والاخاء.

٥- قيم الحياة الزوجية.

ب/ القيم الجمالية وتشمل :

١- النظافة الشخصية المادية ، وتشتمل على :

= النظافة العامة، الوضوء ، السواك ، الغسل =

٢- النظافة الشخصية المعنوية وتشتمل على :

= الصدق، الحياء ، الأمانة ، الجمال اللغوى، الجمال الكوني =

جـ/ القيم الاقتصادية ، وموقف الاسلام من بعض القيم ذات البعد الاستغلالي البشع مثل :

= الربا ، الغش، الاحتكار ، الرشوة =

مع بيان موقف الاسلام من قيمة العمل بنوعيه الفكرى واليدوى.

د ـ بعض الأساليب التربوية التي استخدم فيها المصطفى ﷺ الخطبة لمعالجة بعض المواقف، وفق ما تقتضيه الحاجة أو الموقف نفسه.

هذا وسوف يكون مدار حديثنا على دراسة هذه القيم وايضاحها، وتبيان تلك الأساليب التربوية النبوية.

****

****

****

خلاصة إحصائية بعدد خطب المصطفى صلى الله عليه وسلم حسب مصادرها الرئيسية

العدد	اسم المصدر	عدد الخطب في المعجم المفهرس (1)	عدد الخطب الموجودة فعلاً	عدد الخطب المكررة	الخطب التي ليست للرسول	الصافي
١	صحيح الامام البخاري	٣٠	٢٥	٣		٢٣
٢	صحيح الامام مسلم	٣٠	١٤	-		١٤
٣	موطأ الامام مالك	٠٥	٠٥	-		٠٥
٤	مسند الإمام أحمد	١٦٠	١٢٦	٧٩	١٩	٦٠
٥	سنن الامام ابي داود	٣٠	٠١٥	٠٢		١٣
٦	سنن الإمام الترمذي	٢٠	٠١٤	٦		٠٨
٧	سنن الامام ابن ماجه	٤٥	٠٢٧	-		٢٧
٨	سنن الإمام النسائي	٧٠	٣٣	٧		٢٦
	المجموع	٣٩٠	٢٥٩	٩٦	١٩	١٧٦

ملاحظة: (1) ورد في هذا الباب - خطب (خ ط ب) بمعنى تقدم لطلب اليد (النكاح) وخطب أخرى مرفوعة للصحابة، والذي اعتمده الباحث في العمود الثاني بالمعنى الذي حدده الباحث في حدود البحث

بعض القيم المستنبطة من خطب المصطفى ﷺ

أ/ القيم الاجتماعية : Social Values. (١)

هي القيم التي يظهر فيها اهتمام الفرد بحب الناس والميل اليهم، والتضحية من أجلهم، اذ يجد في ذلك اشباعا له، وراحة نفسية اجتماعية يسعد بها .

ويتميز أصحاب هذه القيم بالعلاقات الاجتماعية، وبروح تعاونية سمتها البذل والسخاء، والعطف والحنان، وخدمة الغير، كما أنهم يرون أن العمل على اسعاد الآخرين غاية في حد ذاتها .

ويمكن تلخيص هذه القيم فيما يلي :

١- قيم الطاعة .
٢- قيم المساواة ووحدة النوع البشري .
٣- قيم الايمان بكرامة الانسان .
٤- قيم المحبة والاخاء .
٥- قيم الحياة الزوجية .

وخلاصة القول أن القيم الاجتماعية تهتم بالجانب الاجتماعي وتبين ضرورته في تشكيل الانسان المسلم الصالح ، وذلك بغرسها في نفوس الناشئة من خلال الاهتمام بالحياة الزوجية، ثم الايمان بكرامة الانسان ووحدة النوع البشري، وتشكيل الانسان عالميا باعتباره عضوا في المجتمع الانساني ، ومصدر هذه القيم كلها الكتاب والسنة .

١- للتوسع انظر المراجع التالية :
- د . عبدالحميد الهاشمي ، المرشد في علم النفس الاجتماعي ، ص ١٤١
- د . حامد زهران ، علم النفس الاجتماعي ، ص ١٣٤
- د . سعد جلال علم النفس الاجتماعي ص ١٥٦
- د . مختار حمزة ، أسس علم النفس الاجتماعي ، ص ١٨٤
- د . توفيق مرعي وزميله ، الميسر في علم النفس الاجتماعي ، ص ٢٦٧

١/ قيم الطاعة:

لقد ميّز الدين الإسلامي بين الطاعة التوحيدية،(١) وهي الخضوع لأوامر الله عز وجل، ومن ثم تنفيذها عن قناعة ورضى، وبين الخضوع الجاهلي الذى يتمثل في التذلل لغير الله عزوجل، وفي تنفيذ إيحاءات غير المؤمنين ـ سواء كانوا منافقين أو من غيرهم ـ. لذلك جاءت العقيدة بالأمر بالطاعة الأولى والنهي عن الطاعة الثانية، فحثت المؤمنين على التسليم بالعبودية للخالق طوعًا أو جبرا، كما أوجبت عليهم بالمقابل رفض أى عبودية لغير الله سبحانه وتعالى، سواء تمثلت هذه العبودية في الأصنام ـ ماديا ـ أو في غيرها من المعنويات كالحكم بغير ما أنزل الله، أو ما سنه المصطفى ﷺ وقد ورد الحث الآلهي على الطاعة الايمانية في قوله

١ـ يقول الامام ابن تيمية عن التوحيد بأنه (تحقيق الشهادتين اللتين هما رأس الاسلام. شهادة أن لا إله إلا الله، وشهادة أن محمدًا رسول الله. فالشهادة بأنه لا إله إلا هو، تتضمن إخلاص الألوهية له، فلا يجوز أن يتأله القلبُ غيرَه لا بحبٍّ ولا خوفٍ ولا رجاء، ولا إجلال ولا إكبار ولا إكرام ولا رغبة ولا رهبانية. والشهادة بأن محمدا رسول الله تتضمن تصديقه في كل ما أخبر، وطاعته في كل ما أمر، فما أثبته وجب إثباته، وما نفاه وجب نفيه .... وعليهم أن يحللوا ما أحله، ويحرموا ما حرمه، فلا حرام إلا ما حرمه الله ورسوله، ولا دين إلا ما شرعه الله ورسوله.)إقتضاء الصراط المستقيم، جـ ٢ ص ص٨٣٣ـ ٨٣٥ بتحقيق: د. ناصر العقل

تعالى .. ((يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾)) (١)

ولعلنا نلاحظ أن الآية الكريمة السابقة تؤكد الطاعة الواجبة على المؤمن لله سبحانه وتعالى أولاً ، ومن ذلك جاء تعريف الاسلام بأنه الانقياذ والامتثال لأمر الآمر سبحانه ونهيه بلا اعتراض.

(فالاسلام بهذا المصطلح القرآني هو الخضوع لله والانقياد لطاعته وانسلاخ العبد من حريته الذاتية بإزائه تعالى ... واسلام وجهه لله ... على أن يقبل الانسان المنهاج الفكري والعملي الذى أنزله لهداية البشر، وأرسل به رسلاً من عنده، يقبل ذلك المنهاج القويم ويتبعه ويخضع له منقادا مطيعا.) (٢)

ثم جاء الأمر بعد بالامتثال لأوامر الرسول ﷺ لأنه ((مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴿٨٠﴾)) (٣)

ثم يكون الأمر بعد ذلك لأولى الأمر شريطة أن يأمروا بطاعة الله ورسوله، أى أن يستمدوا ممارساتهم في الحكم والتوجيه من شريعة السماء والسنة النبوية الشريفة ، وبمعنى آخر يمكننا القول بانهم يلتزمون حدود الله في الطاعة القائمة على الحق، وأن يجتنبوا الرضوخ المبني على الباطل.

١- سورة النساء آية/ ٥٩

٢- أبو الأعلى المودودى، الدين القيم، ص ٩

- أبو الأعلى المودودى، مبادئ الاسلام، ص ٧

٣- سورة النساء آية/ ٨٠

لذلك نجد الرسول ﷺ يؤكد هذا المعنى في خطبه حيث روت أم الحصين الأحمسية أنها سمعت رسول الله ﷺ في حجة الوداع وعليه برد قد التفع به (١) من تحت إبطه، قالت وأنا أنظر إلى عضلة عضده ترتج يقول :(يا أيها الناس: اتقوا الله وإن أمر عليكم عبد حبشي مجدع (٢)، فاسمعوا له وأطيعوا ما أقام فيكم كتاب الله عز وجل. (٣))

من هذه الخطبة نجد أن الرسول ﷺ قد حدد واجب الخليفة في الاسلام اذ أن أهم واجب يقع على كاهله هو حراسة الدين، وهذه الحراسة تقوم بنشر تعاليم الاسلام، وتعليمها للناس وحثهم عليها، وتنفيذها فعلا في جميع شئون الحياة. كما أن واجب الخليفة سياسة الدنيا بأحكام الاسلام - أي أن يدير شئون الدولة المختلفة - وفق مناهج الإسلام وأحكامه المستفادة من نصوصه الصريحة أو المستنبطة من هذه النصوص عن طريق النظر والاجتهاد من قبل الخليفة نفسه؛ إن كان من أهل الاجتهاد فعلا، أو بمعاونة مجلس من العلماء - مجلس الشورى - الذي له أن يستنبط الضوابط للأمور غير المنصوص على حكمها عن طريق الاجتهاد.

١- التفع: إلتحف. (الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مادة لفع.)

٢- مجدع: المجدع من النبت : ما أكل أعلاه. (الجوهري، الصحاح، مادة : جدع)

٣- الامام احمد بن حنبل، المسند، جـ ٥، ص ٣٨٦

- الامام محمد بن عيسى الترمذي، السنن، جـ ٣، ص ١٢٥

ولقد عمل رسول الله ﷺ على ترابط صفوف المسلمين ووحدتهم ما وسعه الجهد ، فوظّف طاعة ولي الأمر – على الشرط السابق – لتكون مصدراً أساسيا لهذه الطاعة، لذا خطب في الناس قائلا : (ومن بايع إماما فأعطاه صفقة يده (١) وثمرة قلبه (٢) فليطعه ما استطاع، فان جاء أحد ينازعه فاضربوا عنق الآخر (٣))

فهو بهذا ﷺ يؤكد على الوحدة القائمة على الطاعة المبنية على شرع الله سبحانه وتعالى .

ولا شك أن الطاعة الاسلامية تقضي ألا يكون للمسلم رأي إزاء حكم الله عز وجل

((وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾)) (٤)

وانطلاقا من هذا المبدأ نجد الرسول ﷺ يذكر المسلمين الأوائل بحق الطاعة لله عزوجل ولرسوله ﷺ فهو يخطب فيهم بالمدينة المنورة قائلا : (إن الله عز وجل حرّم الخمر فمن أدركته هذه الآية وعنده شيء منها فلا يشرب ولا يبيع . قال الصحابي

١– صفقة يده : أى عهده . (مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مادة : صفق)

٢– ثمرة قلبه : أى خالص عهده . (المرجع السابق ، مادة ثمر .)

٣– الامام احمد بن حنبل ، المسند ، جـ ٢ ، ص ١٦١

– الامام احمد بن علي بن شعيب النسائي ، السنن ، جـ ٧ ، ص ١٥٣

– الامام عبدالله بن يزيد بن ماجة، السنن ، جـ ٢ ، ص ٣٦٩

٤– سورة الأحزاب آية / ٣٦

أبو سعيد الخدرى ـ رضي الله عنه ـ راوى الخطبة : فاستقبل الناس بما كان عندهم منها في طرق المدينة فسفكوها) .(١)

ولعلنا نستطيع بعد ذلك القول بأن طاعة الأبناء لآبائهم ، والتلاميذ لمعلميهم ، والزوجات لأزواجهن ، فضيلة كبرى من الفضائل إذا كانت مبنية على الاحترام المتبادل ، وحرية الرأى المخالف ، وضمن إطار الرضوخ للحق .

إن الطاعة من منظور إسلامي أكثر تقدمية من التمرد العشوائي الذى في المجتمعات غير الاسلامية ، حيث يتنكر الأبناء لآبائهم ، والتلاميذ لمعلميهم ، والزوجات لأزواجهن ، فيعيشون في مجتمعات غير مستقرة ولا مطمئنة ، وبالتالي تعتورها أخطار كثيرة ، فيكمن الخلل ، وتعشعش الرذيلة ، اذ أن الرذيلة وليدة الانحلال والتفسخ وليست وليدة الطاعة .

---

١ ـ يحيى النووى ، شرح صحيح الامام مسلم ، جـ ٦ ، ص ٢

ـ محمد فؤاد عبدالباقي ، اللؤلؤ والمرجان ، جـ ٣ ، ص ١٠

٢- قيم المساواة ووحدة النوع البشرى[1]:

أكد الدين الاسلامي في كثير من آيات القرآن الكريم ، وأحاديث المصطفى ﷺ على أن منشأ الناس جميعا متشابه، فهو من نطفة، سواء كان ذكرا أو أنثى ، كما بيّن أن بدايتهم ونهايتهم جمعيا من التراب وإلى التراب، حيث قال تعالى :

((يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾))[1]

وكما قال تعالى((مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾))[2]

ولقد عمل المصطفى ﷺ جهده لتأكيد هذه القيمة في خطبة حجة الوداع التى حضرها جمع غفير من المسلمين معه، لينشروها بين الناس فيما بعد، حيث قال ﷺ :

(يا أيها الناس: ألا إن ربكم واحد ، وإن آباكم واحد ، ألا لافضل لعربي على أعجمي ،ولا لعجمي على عربي ، ولا لأحمر على أسود ، ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى.)[3]

إن ارتباط المساواة بتعاليم الدين الاسلامي وبعقيدة الايمان بالله يقيم التوازن بين الحق والواجب، وبين حق الفرد وحق الجماعة،

١- انظر :

- د . عبدالحميد العبادى، الاسلام والمشكلة العنصرية، دار العلم ببيروت.
- د . محمد السيد الوكيل ، قواعد البناء في المجتمع الاسلامي ، دار الوفاء.

٢- سورة النساء آية/ ١

٣- سورة طه آية/ ٥٥

٤- الامام احمد بن حنبل ، المسند ، جـ ٥، ص ٤١١

وذلك كله مقرر بميزان العدالة الإلهية الذى لا يحيف، وبهذا يتوقى المجتمع شطط الفردية والأنانية والنفعية من جانب، ويتوقى أن يكون الفرد مجرد رأس في قطيع، أو ترس في آلة.

وقد ظهرت هذه المساواة بصورة عملية تطبيقية في كثير من الأمور وبشكل واضح ومميز منها :

أن المسلمين جميعاً يعبدون إلهاً واحداً هو الله سبحانه وتعالى، لا إله إلا هو، فهم يدعونه ويتجهون إليه رأسا بلا واسطة ولا ولا شفعاء.

وفي الصلاة يصطف المسلمون جميعا، صفاً واحداً، ويقفون جنباً إلى جنب، فلا الفقير يتأخر لفقره، ولا الغني يتقدم لغناه، بل يقف الفقيرُ إلى جانب الغني، والأبيضُ بجوار الأسود، والكبيرُ بجانب الصغير.

وفي الحج يخرج المسلمون جميعا، حيث يقفون في صعيد واحد، لابسين لباساً واحداً، ينادون بنداءٍ واحد، متجهين إلى رب واحد.

وفي الصيام يصوم المسلمون جميعا، في شهر واحد، ولا يسقط الصيام عن أحد منهم لغناه ولا لمركزه أو حسبه، أو يزيد فيه لفقره أو زهده.

وفي الزكاة يدفع المسلمون كلهم نسبةً مئويةً واحدةً، فهي لا تنقص من الغني، ولا تزيد عند غيره، وإنما ينقص أو يزيد ما يخرجه بموجب هذه النسبة بمقدار ما يملك كلّ واحدٍ منهم من المال.

وبعد الموت، يدفنون جميعا في التراب

((مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾)) (١)

إن قضية التفرقة العنصرية والأجناس المتفوقة شغلت كبار المفكرين منذ القرن التاسع عشر الميلادي ، حيث اعتقدوا بوجود تمايز بيولوجي وعقلي بين البشر، وأن بعض الأجناس متفوقة على سواها ، مما جرّ ويلاتٍ ونكباتٍ على البشرية كانت في غنى عنها ، ولقد أثبتت البحوث العلمية الحديثة خطأ ذلك كله ، وأوضحت أن الأجناس البشرية لا تختلف بعضها عن بعض من حيث القدرات العقلية والمزايا البيولوجية والسيكولوجية، ولكن الظروف المتغيرة المحيطة بها تتفوق أو تختلف حضارياً .

ولقد توصل الدين الإسلامي إلى حلٍ جذريٍ لهذه المشكلة قبل أربعة عشر قرناً ، عندما قرر وحدة الأصل للبشر جميعا ، فكلهم لآدم وآدم من تراب، فهم إذن يستون في الأصل ، وبالتالي في الخصائص الجسمية والنفسية والعقلية . وبين أن قاعدة المفاضلة في المجتمع الاسلامي بين فرد وآخر ، انما تكون بالتقوى ، فمن كان أتقى كان أكرم عند الله سبحانه وتعالى . كما اقتضت حكمة الله تعالى أن تختلف ألوانهم وتتعدد لغاتهم، فقد أوضحت الآية الكريمة ذلك حيث قال تعالى ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾))

١ـ سورة طه آية/ ٥٥

٢ـ سورة الحجرات آية/ ١٣

ولقد قام المصطفى ﷺ بعمل مهم في خطبه لتأكيد هذا حيث روى ابن عمر — رضي الله عنهما — ان رسول الله ﷺ خطب يوم فتح مكة فقال : (يا أيها الناس، إن الله قد أذهب عنكم عُبِّيَّة[1] الجاهلية وتعاظمها بآبائها ، فالناس رجلان : رجل بَرٌّ تقيٌّ كريم على الله ، وفاجر شقيٌّ هيِّن على الله . والناس بنو آدم ، وخلق الله آدمَ من التراب.)[2]

والتشريع الاسلامي الذى مصدره الكتاب والسنة، لا يحيف ولا يميل إلى غني على حساب فقير، ولا إلى فقير على حساب غني ، ولا يمالئ الأقوياء على حساب الضعفاء، بل يقفُ وسطًا بين الجميع، ويساوى بينهم في الحقوق والواجبات، ويفسح أمامهم جميعًا مجالَ الارتقاء، ثم يغرسُ في نفوس الجميع الحبَّ والصفاء والعمل على المحبة، فقد ورد في الحديث الشريف قوله ﷺ : (لا تدخلون الجنةَ حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أَوَلا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم)[3] . ويزيد الرسول ﷺ الأمر تأكيدًا حيث يقرر أن (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى

١ـ عُبِّيَّة الجاهلية : نخوتها . (الجوهرى، الصحاح ، مادة: عبب.)

٢ـ الامام محمد بن عيسى الترمذى، السنن، جـ٥، ص ٦٤

ـ الامام احمد بن حنبل ، المسند ، جـ٢ ، ص ٣٦١

٣ـ الامام مسلم بن الحجاج ، الصحيح ، كتاب الايمان باب لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا

ـ الامام ابو داود سليمان بن الأشعث، السنن، جـ٤ ص ٣٥٠

ـ الامام محمد بن عيسى الترمذى، السنن، جـ٥، ص ٥٢

ـ الامام عبدالله بن يزيد بن ماجة، السنن، جـ٢ ، ص ١٢١٧

منـــه عضو تداعى لــه سائر الجسد بالسهر والحمى ٠) (١)

إذا استطاعـت التربية أن تربى أبناء الجيل على هذه القيمـــة خـلص إلينا جيل متراحم متحاب ، يعمل بيد واحـدة، لا يفكـر أن هذا أسود لا يليق بـــه وهو ابن الأكابر أن يضع يده في يده ،أو أن هذا ابن فقير لا يصح أن يجلس بجواره ، إنما يكون تفكيره منصبـا عـلى أنهم كلهم أبناء أب وأم واحدة، وأن أولهم من تراب،وآخرهـــم إلى التراب٠

ولن تجـد البشرية مناهج أصلح وأكمـل ممـا رسمه القرآن الكريم وحـدده سيدنا محمـد ﷺ واتبعه أصحابه ــ رضوان الله عليهم ــ ، فهـــي التى تغرس في النفوس الخـير وتنمى فيها الاحسان، وبها يمكن الخلاص من نموذج الانسان المتعالي المتكبر، وتتجاوزه إلـــى الانسان الصالح المتسامح المتعاون الراغـــب في ارتقاء الحياة إلـى أرحـب الآفـــاق وأسماها ٠ وليس ذلك كله إلا للمسلم الذى يربـــى على منهج الكتاب والسنة وقيمهما السامية٠

عند ذلك يكون الناس متساويين ولن يقسموا إلى طبقات عليـــا ودنيا ، ولن يحتقر الغني الفقير، ولا القوى الضعيف، ولن تغـــرس جـذور الحقد والصراع، بل سيكون التقسيم مبنيا على أساس أخلاقي وكما أراده الله تعالى ((إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)) (٢)

١ــ الامـام أحمد بن حنبل ، المســـند ، جـ ٤ ، ص ٢٧٠

٢ــ سورة الحجرات آيـــة/ ١٣

ولقد حذّر رسول الله ﷺ أمتـــه من الطغيان والتكبر على الناس ، والاختيال في الأرض، والعُجب بالنفس، فقد روى الإمامان البخاري ومسلم عن أبي هـريرة ــ رضي الله عنه ــ أن رسول اللـــه ﷺ قال بينما رجل يمشي في حـلة تعجبـــه نفســـه (١) ؛ مرجـــل (٢) جمتـــه (٣) ، إذ خسف اللهُ بـــه ، فهو يتجـلجل (٤) إلى يوم القيامة (٥))

كما أكـــد المصطفى ﷺ وبكل وضوح ، مبدأ المساواة ، وأخرجه عن نطاق النظريات والفلسفات، وجعله مبدأً تطبيقيا عمليا ، وهذا من الميزات الأساسية التي ترجم بها المسلمون الأوائل مبادئ الديـن الإسلامي إلى واقع عملي في حياتهم، لذلك نجـد الرسول ﷺ يقول (إخوانكم خولكم جعلهم الله تحـت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده، فليطعمه مما يطعم، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون، فإن كلفتموهم فأعينوهم (٦))

ولتأكيد هذا المعنى نجـد الرسول ﷺ ينهى أبا مسعود عن ضربـه لخادمـه ويقول له : إعلم يا أبا مسعود ، إعلم يا أبا مسعود ، للـــه

١ــ تعجبه نفسه : اى ملاحظته لها بعين الكمال مع نسيان نعمة الله عليـــه ، وهو الكبر المذموم .

٢ــ مرجـــل : رجّـل شعره : أى سرّحـه

٣ــ جمتـــه : الجمة ، مجتمع شعر الرأس المتدلي إلى المنكبين .

٤ــ يتجـلجـل : اى يسوخ في الارض، ويندفع من شق إلى شق .

٥ ـ محمد فؤاد عبدالباقي ، اللؤلؤ والمرجان ، حديث رقم ١٣٥٦

٦ــ الامام احمد بن حنبل ، المسند ، جـ ٥ ، ص ١٦١

أقدرُ عليك منك على هذا. قال: فحلفت لا أضرب مملوكا لي أبدا.) (١)

تلك هي المساواة العادلة التي يسعد بها المجتمعُ الانساني ...

وبدونها يكون الصراعُ بين الطبقات سمةً بارزة في كل جماعة إنسانية ضلت طريق الحق والخير... طريق الإسلام.

من هذا المنطلق عمل الرسول ﷺ من الأيام الأولى للدعوة على تأكيد قيمة المساواة بين المسلمين، فقال في إحدى خطبه في مكة المكرمة: (٢)

(يا بني كعب بن لؤي، أنقذوا أنفسكم من النار.

يابني مرّة بن كعب، أنقذوا أنفسكم من النار.

يابني عبد شمس، أنقذوا أنفسكم من النار.

يا بني عبد مناف، أنقذوا أنفسكم من النار.

يابني هاشم، أنقذوا أنفسكم من النار.

يابني عبد المطلب، أنقذوا أنفسكم من النار.

يا فاطمة بنت محمد، أنقذى نفسك من النار.

فإني لا أملك لكم من الله شيئا، غير أن لكم رحماً سأبلها ببلالها.)

الكل بشر.. والكل أمام الحق والعدل متساوون... لا فرق بين سيد ومسود... لا فرق بين فقيرهم وغنيهم، ولا بين أسودهم وأبيضهم....

١- الامام احمد بن حنبل، جـ ٥، ص ٢٧٤

٢- يحيى النووى، شرح صحيح مسلم، جـ ٣، ص ٧٣

- احمد ابن حجر العسقلاني، فتح البارى، جـ ٦، ص ٣١٢

وهذا الحوار بين النبي ﷺ وأحد الصحابة يؤكد لنا عمق هذه القيمة في نفوس الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين .

فقد روت السيدة عائشة - رضي الله عنها - :

(أن رجلا قعد بين يدى رسول الله ﷺ فقال يارسول الله إن لي مملوكين يكذبونني ويخونونني ويعصونني ، وأشتمهم وأضربهم فكيف أنا منهم ؟؟ قال : " يحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك ، وعقابك إياهم ، فان كان عقابك إياهم بقدر ذنوبهم كان كفافا لا لك ولا عليك ، وإن كان عقابك إياهم دون ذنوبهم كان فضلا لك ، وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم اقتص لهم منك الفضل . قال فتنحى الرجل يبكي ويهتف ، فقال رسول الله ﷺ : أما تقرأ كتاب الله (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا) ، فقال الرجل : والله يارسول الله ما أجد لي ولهم شيئا خيرا من مفارقتهم ، أشهدك أنهم أحرار كلهم .) (١)

يالها من تربية نبوية أثرت في هذا الرجل الذى سارع بعتق مملوكيه خوفا من عقاب الله عز وجل يوم القيامة ، عندما علم أن العدل الالهي سينا له بالحق .

١- محمد بن عيسى الترمذى ، السنن ، جـ ٥ ، ص ٣

ومن ذلك مـا حـدث في عهد الرسول ﷺ أن امرأة من بني مخزوم — من علية القوم في قريش — سرقت عام الفتح ، وخشيت قريش أن يقيم الرسول ﷺ عليها حـدّ السرقة، فقالوا : (من يكلم فيها رسول الله ﷺ ؟ فقالوا : ومن يجترئ عليه الّا أسامة بن زيد — حبّ رسول الله ﷺ فأتى بها رسولَ الله ﷺ فكلمه فيها أسامة بن زيد فتلـوّن وجهُ رسول الله ﷺ وقال : " أتشفع في حد من حدود الله " فقال له أسامة : استغفر لي يارسول الله . فلما كان العشي ، قام رسول الله ﷺ خطيبا ، فأثنى على الله بما هو أهله ، ثم قال :

(أما بعد : فإنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريفُ تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيفُ أقاموا عليه الحدّ والذى نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها) ثم أمر بتلك المرأة التي سرقت فقطعت يدها . قالت عائشة — رضي الله عنها — فحسنت توبتها بعدُ ، وتزوجتْ وكانت تأتيني بعد ذلك فأرفع حاجتها إلى رسول الله ﷺ . (١)

في هذه المناسبة، أو هذا الاسلوب التربوى لم يتقيد رسول الله ﷺ بوقت للخطبة ، وإنما قام خطيبًا في الناس وقت العشي — أى قبل أن ينتهي النهار — وقبل أن ينتهي اليومُ الذى تقدّم فيه أسامة بن زيد بالشفاعة ، وذلك حتى لا يعطي للمروجين فرصةً

---

١ — احمد بن علي بن حجر ، فتح البارى ، جـ ١٢ ، ص ٨٧
— يحيى النووى ، شرح صحيح مسلم ، جـ ١١ ، ص ١٨٧
— الامام احمد بن حنبل ، المسند ، جـ ٦ ، ص ١٦٢
— الامام احمد بن علي بن شعيب النسائي ، السنن ، جـ ٨ ، ص ٧٥

فيكون الخبر مصدراً للشائعات في التشفع في حد من حدود الله .

لقد وجد المصطفى ﷺ أن يواجه الخبر بكل حزم ليقطع الشك باليقين اذ لا شفاعة في حدود الله ، فالجميع أمام حدود الله سواسية كأسنان المشط ، فلا فرق في اقامة حدود الله في الاسلام بين غني وفقير ، ولا قوى وضعيف ، ولا سيد ومسود ، وذلك حتى يطمئن المسلمون على تطبيق حدود الله وحكمه ، وتنفيذ العدالة الاسلامية بين جميع أفراد المجتمع .

إن تربية مثل هذه القيمة في نفوس الناشئة تحدد للانسان المسلم سلوكه أمام أحداث الحياة ومتطلباتها ، كما أنها تعينه على مواجهتها ، فهي ليست مجرد قيم نظرية تجريدية لا علاقة لها بالتفاعل الاجتماعي والحياة اليومية ... بل انها على العكس من ذلك تماماً حينما طبقت أخرجت للبشرية خير أمة للناس ... منهاجاً وقيماً وسلوكاً ، وهذا شأن الاسلام وقيمه في سائر جوانب الحياة ، فهو دين الحياة .

***

٣- قيمة الإيمان بكرامة الانسان :

إذا كان الانسان هو محور الحضارة وأساسها وتحديد وضعه في أي عقيدة أو أيديولوجية هو منطلق هذه الحضارة اذ لا تقوم على انسان مهين أو سلبيّ أو مضيّع لذلك كان الانسان في الدين الاسلامي مكرما معززا ، له ارادته وطاقاته وامكاناته ، والايمان بالله سبحانه وتعالى هو الذى يصون هذه الطاقات من أن تستنزف ، أو يستنزفها اليأس والتواكل والسلبية بأي وجه من الوجوه من جهة ، أو الكبر والبطر والغرور من جهة أخرى .

والمتصفح لكتاب الله سبحانه وتعالى وسنة نبيه المصطفى ﷺ يجد فيهما الكيفية التي خلق الله الانسان عليها ، كما تضمنت كذلك تقرير مكانة هذا المخلوق وطاقاته وامكاناته الروحية والنفسية والعقلية واللغوية التي زوده بها الخالق سبحانه ((فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾))(١) وقوله تعالى :

((وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾))(٢)

١- سورة الحجر آية / ٢٩

٢ - سورة البقرة آية / ٣١- ٣٣

ونتيجة لما وهب الله هذا الانسان من قدرات نفسية وروحية وعقلية ، استطاع أن يتعرّف على النواميس والقوى الكونية ويستخدمها .

قال تعالى في محكم التنزيل ((ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾))(١)

وقوله تعالى ((وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾))(٢)

١- سورة ابراهيم آية / ٣٢ - ٣٤

٢- سورة النحل آية / ١٢ - ١٨

وقولــه تعالى :

((ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾)) (١)

بهذه الطاقات والقدرات التي منحها اللهُ للانسان ، وبما سخّر لــه من طاقات الكون ، وبما أنزل اليه من هداية الوحي ، تحققت كرامة الانســان بين خلق الله ، وتهيأ له أن يصنــع ويبدع ويقيــم الحضـارة وينشرهـــا بين البشر ، ((وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا)) (٢)

يقول سيد قطب ــ رحمه الله ــ (٣) (... كرمه بخلقته على تلــك الهيئة ، بهذه الفطرة التي تجمع بين الطين والنفخـة فتجمع بين الأرض والسمـاء في ذلك الكيان .

(وكرمــه بالاستعدادات التي أودعها فطرتـــه ، والتي استأهل بهـــا الخلافـــة في الأرض ، يغيّر فيها ويبدّل ، وينتج فيها وينشئ ، ويركب فيها ويحلل ، ويبلغ بها الكمال المقدر للحياة .

(وكرّمه بتسخير القوى الكونية له في الأرض وإمداده بعون القوى الكونية في الكواكب والأفلاك .

(وكرمه بإعلان هذا التكريم كله في كتابه المنزل من الملأ الأعلـــى الباقي إلى الأرض (٤))

١ــ سورة الجاثية آيــة / ١٢ ــ ١٣

٢ــ سـورة الاسراء آيــة / ٧٠

٣ــ في ظلال القرآن ، جـ ١٥ ، ص ٥٤

والانسان الذى كرمه الله منذ خلقه ونفخ فيه من روحه وعلّمه الأسماء كلها ، هو الانسان باطلاق ذكرا كان أم أنثى . ففي عقيدة الدين الاسلامي يحمل الشيطان وحده اثم اغواء آدم وحواء .

والدين الاسلامي يجمع الرجل والمرأة في وحدة الأصل ، ووحدانية الرب سبحانه ، ووحدة الدين عقيدة وشريعة ، ثم فكرا وخلقا وسلوكا ، المؤدية إلى وحدة المسئولية والالتزام والجزاء في الدنيا والآخرة قال تعالى :

((يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا)) (١)

من هذا المنطلق نجد المصطفى ﷺ يؤكد هذه القيمة على الناس يوم الحج الأكبر عندما خطب فيهم قائلا :

(ألا تدرون أى يوم هذا ؟؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ـ قال حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه ـ فقال : أليس بيوم النحر ؟؟ قلنا : بلى يارسول الله . قال : أى بلد هذا ؟؟ أليست بالبلدة الحرام ؟؟ قلنا : بلى يارسول الله . قال : فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم وأبشاركم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا . ألا هل بلغت . ؟؟

١ـ سورة النساء آية / ١

قلنا : نعم. قال : اللهم أشهد . فليبلغ الشاهد الغائب، فإنه رب مبلغ يبلغه من هو أوعى له .)[١]

الإنسان المؤمن في نظر الإسلام مخلوق كريم على الله، خلقه ربه في أحسن تقويم، كما صوّره فأحسن صورته، خلقه بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له عباده من ملائكته المقربين، وميزه بالعلم والإرادة وجعله خليفته في الأرض، كما جعله محور النشاط في الكون، وسخّر له ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة، فكل ما في الكون له ولخدمته.

لقد سما الإسلام بالانسان المؤمن فاعترف به كله، روحه وجسده، عقله وقلبه، إرادته ووجدانه، غرائزه الهابطة التي قد تصل به الى درجة متدنية، وأشواقه الصاعدة التي تحلق به في ملكوت السماوات، فالله سبحانه وتعالى لم يضع في عنقه غلا، ولم يقيد رجليه بقيد، ولم يحرّم عليه طيبا، ولم يغلق في وجهه باب خير.

يقول الامام ابن قيم الجوزية[٢] ــ رحمه الله ــ (فاعلم أن الله سبحانه وتعالى اختص نوع الإنسان من بين خلقه بأن كرّمه وفضّله وشرّفه. وخلقه

١ــ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، فتح الباري،
ــ يحيى النووي شرح صحيح مسلم، ج ٤، ص ١٧٠
ــ الامام احمد بن حنبل ، المسند ، ج ٤ ، ص ٧٦
ــ عبدالملك بن هشام، السيرة النبوية، ج ٤، ٢٥٠
ــ ابوعمرو الجاحظ، البيان والتبيين، ج ٢، ص ٣٢
ــ احمد صفوت، جمهرة خطب العرب، ج١، ص ٥٨
٢ــ مدارج السالكين، ج١، ص ٢٣٢

لنفسه ، وخلق كل شيء له . وخصه من معرفته ومحبته وقربه واكرمه بما لم يعطه غيره . وسخر له ما في سماواته وأرضه وما بينهما حتى ملائكته - الذين هم أهل قربه - استخدمهم له . وجعلهم حفظة له في منامه ويقظته ، وظعنه وإقامته ، وأنزل إليه وعليه كتبه ، وأرسله وأرسل إليه ، وخاطبه وكلمه منه إليه ، واتخذ منهم الخليل والكليم ، والأولياء والخواص والأحبار ، وجعلهم معدن أسراره ، ومحل حكمته ، وموضع حبه ، وخلق لهم الجنة والنار . فالخلق والأمر ، والثواب والعقاب ، مداره على النوع الانساني .)

هذه هي معاني الكرامة والعزة التي تغرسها العقيدة في قلب المؤمن باعتباره " انسانا " له حقه في الحياة بشرف وكرامة وعزة نفس.

والانسان المؤمن يشعر " بايمانه " بمعان أعمق ، وعزة أشمخ ، فهو بإيمانه يسمو إلى سماء عالية ، يرفعه إلى منزلة عظيمة القدر . لذا فهو يشعر بالعزة التي سجلها الله للمؤمنين به في كتابه العزيز مقرونة بالعزة لنفسه سبحانه وتعالى ولرسوله ﷺ حيث قال تعالى :

((وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ)) (١)

كما أن المؤمن بالله سبحانه يشعر بأنه قد كتبت له الكرامة التي يعلو بها ولا يُعلى ، ويسود ولا يُساد ، حيث قال تعالى في ذلك :

((الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ۚ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا)) (٢)

١- سورة المنافقون آية / ٨

٢- سورة النساء آية / ١٤١

إن هذه المعاني الكبيرة والكريمة ، والمشاعر الراقية والرفيعة
إذا سرت في كيان الفرد ، جعلت منه انسانا عزيزا كريما ، كبير النفس
كبير الآمال ، انسانا لا يحني رأسه لمخلوق مثله ، ولا يطأطئ رقبته
لطاغوت جبار أو مال أو جاه .

هذه المعاني جعلت من بلال بن رباح - رضي الله عنه -
وهو عبد أسود ، حينما أشرب قلبه الايمان ، يتيه على سادته المتكبرين
ويرفع رأسه عاليا ، فكانوا حينما يعذبونه في رمضاء مكة المكرمة
وجوها الحار اللافح ، ويلهبون جسده العارى بالسياط ، يصول
عليهم قائلا " أحد أحد ، أحد " ولا يفكر في تعذيبهم الذى
يصل إلى جسده فقط ، ولا يمتد إلى قلبه المؤمن المتمسك
بالله سبحانه وتعالى .

إن تزويد المتعلم بهذه المعاني السامية التى تجعل الانسان
المؤمن بالله يعتقد بكرامته على الله ، ومركزه القيادى في هذا الكون ،
يجعله يشعر بذاته ، وارتباطه بكل ما في الوجود فيحيا عزيز
النفس ، بعيدا عن الشعور بالتفاهة والضياع والعدم والفراغ ....
إن ذلك كسبا كبيرا ومغنما ضخما للانسان ... خاصة في عالم الواقع
والسلوك .

إن التربية الاسلامية عندما تهدف إلى ايجاد الانسان الصالح
تنشد إلى تحقيق الكمال الانساني من خلال التربية ، فمبدأ تقرير
الكرامة الانسانية معناه في الاسلام تحرير الانسان من كل قيد زائف
يؤدى إلى تبديد طاقاته أو استغلالها في غير مصلحته ... ومعناه

كذلك تربيةُ عقل الانسان المسلم على التحرر من القلق والمخاوف لأنه رُبِّيَ على اللجوء إلى القوة العظمى التى خلقت كل شيء في الكون ... ويلجأ إليها كل شيءٍ في الكون. ونشدان الكمال الانساني من خلال التربية على مبدأ تكريم النوع الإنساني يؤدى إلى تربيةِ الإنسان على التحرر من العبث واللهو ... وكذلك التخلص من استعباد الشهواتِ والملذات التى تؤدى سيطرتها إلى تقييد العقل فلا ينظر إلا بمنظارها ... فإذا استطاعت التربية أن تربي الإنسانَ الصالحَ الذى يعرف أن الله ما خلقه عبثاً ، بل خلقه ليختبره ويجازيه بأعماله ، ثم هو راجع إلى الله، لم يعد لدى الإنسان المسلم الصالح مجال للاستغراق في الملذات ونسيان الواجب الذى خلقه الله سبحانه من أجله وقد نص القرآن الكريم في أكثر من آية على ذلك حيث قال :

((وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾)) (١)

وقوله تعالى : ((أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾)) (٢)

١- سورة الذاريات آية / ٥٦ - ٥٨

٢- سورة المؤمنون آية / ١١٥ - ١١٦

٤ ـ قيم المحبة والاخاء

تنشأ المحبةُ بين أفراد الأمة الواحدة المبنية على عقيدة التوحيد ،لتؤلف بين أبناء هذه الأمة، وتشد أفرادها بعضهم إلى بعض، فتجعلهم يداً واحدةً ،حيث يحب الفردُ منهم ما يحبه لأخيه المسلم، هذه المحبةُ جزء لا يتجزأ من حقيقة الايمان، اذ أنه لا يتم إيمانُ شخص إلا باكتمال هذه المحبة في قلبه لقوله ﷺ (لا يؤمن أحدُكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه)(١) . فالمحبة القائمة على أساس عقدى محبة دائمة لا تنقطع، ولها أثر بارز في المجتمع اذ تصير دعامة من دعائم قوة المجتمع وتساند أفراده.

فالمحبة التى تنشأ بين أفراد المجتمع الاسلامي ،لا ترتبط بعوامل مادية، أو روابط اقتصادية،أو وشائج أسرية ،أو تشوبها أواصر منفعة شخصية، ولكنها تكون في الله سبحانه وتعالى ،ولذا نبهنا المصطفى ﷺ لذلك بقوله : (من أحب لله، وأبغض لله ،وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الايمان)(٢).

(هذه الأخوة هي روح الايمان الحي ،ولباب المشاعر الرقيقة التى يكنها المسلمُ لاخوانه، حتى انه ليحيا بهم ويحيا لهم، فكأنهم أغصانٌ انبثقت من دوحة واحدة ،أو روح واحد حل فى أجسام متعددة)(٣).

١ـ الامام محمد بن اسماعيل البخارى، الصحيح ،كتاب الايمان ،باب من الايمان ان يحب لاخيه مايحب لنفسه

٢ـ الامام سليمان بن الأشعث ،السنن، جه ،ص ٦٠

٣ـ محمد الغزالي ، خلق المسلم، ص ٢٨٥

ولقد أوضح المصطفى ﷺ أن المؤمنين إخوة ، ومن حق الأخ على أخيه أن يكره مضرته ، بل ويسعى جاهداً إلى دفعها عنه وإزالتها بكل طاقاته سواء الجسمية أو المعنوية حيث قال ﷺ : (من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل).(١) حتى انه ﷺ جعل المسلمين كجسدٍ واحدٍ إذا اشتكى منه عضوٌ تتألم بقية الأعضاء لألمه حيث قال ﷺ : (مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى).(٢) ويؤكد هذه الاخوة ﷺ في خطبته يوم عرفة - في حجة الوداع - حيث قال ﷺ : (إنما المؤمنون إخوة ، ولا يحلّ لامرئٍ مسلمٍ مالُ أخيه إلا عن طيب نفس منه).(٣)

وحتى يُجنِّبَ المصطفى ﷺ المجتمعَ المسلم الرذائلَ التى تناقض آداب الاخوة وشرائعها ، حذّر من هذه الرذائل في كل مناسبة يغتنمها ﷺ ، اذ قد تبدو هذه الرذائل لبعض الناس تافهة الخطر ، لكنها لمن تدبر عواقبها تضر بالعلاقات الأخوية بين المسلمين ، لذا نجده ﷺ يقول : (إيّاكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث ، ولا تجسسوا ولا تنافسوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً .

١- الامام احمد بن حنبل ، المسند ، جـ ٣ ، ص ٣١٥

٢- الامام مسلم بن الحجاج ، الصحيح ، كتاب البر ، باب المؤمنون كرجل واحد .

- الامام أحمد بن حنبل ، المرجع السابق ، جـ ٤ ، ص ٢٦٨

٣- عبدالملك بن هشام ، السيرة النبوية ، جـ ٢ ، ص ٦٠٤

المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم. كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث)(١)

ولقد نبهنا المصطفى ﷺ الى أن من الصغائر التي قد يراها البعض هينة تافهة ما قد يسبب الحقد والبغض في قلوب بعض الناس كترويع المسلم. لذلك نهى المصطفى ﷺ عن أن يسبب المسلم لأخيه قلقا، أو أن يثير في نفسه فزعا أو روعا حيث قال ﷺ (لا يحل لمسلم أن يروع مسلما)(٢)

من هذا المنطلق نجد المصطفى ﷺ يشدد من أمر الاخوة الدينية، ويحرّم ما يؤدى الى ايذاء المسلم أو يقرب من العدوان عليه، حيث قال ﷺ (من أشار الى أخيه بحديدة فان الملائكة تلعنه حتى ينتهي وان كان أخاه لأبيه وأمه.)(٣)

ولقد أعطانا المصطفى ﷺ القدوة في هذه الصداقة، فها هو ذا يحتفظ لصديقه ورفيق درب كفاحه، فيحفظ له تصديقه وتصدقه بماله كله في سبيل الدعوة وخدمة الاسلام، فيقول ﷺ في احدى خطبه ﷺ أمام المسلمين تعليما وتدريبا لهم على حفظ الصداقة وتقديرها حق قدرها، مشيدا بهذه

١- الامام مسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب البر، باب المسلم اخو المسلم

- الامام أحمد بن حنبل، المسند، جـ ٢، ص ٤٧٠

٢- الامام سليمان بن الأشعث، السنن، جـ ٥، ص ٢٧٤

٣- الامام محمد بن عيسى الترمذى، السنن، جـ ٣، ص ٣١٤

الصداقة : (.... إن أمن الناس علي في صحبته وماله أبو بكر ، ولو كنت متخذا خليلا من أمتي لاتخذت أبا بكر ، ولكن أخوة الاسلام ومودته .) (١)

ان المصطفى ﷺ يعلن في خطبته هذه حقوق الأخوة في الدين الاسلامي ، إذ أنه يقررها قبولا وممارسة في واقع حياته .

ومن الأمور التى عالجتها خطب المصطفى ﷺ احترام بيوت المسلمين ، وعدم اختراق هذه الحرمة ، فعندما يغيب أحدهم يكون بيته وأهله وحرمه في ذمة مسلمي المجتمع الذى يعيش فيه ، فلا يعتدي أحد منهم على هذه الحرمة ، والمعتدى – أيا كان – سيلقى جزاءه ، بشدة وحزم ، وهذا ما تؤكده خطبة المصطفى ﷺ التي خطبها ﷺ – بعد إقامة الحد الشرعي على الصحابي ماعز بن مالك الذى اعترف أمامه بارتكاب جريمة الزنا ، حيث قام خطيبا ﷺ فقال : (أو كلما انطلقنا في غزاة في سبيل الله ، تخلف رجل في عيالنا له نبيب كنبيب التيس ، علي أن لا أوتى برجل فعل ذلك الا نكلت به .) (٢)

١– الامام محمد بن اسماعيل البخارى ، الصحيح ، كتاب فضائل الصحابة ، باب لو كنت متخذا خليلا .

٢– الامام مسلم بن الحجاج ، الصحيح ، كتاب الحدود ، باب الاعتراف على نفسه بالزنا .

– الامام احمد بن حنبل ، المسند ، ج ٥ ، ص ٨٦

والنبيب صوت التيس عند السفاد (النووى شرح صحيح مسلم ، ج ١٢ ، ص ١٩٧)

٥ ـ قيم الحياة الزوجية

(١)

شاءت ارادة الله سبحانه وتعالى أن تكون الزوجية قاعدة لبناء الكون، وهي أصل حفظ النوع والبقاء. ومن هنا كانت الانسانية مكونة من زوجين اثنين: ذكر وأنثى ، ولا تستقر حياة البشرية والمجتمع ما لم تكن هناك نظرة صحيحة إلى العلاقة بين الذكر والأنثى ووضع كل منهما تجاه الآخر.

من هذا المنطلق نجد أن الدين الإسلامي قد حرص كل الحرص على تصحيح النظرة إلى المرأة ، وذلك بإقامة العلاقة بين الجنسين على أساس من حقائق الفطرة السليمة، كما عني ببيان وحدة الزوجين وتساويهما من الناحية الانسانية حيث نص على أصلهما الواحد :

قال تعالى (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)) (٢)

١ـ يقول سيد قطب رحمه الله ـ في تفسير قوله تعالى : (ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون) في سورة الذاريات آية / ٤٩" هذه حقيقة عجيبة تكشف عن قاعدة الخلق في هذه الارض ـ وربما في هذا الكون. إذ أن التعبير لا يخصص الأرض ـ قاعدة الزوجية في الخلق. وهي ظاهرة في الأحياء، ولكن كلمة شيء ـ تشمل غير الأحياء أيضا ، والتعبير يقرر أن الأشياء كالأحياء مخلوقة على أساس الزوجية . . . فالبحوث العلمية الحديثة سائرة في طريق الوصول إلى الحقيقة، وهي تكاد تقرر أن بناء الكون كله يرجع الى الذرة، والذرة مؤلفة من زوج من الكهرباء موجب وسالب فقد تكون تلك البحوث اذن على طريق الحقيقة في ضوء هذا النص العجيب) في ظلال القرآن، جـ ٢٧، ص ص ٢٥ـ٢٦

٢ـ سورة النساء آية / ١

كما عني ببيان وحدة الزوجين وتساويهما من حيث العلاقة بربهما وجزائهما عنده سبحانه وتعالى ((فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ)) (١)

إن المجتمع البشرى يتكامل بناؤه ابتداء من الأسرة ، وأساس هذه الأسرة الزوجان ، والمجتمع بعد ذلك مجموع هذه الأسر ، فهي لبناته التي يقوم عليها وينمو بها ، ويحصل له منها الامتداد حتى تتكون الأمة ثم الانسانية . لذلك لا نستغرب عناية الاسلام بالأسرة كل هذه العناية ، واحاطتها بكل أسباب التكريم والتقويم ، لـه آثاره الكبيرة على المجتمع .

ولقد عمل الاسلام على تكوين هذه النواة الصغيرة من زوج وزوجة ، فالزواج في الاسلام سَكَنٌ للنفس ، كما أنه راحة للقلب ، واستقرار للضمير وتعايش بين المرأة والرجل على المحبة والمودة والرحمة ((هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا)) (٢) فبهذا جعل منهما وحدة شعور ، ووحدة عواطف ، ووحدة أمل ، ووحدة تفاهم ، ووحدة أسرار متبادلة ، نجد هذا متمثلا في قوله تعالى : ((هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ)) (٣)

قال الامام القرطبي في تفسيره (٤) (أصل اللباس في الثياب ، ثم سمي امتزاج كل واحد من الزوجين بصاحبه لباساً ، لانضمام الجسدين

١- سورة آل عمران آية / ١٩٥

٢- سورة الأعراف آية / ١٨٩

٣- سورة البقرة آية / ١٨٧

٤- جـ ٢ ، ص ٣١٦

وامتزاجهما تشبيها بالشوب)

وانطلاقا من هذا المبدأ ، نجد الاسلام يذم الرهبنة ، ذلك لانها ضد الفطرة الانسانية السليمة التي فطر الله الناس عليها ، واعتنى الاسلام بالزواج واعتبره أمرا تعبديا ، وضرورة لا بد منها ، وأمر بتعجيله وتيسيره ، سواء من ناحية المهر أو التكاليف ، لذا قال ﷺ لأحد أصحابه حينما أراد الزواج وسأله ﷺ : (هل عندك من شيء تصدقها اياه ؟؟ قال : ما عندي الا ازاري هذا . فقال النبي ﷺ ان أعطيتها ازارك جلست لا ازار لك ، فالتمس شيئا . فقال : ما أجد شيئا ، فقال النبي ﷺ التمس ولو خاتما من حديد ، فالتمس فلم يجد شيئا . فقال النبي ﷺ هل معك من القرآن شيء ؟ فقال : نعم ، سورة كذا وكذا ــ السور التي يسميها ــ فقال ﷺ قد زوجتكها بما معك من القرآن .) (١)

وانطلاقا من هذا المبدأ ، وهذه النظرة السامية للزواج والمرأة ، اعتبر المصطفى ﷺ المرأة الصالحة متعة الحياة الأولى ، إذ أن الزوج يجد عندها الراحة والسلوى والمتاع بعد التعب والكدح والنصب فيقول ﷺ (الدنيا متاع ، وخير متاعها المرأة الصالحة .) (٢)

ومن هنا كانت وصايا المصطفى ﷺ بأن نفتش عن المرأة الصالحة التي تتصف بالأخلاق الاسلامية التي بها تتحقق الحياة الزوجية الهنيئة المستقرة ، فهو ﷺ يوصي بأن نختار ذات الدين من بين

---

١ ــ الامام أحمد بن حنبل ، المسند ، ج ٥ ، ص ٣٣٦

٢ ــ الامام أحمد بن علي النسائي ، السنن ، ج ٦ ، ص ٦٩

خيارات أربع، حيث قال ﷺ (تنكح المرأة لأربع : لمالها ، ولحسبها ، ولجمالها ، ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك ٠)[١] ولقد ندب المصطفى ﷺ إلى النظر للمرأة قبل العقد عليها ، وفي هذا تدعيم للعلاقات الزوجية المقبلة ، فعن المغيرة بن شعبة ـ رضي الله عنه ـ قال : خطبت امرأة على عهد رسول الله ﷺ ، فقال النبي ﷺ (أنظرت اليها ؟؟ قلت : لا ، قال : فانظر اليها ، فانه أجدر أن يؤدم بينكما ٠)[٢]

ولقد عمل المصطفى ﷺ على توطيد العلاقة بين المرأة والرجل ـ زوجها ـ حيث قال ﷺ (ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيرا له من زوجة صالحة ، إن أمرها أطاعته ، وإن نظر إليها سرته ، وإن أقسم عليها أبرته ، وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله ٠)[٣]

ولقد مثل المصطفى ﷺ حقيقة المرأة ومزاجها الذى فطرت عليه أبلغ تمثيل ، حيث انها لا تستقيم على حال واحدة كما يريدها الزوج ، حتى يعلم الزوج المسلم أن ذلك فيها طبع وخليقة وسجية ، حتى يراعي مزاجها الأنثوى الخاص ، وليقبلها كما خلقها الله سبحانه ، فان فيها اعوجاجا عما يريد ويرغب في أغلب الأحيان والأحوال ، حيث قال ﷺ :(إن المرأة خلقت من ضلع ، وانك إن ترد إقامة الضلع تكسرها فدارها تعش بها ٠)[٤] ، ويكرر المصطفى ﷺ وصيته بالمرأة قائلا : (أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا ، وخياركم خياركم لنسائهم ٠)[٥]

١ـ الامام أحمد بن حنبل ، المسند ، جـ ٢ ، ص ٤٢٨

٢ـ الامام عبد الله بن يزيد بن ماجة ، السنن ، حديث رقم ١٨٦٥ ، بتحقيق عبد الباقي

٣ـ الخطيب التبريزى ، مشكاة المصابيح ، حديث رقم ٣٠٩٥

٤ـ الامام أحمد بن حنبل ، المرجع السابق ، جـ ٥ ، ص ٨

٥ـ الامام عبد الله بن يزيد بن ماجة ، المرجع السابق ، جـ ١ ص ٣٣٤ بتحقيق الألباني

ويقول ﷺ (لا يفرك[١] مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقا رضي آخر.)[٢]

وحتى تكون العلاقة بين الزوج وزوجته علاقة محبة ومودة وسكن ، خطب المصطفى ﷺ أصحابه يوما ، ثم ذكر النساء، فوعظ الرجال فيهن ثم قال ﷺ (إلام يجلد أحدكم امرأته جلد الأمة؟؟؟؟؟ ولعله أن يضاجعها من آخر يومه.)[٣] ثم في مناسبة أخرى كرر لهم ذلك بقوله ﷺ (لقد طاف الليلة بآل محمد نساء كثير كلهن يشكو زوجها من الضرب، وأيم الله لا تجدون أولئك خياركم.)[٤]

وتبلغ عناية المصطفى ﷺ في خطبته في حجة الوداع ، وهي الخطبة التى حضرها مع النبي ﷺ في الاسلام عدد كبير من المسلمين لأنها الحجة الوحيدة التى حجها الرسول ﷺ بعد بعثته حيث قال : (أيها الناس، إن لنسائكم عليكم حقا ، ولكم عليهن حق ،لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم غيركم، ولا يدخلن أحدا تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم، ولا يأتين بفاحشة مبينة، فان فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهن[٥] وتهجروهن في المضاجع، وتضربوهن ضربا غير مبرح[٦] ،

١ـ لا يفرك : فرك : بغض. (الفيروزآبادى، القاموس المحيط، فرك.)

٢ـ الامام مسلم بن الحجاج ،الصحيح ،كتاب النكاح ، باب لا يفرك مؤمن مؤمنة.

٣ـ الامام عبدالله بن يزيد بن ماجة، السنن جـ١ ،ص ٣٦٦ ،تحقيق : د . الأعظمي

٤ـ المرجع السابق ، جـ ١، ص ٣٣٥

٥ـ العَضْلُ : بالفتح فالسكون، الحبس والتضييق. (الفيروزآبادى، السابق، مادة: عضل.)

٦ـ غير مبرح : غير شديد. (الفيروزآبادى، السابق مادة : برح)

فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، وإنما النساء عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئاً ، أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيرا ، ألا هل بلغت ؟؟؟ اللهم اشهد (١) .)

وحتى تستقيم الحياة الزوجية ، أراد ﷺ أن ينبه الرجال إلى شيء هام في حياة الزوجة ، وهو تقلب مزاجها النفسي وسرعة انفعالها وتأثرها ، لذلك نجده ﷺ يؤكد ذلك في احدى خطبه عندما قال ﷺ (.... ورأيت النار ، فلم أر منظرا قط أفظع ، ورأيت أكثر أهلها النساء . قالوا : لم يارسول الله ؟؟؟ قال : "لكفرهن" ، قيل : أيكفرن بالله ؟؟ قال : ويكفرن العشير ، ويكفرن الاحسان ، لو أحسنت إلى احداهن الدهر كله ، ثم رأت منك شيئا قالت : ما رأيت منك خيرا قط (٢) .)

وكما طالب المصطفى ﷺ رجال المسلمين بأن يحسنوا صحبة أهليهم ، وأن يستوصوا بهم خيرا ، أمر النساء أيضا أن يطعن أزواجهن

١ـ الامام عبدالله بن يزيد بن ماجة ، السنن ، حديث رقم ٣٠٧٤ بتحقق عبدالباقي
ـ محمد بن جرير الطبرى ، تاريخ الامم والملوك ، جـ ٣ ، ص ١٦٨
ـ علي ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، جـ ٢ ، ص ١٤٦
ـ ابو عمرو الجاحظ ، البيان والتبين ، جـ ٢ ، ص ٣٣

٢ـ الامام محمد بن اسماعيل البخارى ، الصحيح ، كتاب الكسوف ، باب صلاة الكسوف في جماعة .
ـ الامام مسلم بن الحجاج ، الصحيح ، كتاب صلاة الكسوف ، باب ما عرض على النبي في صلاة الكسوف
ـ الامام مالك بن أنس ، الموطأ ، جـ ١ ، ص ١٨٧
ـ الامام احمد بن علي النسائي ، السنن ، جـ ٢ ، ص ١٤٧

في حدود الشريعة وأحكامها ، ونجد الرسول ﷺ يصور هذه الطاعة تصويراً رائعاً بقوله ﷺ (لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد ، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها .) (١) ويتابع الرسول ﷺ تربيته للنساء فيبين لهن أن رضا أزواجهن عنهن سيكون سبباً في دخولهن الجنة حيث يقول ﷺ (أيما امرأة ماتت وزوجها راضٍ دخلت الجنة) (٢)

وكما توعد المصطفى ﷺ المرأة المجافية لزوجها والتي تنشز عن طاعته ، تلعنها الملائكة حيث يقول ﷺ : (إذا باتت المرأة مهاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى ترجع .) (٣)

بل وأكثر من ذلك فقد بيّن المصطفى ﷺ أن على المرأة أن تراعي شعور زوجها الذي يقيم معها تحت سقف واحد ، فلا تتصرّف تصرفاً قد يزعجه حتى ولو كان هذا التصرف من عبادات النقل غير المفروضة والواجبة لحينها حيث قال ﷺ (لا يحلّ لامرأة أن تصوم وزوجها شاهدٌ إلا بإذنه ، ولا تأذن في بيته إلا بإذنه .) (٤) إذ أن مثل هذا التصرف قد يثير الزوج ، فيتسبب في الدخول معه في نقاش لا طائل تحته ولا فائدة .

١ـ الامام أحمد بن حنبل ، المسند ، ج٤ ، ص ٣٨١

٢ـ الخطيب التبريزي ، مشكاة المصابيح ، حديث رقم ٣٢٥٥

٣ـ الامام محمد بن اسماعيل البخاري ، الصحيح ، كتاب النكاح ، باب اذا باتت المرأة مهاجرة زوجها

٤ـ المرجع السابق ، كتاب النكاح ، باب لا تأذن المرأة في بيت زوجها لاحد الا باذنه

ان اجتماع الزوجين على أساس من الرحمة والاطمئنان النفسي المتبادل كما قال تعالى ((وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾)) (١)

يتيح الفرصة لهما للقيام بتربية النشء الجديد في جو سعيد يهبه الثقة والاطمئنان والعطف والمودة، بعيداً عن القلق والاضطراب النفسي والعُقَد والأمراض النفسية التى اذا تمكنت منه أُدت الى ضعف شخصيته ،بل وأكثر من ذلك اذ ربما تؤدى الى انعدام هذه الشخصية تماما .

إن (مسئولية الأسرة ـخاصة الأبوين ـ تزداد أهمية في أيامنا هذه لأن بعض عناصر الحياة الاجتماعية خارج الأسرة والمسجد ، ليست في كل الأحيان موافقة لهدف التربية الاسلامية كالمذياع والتلغزيون، وبعض المجلات الخليعة، والقصص الماجنة التى تتسرب إلى أيدى الأطفال فاذا لم يبق الأبوان يقظين حذرين لم يستطيعا انقاذ ابنائهما من اجتيال الشياطين، شياطين الانس والجن.) (٢)

١ـ سورة الروم آية/ ١٥٨

٢ـ عبدالرحمن النحلاوى، أصول التربية الاسلامية وأساليبها ، ص ١٢٤

ب ـ القيم الجمالية : Aesthetic Values. (١)

تعني هذه القيم بالشكل والتجانس والتناسق ، ويعبّر عنها اهتمام الفرد الى كل ما هو جميل من حيث الشكل ، وكمال التناسق ، والانسجام ، والتوافق ، وكذا نظرته للحياة والناس والأعمال من حوله ، ولكن من زوايا التذوق والاحساس بالجمال والابداع .

والأشخاص الذين تسود عندهم هذه القيمة يتميزون بالفن والابتكار والابداع ، وتذوق الجمال في كل أصنافه وأشكاله ومظاهره وصوره .

ولقد عمل الدين الاسلامي على إشاعة الاحساس بالجمال ـ بكل صوره ومظاهره وأشكاله ـ في نفس المؤمنين به ، ومن ذلك احساسهم بالجمال الكوني المتمثل في تشكيلات الزهور ، وألوانها البديعة الخلابة ، وكذا ألوان وأشكال الطيور في الجو ، والأسماك في البحار والمحيطات ، وكذلك في ألوان الجبال ، وتدفق الرمال بأشكالها المختلفة .

١ـ للتوسع انظر :

ـ د . عبدالحميد ، الهاشمي ، المرشد في علم النفس الاجتماعي ص ١٤١

ـ د . حامد زهران ، علم النفس الاجتماعي ، ص ١٣٣

ـ د . سعيد جلال ، علم النفس الاجتماعي ، ص ١٥٦

القيم الجماليـــة فـي التربية الاسلاميـــة

لقد عملت التربية الإسلامية بكل وسائلها على إيقاظ جميع عواطف النفس الانسانية وانفعالاتها، وسعت إلى تربيتها وتوجيهها إلى الخير، واستطاعت أن تؤلف بينها وتجمعها في عاطفة سائدة ربانية، وجندتها كلها نحو هدف واحد هو تحقيق مرضاة الله سبحانه وتعالى، التي بها تتحقق سعادة الانسان وتستقيم حياته، وتقوى شخصيته، وقد عملت على تربية الذوق الجمالي والقيم الجمالية في النفس البشرية بطرق شتى وأساليب مختلفة، تؤدي محصلتها في النهاية إلى ايجاد الانسان الصالح، وتكوين شخصيته المتكاملة بجوانبها المختلفة، لذا كان الجانب الجمالي (لا يقل أهمية في تكوين الشخصية عن أي جانب آخر كالعقلي أو الجسمي أو الاجتماعي أو الروحي .) (١)

والقيم الجمالية التي تتحقق بها سعادة الانسان، وتستقيم حياته، وتقوى شخصيته، كثيرة متعددة الألوان والأشكال، لذا كان (الجمال سمة بارزة من سمات هذا الوجود، إن لم يكن أبرز سماته، والحس البصير المتفتح يدرك الجمال من أول وهلة، وعند أول لقاء .) (٢)

من هذا المنطلق نستطيع تحديد القيم الجمالية في التربية الاسلامية وفق المعايير التالية:

١ـ د . ابراهيم مطاوع، أصول التربيـــة، ص ١٥٧

٢ـ محمـــد قطـب، منهج الفـن الاسلامي، ص ١٢٥

ـ د . محمد لبيب النجيحي، مقدمة في فلسفة التربية، ص ٣٨٩

أ / النظافة الشخصية المادية

تسعى التربية الاسلامية إلى ايجاد الانسان الصالح في المجتمع المؤمن، وهي اذ تسعى إلى ذلك تربي في الانسان الصالح القيم الذوقية التي تسعى بكل ما أوتيت من قوة إلى تربية التذوق الجمالي فيه، وتؤكد أن الاستمتاع بالجمال والسعي للتجمل المقبول سمة الانسان السوي في هذا الكون، ذلك الإنسان المرهف الحس، العميق الادراك، ذلك الانسان اللماح لروعة الخلق، وعظمة الخالق المقر بجليل نعمائه ونعمه عليه قال تعالى ((قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾))(١)

لقد سعى الدين الإسلامي إلى تطهير المسلم من أدران الظاهر والباطن، وطالبه بالنظافة الشخصية والمعنوية، حتى يكون سلماً، وهذا ما يؤكده حديث المصطفى ﷺ حيث يقول (المسلمُ من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمنُ من أمن الناس على دمائهم وأموالهم، والمهاجرُ من هجر ما نهى الله عنه.)(٢)

١ـ سورة الأعراف آية/ ٣٢ ـ ٣٣

٢ـ الامام احمد بن حنبل، المسند، ج ٢، ص ١٦٣

ولقد دعا الاسلام أتباعه إلى النظافة الشخصية التي تؤدي إلى صحة الأجسام وجمالها ونضارتها، وقوتها المعنوية والشخصية ذلك لأن صحة الجسد وطهارته ليست مادية فقط، بل إن أثرها عميق في تزكية النفس، وتمكين الانسان من النهوض بأعباء الحياة.

وأعباء الحياة كثيرة ومتتابعة تحتاج إلى الجسم الجلد، والبدن القوي الصبور.

ولقد كرم الاسلام "البدن" واعتبره أمانة لدى صاحبه، كما جعل طهارة هذا البدن - طهارة تامة - أساسا لا بد منها حين يستعد لمناجاة ربه وخالقه سبحانه، إذ أمره بالوضوء خمس مرات كل يوم في الأحوال المعتادة، والوضوء غسل الأعضاء والأطراف الجسدية التي تتعرض للتلوث بالغبار العالق في الجو، أو التي تعالج الأشغال والأعمال، فتتعرض للاصابة بالأقذار والأوساخ المادية التي قد يفرض العمل اليدوي التعرض لها، أو التي قد يفرزها الجسد، قال تعالى:

((يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٦)) (١)

١- سورة المائدة / آية / ٦

ومعلوم أن الصلوات الخمس المفروضة تتناول اليوم كله منذ أن يفيق المسلم من نومه حتى يسلم نفسه للنوم ثانية.

ولقد شبه المصطفى ﷺ الوضوء والصلاة بنهر جار يغتسل فيه المسلم كل يوم خمس مرات، هل يبقى من وسخه ودرنه شيء؟؟؟ حيث قال ﷺ (أرأيت لو كان بفناء أحدكم نهر يجري، يغتسل فيه كل يوم خمس مرات، ما كان يبقى من درنه؟؟ قالوا: لا شيء. قال: إن الصلوات تذهب الذنوب كما يذهب الماء الدرن.) (١)

والاسلام لم يكتف بذلك بل انه لم يدع أمر الغسل الكامل للنظافة الشخصية للظروف التي قد تفرضه أحيانا، وقد يتهاون عنه الشخص أحيانا لدواعي الكسل والاهمال والتسويف، لذلك وقت المصطفى ﷺ وقتا للغسل يوما في الأسبوع، فعن سالم عن أبيه قال: (سمعت النبي يخطب على المنبر، فقال (من جاء الى الجمعة فليغتسل.) (٢)

ولقد اهتم الإسلام بالاضافة إلى نظافة الجسد المادية بالاغتسال بالماء، اهتم أيضا بنظافة ثيابه الظاهرية، لذلك نجد المصطفى ﷺ يؤكد ذلك عندما رأى جماعة من المسلمين عليهم ثياب النمار (٣)

١ــ الامام أحمد بن حنبل، المسند، ج ١، ٧٢

٢ــ الامام محمد بن اسماعيل البخاري، الصحيح، كتاب الجمعة، باب فضل الغسل يوم الجمعة.

ــ الامام محمد بن عيسى الترمذي، السنن، ج ١، ص ٣٠٨

ــ الامام احمد بن علي النسائي، السنن، ج ٣، ص ١٠٥

٣ــ ثياب النمار: النمرة بردة عليها خيوط سوداء وبيضاء.
(الجوهري: الصحاح، مادة: نمر)

فقال رسول الله ﷺ (ما على أحدكم ،إن وجد سعة،أن يتخذ ثوبين لجمعته،سوى ثوبي مهنتـــه.) (١)

في هذه الخطبة النبويـة الكريمة توجيه نبوى كريم للنظافـــة الشخصيـــة للانسان، التى يجب أن يظهر بها المسلمُ وخاصـــة يوم الجمعة، وهو عيد المسلمين، وقد قال رسول الله ﷺ عن يوم الجمعة (إنّ هذا يوم عيد جعله الله للمسلمين، فمن جاء إلى الجمعة فليغتسل وإن كان طيبٌ فليمـسّ منه، وعليكم بالسواك.) (٢)

ومن مظاهر الحرص على النظافة الشخصية تنبيه المصطفى ﷺ أمتَه إلى أن بركـة الطعام تحصلُ بالوضوء قبلَه وبعدَه، فقال: (بركـــةُ الطعام الوضوءُ قبله والوضوءُ بعده.) (٣)

وكما أمر الرسول ﷺ بالنظافة قبل الجلوس للطعام، وأمر بها بعده ـ أى بعد الانتهاء منه ـ فقد أمر ﷺ بتطهير الفم، وتجلية الأسنـان وتنقيـــة ما بينهمـا ،إذ أن ذلك مدعـاة للصحة والعافية، خاصة وأن الفم هو الطريق الذى يسلكه الطعام إلى جوف الانسان، فقد أوصى الرسول ﷺ بالسواك عند كل صـلاة، فقال: (لولا أن أشق على أمتي لأمرتُهم بالسواك عند كل صــلاة.) (٤)

١ـ الامام عبدالله بن يزيد بن ماجة، السنن، جـ ١، ص ١٩٧

٢ـ الامام سليمان بن الأشعث (أبو داود) السنن، حديث رقم ٣٧٦١

٣ـ الامام احمد بن حنبـــل، المســـــند، جـ ١، ٨٠٥

٤ـ الامام مالك بن أنس، الموطــــــــأ، جـ ١، ص ٦٦

والانسان الذى يحترم انسانيته وشخصيته، يحبّ أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا ، لذلك نجد المصطفى ﷺ عند يُسْأَل عن ذلك وهل هو من الكبر الممقوت ؟ تيجيب بقوله ﷺ (إن الله جميل يحب الجمال ، الكِبْر بطر الحق وغمط الناس (١)) .

كما أمر المصطفى ﷺ المسلمين أن يعتنوا بحسن المنظر، وكريم الهيئة، فقال ﷺ (من كان له شعر فليكرمه (٢)) ، وعندما رأى ﷺ أحدَ أصحابه ثائر الرأس شَعْثَه قال ﷺ (أما كان يجد هذا ما يسكّن به رأسه ؟ (٣)) ، وللذى عليه ثياب قذرة وسخة (أما كان يجد هذا ما يغسل به ثيابه (٤) ؟)

بل وأكثر من ذلك حينما أمر المصطفى ﷺ الرجل الذى دخل عليه وهو ثائر الرأس واللحية، أن يخرج من المسجد لاصلاح هيئته، فخرج وأصلحها ، فلما عاد خاطبه قائلا: (أليس هذا خيرًا من أن يأتي أحدكم ثائر الرأس كأنه شيطان ؟ ؟ ؟ (٥)) .

إن دقة ملاحظة المصطفى ﷺ أصحابه – رضوان الله عليهم – وتربيته لهم، تدعوه لملاحظتهم حتى في الأشياء الصغيرة والدقيقة التى قد لا يُلتفَتُ اليها ، ولا يُظَنُّ أنها من الأمور الواجب الانتباه اليها .

والمسلمون مطالبون بأن يعتنوا بهيئاتهم ونظافة أبدانهم وأظافرهم وشعورهم ، مستجيبين بذلك لنداء الفطرة السليمة التى أخبر بها

١– الامام أحمد بن حنبل ، المسند ، ج ٤ ، ص ٣٣

– الامام مسلم بن الحجاج ، الصحيح ، كتاب الايمان ، باب لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر .

٢– الامام سليمان بن الأشعث، السنن، حديث رقم ٤١٦٣

٣– الامام احمد بن حنبل ، المرجع السابق، ج ٣ ، ص ٣٥٧

٤– المرجع السابق ، نفس المكان .

٥– الامام مالك بن أنس، الموطأ ، ج ٢ ، ص ٩٤٩ ، بتحقيق عبد الباقي

ومستلزماتها سيدنا محمد ﷺ في قوله : (خمسٌ من الفطرة : الخِتانُ ، وحلق العانة ، ونتف الإبط ، وتقليم الأظافر ، وقص الشارب .) (١)

فرعاية جمال الفطرة الانسانية مما أمر به الدين الاسلامي ، ورغّب فيه كل ذي طبع راقٍ وذوق سليم .

ولقد ربى سيدنا محمد ﷺ أصحابه بالقدوة في كل أمور الدين والدنيا ، فقد روى ابن سعد في طبقاته (٢) عن جندب بن مكيث - رضي الله عنه - قال : كان رسول الله ﷺ إذا قدم الوفدُ لبس أحسنَ ثيابه ، وأمر علية أصحابه بذلك ، فلقد رأيت الرسول ﷺ يوم قدوم وفد كندة وعليه حلة يمانية ، وعلى أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - مثلُ ذلك .

هذا وقد ذكر الإمام القرطبي (٣) عند تفسيره قوله تعالى : (قل من حرم زينة الله) عن مكحول عن عائشة قالت : " كان نفر من أصحاب النبي ﷺ ينتظرونه على الباب ، فخرج يريدُهم ، وفي الدار ركوة (٤) فيها ماء ، فجعل ينظر في الماء ، ويسوى لحيتَه وشعره ، قالت عائشة فقلت له يا رسول الله : وأنت تفعلُ هذا ؟ قال : نعم ، إذا خرج الرجلُ إلى أخوانه ، فليهيئ نفسَه ، فإن الله جميل يحب الجمال .)

على أن هذه العناية بالمظهر الشخصي لا تنزلق بالمسلم إلى المغالاة في التزين ، والإفراط في التأنق إلى حدٍ يُخِل فيه بالتوازن

١- الامام أحمد بن حنبل ، المسند ، جـ ٢ ، ص ٤٨٩

٢- جـ ٤ ، ص ٣١٦

٣- التفسير ، جـ ٧ ، ص ١٩٧

٤- الركوة : الدلو الصغير ، (المعجم الوسيط ، مادة : ركو) .

الذى أقام الاسلام عليه تشريعاته كلها ، اذ المطلوب من المسلم أن يكون واعيا يقظا حريصا على الاعتدال في كل شيء بحيث لا يطغى جانب من جوانب حياته على آخره

وكما نبه المصطفى ﷺ المسلمين إلى التجمل والتطهر في البدن والملابس ، نبه ﷺ المسلمين أيضا إلى وجوب تخلية البيوت والمساكن والطرقات، من الفضلات والقمامات، حتى لا تكون مرتعا خصبا للحشرات، ومصدرا للعلل والأمراض والأوبئة، وذلك عكس اليهود الذين كانوا يفرطون في ذلك، فحذر المسلمين من التشبه بهم قائلا :(إن الله تعالى طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرامة، جواد يحب الجود ، فنظفوا أفنيتكم ولا تشبهوا باليهود .) (١)

واعتبر المصطفى ﷺ تنظيف الطرقات من الأذى ، سواء كان حجرا ، أو شوكا ، أو نجاسة، أو ماشابه ذلك ، من موجبات المغفرة، حيث قال ﷺ (بينما رجل يمشي بطريق ، اذ وجد غصن شوك على الطريق ، فأخره ، فشكر الله له ، فغفر له .) (٢)

وقال ﷺ (... واماطتك الحجر والشوك والعظم عن الطريق لك صدقة .) (٣)

بل انه اعتبر الاخلال بنظافة الطريق ، والظل ، وموارد المياه التي تعرضها للتلوث من الأشياء التي توجب اللعن ، والعياذ بالله ،

١- الامام محمد بن عيسى الترمذى ، السنن ، جـ ٤ ، ص ١٩٨

٢- الامام مالك بن أنس، الموطأ ، جـ ١ ، ص ١٣١ ، تحقيق :عبد الباقي

ـــ الامام محمد بن عيسى الترمذى ، المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ٢٣٠

٣- المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ٢٢٩

فقال رسول الله ﷺ (إتقوا الملاعن الثلاث: البراز في الموارد ، وقارعة الطريق ، والظل .) (١)

وليس ذلك فحسب ، بل ان الرسول ﷺ يحرص على الاحسان إلى المسلم حيًّا وميتًا ، فها هو ذا يخطب في المسلمين عندما علم أن رجلا من أصحابه قبض ، فكُفِّنَ في كفن غير طائل ، وقُبر ليلا ، فنهى النبي ﷺ أن يُقبر الرجلُ بالليل حتى يُصلّى عليه ، إلا أن يضطر إنسان إلى ذلك ، وقال ﷺ : (إذا كفَّن أحدُكُم أخاه فليحسن كفنَه .) (٢)

١ـ الامام سليمان بن الأشعث ، السنن ، ج١ ، ص ٢٩ ـ ٣٠

٢ـ الامام محمد بن اسماعيل البخارى ، كتاب الصحيح ، كتاب الجنائز ، باب في تحسين كفن الميت .

٢ـ النظافة الشخصية المعنوية

وكما اعتنى المصطفى ﷺ وحرص على نظافة المسلم المادية الشخصية، حرص واعتنى كذلك بالنظافة الشخصية المعنوية للفرد المسلم وجعلها من الأمور الهامة في المجتمع الاسلامي .

ومن الأمور المعنوية التي اعتنى بها الاسلام

أ/ الصدق

لقد اعتبر الاسلام الصدق قيمة جمالية طالب المسلمين بالتعوّد عليها، حتى يعوّدهم على الكلام المسئول المنضبط المفيد .
لذلك كان الاستمساك بالصدق في كل شأن من شئون المسلم، وتحريه في كل قضية من قضاياه ، دعامة ركينة في خلق المسلم، وصبغة ثابتة في سلوكه، وهو كذلك في بناء المجتمع الاسلامي القائم على محاربة الظنون، ونبذ الإشاعات والأقاويل ، لأن الحقائق الصادقة هي التي يجب أن تسود وتعتمد في إقرار العلاقات المختلفة. لذلك نجد الاسلام يطارد الكذابين ،ويشدد عليهم النكير، حتى يدعوا ماهم عليه من الكذب ،ذلك لأن الكذب رذيلة تنبئ عن تغلغل الفساد في نفس صاحبها ، وعن سلوك سيئ يدفع إلى الاثم من غير ضرورة تلجأ إلى ذلك .

والعادة تتحكم في المرء ،فلو عوّد على النطق بالخير لسانه، وأجرى بمبيانه ،بتقويم لسانه ،وشدة عزيمته ، فإن الأمر ـ لاشك ـ يعود بعد حين عادة تلازمه، وسليقة تأسره ،

وسلوكا يتخذه، لذلك نجد المصطفى ﷺ يحذر من ذلك قائلا :

(عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي الى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا. وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلي النار، وما يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عندالله كذابا.) (١) ويشدد الرسول ﷺ النكير على الكذب والكذابين حيث يقول : (إذا كذب العبد تباعد الملك عنه ميلاً من نتن ما جاء به.) (٢)

والاسلام يوصي أن تغرس فضيلة الصدق في نفوس الأطفال، حتى يشبوا عليها، وقد ألفوها في أقوالهم وأحوالهم كلها.

لذلك يحرص الرسول ﷺ على تنبيه الأمهات إلى ذلك، حيث أنهن المحاضن الأولى للأطفال وتربيتهم ، فعن عبدالله بن عامر قال : دعتني أمي يوما ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا ، فقالت: تعال أعطك، فقال لها الرسول ﷺ : ما أردت أن تعطيه؟؟؟ قالت : أردت أن أعطيه تمرا، فقال لها ﷺ : "أما إنك لو لم تعطه شيئا كتبت عليك كذبة.) (٣)، وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : (من قال لصبي تعال هاك، ثم لم يعطه فهي كذبة.) (٤)

١- الامام أحمد بن حنبل، المسند، جـ ١، ص ٣٨٤

٢- الامام محمد بن عيسى الترمذي، السنن، جـ٣، ص ٢٣٤

٣- الامام أحمد بن حنبل، المسابق، جـ ٣، ص ٤٤٧

٤- المرجع السابق، جـ ٢، ص ٤٥٢

ولعلنا نلاحظ أن رسول الله ﷺ يعلّم الأمهات ، وهن الأكثر التصاقا بالأبناء في التربية المنزلية الأولية، كيف ينشئن أولادهن تنشئة يقدسون فيها الصدق ، ويتنزهون فيها عن الكذب، حتى لا يتجاوزوا عن هذه الأمور ويحسبوها من التوافه الهينة. لذا

اعتبر الرسول ﷺ الحديث الكاذب من الخيانة حيث يقول ﷺ (كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثا ، هو لك مصدق ، وأنت له كاذب.)(١)

والقرآن الكريم يعلمنا أن المسلم لا يبالي – إذا قام بشهادة ما – أن يقرر الحق ولو على نفسه أو على أدنى الناس منه وأحبهم إليه ، بحيث لا تميل به قرابة، أو تغويه عصبية، أو تزيغه رغبة أو رهبة، قال تعالى : ((يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾))(٢)

ولقد شدد الرسول ﷺ النكير على شهادة الزور، فعن أبي بكرة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ ؟ – ثلاثا – قلنا : بلى ، قال : الاشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وقتل النفس ..... وكان متكئا فجلس، وقال : ألا وقول الزور ، وشهادة الزور، فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت.)(٣)

إننا عندما نشاهد الرسول ﷺ يلفت أنظار أصحابه بالجلوس

١– الامام احمد بن حنبل ، المسند ، جـ ٤، ص ١٨٣

٢– سورة النساء آية/ ١٣٥

٣– الامام محمد بن اسماعيل البخارى، الصحيح ، كتاب الشهادات ، باب ما قيل في شهادة الزور.

– الامام مسلم بن الحجاج ، الصحيح ، كتاب الايمان ، باب بيان الكبائر وأكبرها

للتنبيه إلى أن شيئا مهما يريد أن يقوله لهم .... فيذكر شهادة الزور ويكررها حتى يملوا من هذا التكرار، وهذا يعطينا إشارة واضحة إلى أن التزوير كذب كثيف الظلمات، فهو لا يضيع الحق وحسب، بل إنه يمحوه ليثبت مكانه الباطل، لذلك كان خطره على الأفراد في قضاياهم الخاصة، كخطره على الأمم والشعوب في قضاياهم العامة شديدا جدا، فلا غرو أن نجد المصطفى ﷺ يخوف أمته منه على هذا النحو الصارخ الواضح البين.

لذلك نجد الرسول ﷺ ينتهز فرصة وجود المسلمين معه في صلاة الصبح ليعلمهم بمحاربة الاسلام لهذا المرض الاجتماعي، ويبين وضعه في الاسلام، ومنزلة شاهد الزور عند الله عز وجل، ليتعظ الناس ويلتزموا بالحق والصدق في شهاداتهم، فيقوم فيهم خطيبا قائلا:

(يا أيها الناس، عدلت شهادة الزور إشراكا بالله (ثلاث مرات) ثم تلا هذه الآية " واجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور ".)(١)

١ـ الامام احمد بن حنبل، المسند، جـ ٤، ص١٧٨

ـ الامام محمد بن عيسى الترمذى، السنن، جـ ٧، ص ٦٤

ب/ الحيـــــاء

=٥=٥=٥=٥=٥=

عـرّف العلماء الحياء بقولهم : (حقيقة الحياء خلق يبعث عـلى ترك القبيـح.) [١] ،كما أنـه (انحصـار النفس خوف إتيان القبائح ، والحـذر من الذم ، والسب الصادق.) [٢]

فالحياء رأس الأخلاق الحميدة ، كما أنـه يكشف عن قيمة إيمان الفرد ومقدار أدبـه ، واستقامته في أقواله وأفعاله وسلوكياته.

فالمسلم الحـق يتصف بالحياء تأسيا بالمصطفى ﷺ الذى كـان المثل الأعـلى في الحياء ، ويشهد بذلك قول الصحابي الجليل أبـي سعيد الخـدرى ـ رضي الله عنـه ـ حيث قال : (كان رسول الله ﷺ أشـد حياء من العذراء في خدرها ، وكان إذا رأى شيئا يكرهـه عرفناه في وجهـه.) [٣]

إنّ ربط القيم الإسلامية بالإيمان بالله ، تميّز المسلم عن غيره ، فقد أراد النبي ﷺ أن يجعل من حساسية المسلم بما في القيم والفضائل من خير ، وبما في الرذائل من شر ، أساسا يدفعه دائما إلى استحسان الأولى ، والإشمئزاز من الثانية. ذلك أن خلق الحياء في المسلم يحجبه

---

١ ـ د. محمد سالم محيسن ، الفضائل في ضوء الكتاب والسنة ، ص ١١١

٢ ـ احمد بن مسكويـه ، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق ، ص ٢٨ بتحقيق ابن الخطيب.

ـ د. ماجـد فخرى ، الفكر الأخلاقي العربي ، ص ٨٤

٣ ـ الامام محمد بن اسماعيل البخارى ، الصحيـح ، كتاب صفة النبي ﷺ باب الحيـاء.

ـ الامام مسلم بن الحجاج ، كتاب الفضائل ، كتـاب كثرة حيائه ﷺ

عن فعل القبائح التي تؤذي الناس، ويذوده عن الوقوع فيه، لا حياء وخجلا من الناس فحسب، وإنما حياء من الله تعالى خالقه وبارئه، فنحن نطعم من خيراته، ونتنفس في أجوائه، وندرج على أرضه ونستظل بسمائه، فكيف لا نستحي منه؟؟؟ وقد أمرنا الرسول ﷺ أن نستحي من الله حق الحياء، فعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ (استحيوا من الله حق الحياء، قلنا: إنا نستحي من الله يارسول الله ـ والحمد لله ـ. قال: ليس ذلك. الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وماوعى، والبطن وما حوى، وتذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا، وآثر الآخرة على الأولى، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء.)[1]

هذه العظة النبوية الكريمة، تستوعب أكثر آداب الاسلام، ومناهج الفضيلة والقيم التربوية المثلى، إذ أن على المسلم أن ينزه لسانه من الخوض في الباطل، والكذب، والنميمة، والغيبة، وكذلك بصره من أن يرمق به مالا يجوز له رأيته، وكذلك يمنع أذنه من أن تسترق سرا، أو تتجسس على أحد، وبطنه أيضا عليه أن تطعم من الحلال وأن يكون مطعمه ومشربه حلالا.

إن الحياء بهذا الشمول الاسلامي هو الدين كله، لذلك نجد المصطفى ﷺ يقول (الحياء والايمان قرناء جميعا، فاذا رفع أحدهما رفع الآخر.)[2] وسبب ذلك أن الانسان عندما يفقد حياءه ـ والعياذ

---

١ ـ الامام أحمد بن حنبل، المسند، ج ١، ص ٣٨٧

٢ ـ محمد ناصر الدين الألباني، صحيح الجامع الصغير، حديث رقم ٩٤٨

باللـــه ـ نجـده يتدرج من سيء إلى أسوأ، ويهوى في الرذائل الواحـدة تلو الأخرى، حتى يصل بمستواه الخلقي إلى الدرك الأسفل، ويـؤكـد ذلك قول الرسول ﷺ (الحياء من الإيمان، والايمان في الجنة، والبذاء من الجفاء، والجفاء في النار.) (١)

والحياء (يختزل جملة من القيم والمعانـي النبيلة الأصيلة التي تسمو بالنفس، وتعلو بها، وتبلغ مدارج الكمال، وانه أيضا نموذج حـيّ لمنهج السلوك والخلق القويم لسيد المرسلين، وهو كذلك صورة مشرقـة وضاءة لسيرة الرسول العطرة، والصحابة من بعده، يـوم كانت الفضيلة المجردة في مجتمعهم ذاك مطمح الناس، والقيم الخلقيـة منتهى غـاياتهم، والمثل العليا أقصى مراميهم.) (٢)

وحين تنضبط النفس بالحياء لن يصدر منها إلا ما يليق وما ينبغي، وبذلك تقوى العلاقات الاجتماعية بين أبناء المجتمع الواحـد، فيسـود بينهم التآلف والتحاب، ولذلك نجـد المصطفى ﷺ يـؤكـد هـذا المعنى حين يقول: (لكل دين خلـق، وخلق الاسلام الحياء.) (٣)

والحياء لا يتعارض مع الحرية الشخصية، لأن الحرية في الدين الاسلامي ليست انطلاقـا من القيم الخلقية، إنما الحرية الحقـة هي التى لا

١ـ الامام عبدالله بن يزيد بن ماجـة، السنن، حديث رقم ٣٣٧٣ بتحقيق الالباني

٢ـ احمد حسن العمارتي، خواطر حول مفهوم ! كلمة الحياء. جريدة الشرق الاوسط العدد ٣٣١٠ في ١٩٨٧/١٢/١٧م

٣ـ الامام عبدالله بن يزيد بن ماجـة، المرجع السابق، حديث رقم ٣٣٧٠

تؤدى إلى ما يضر الناس، ولا يفرق جمعهم، فالحياء بهذا لا يتعارض مع الحرية، إنما يتعارض الإنطلاق غير المقيد والضار مع الحرية، وهذا ما يؤكده قول المصطفى ﷺ (الحياء خير كله)(١) وقوله ﷺ (ماكان الفُحش في شيء إلّا شانه، وماكان الحياء في شيء إلّا زانه.)(٢)

ومن هنا جاءت استعاذة المصطفى ﷺ من زمان يرفع فيه الحياء فيقول ﷺ (اللهم لا يدركني زمانٌ لا يتبع فيه العليم، ولا يستحي فيه الحليم.)(٣)

ولقد كان رسول الله ﷺ شديد الحياء، حتى وصفه أحد أصحابه وهو أبو سعيد الخدرى بقوله (كان رسول الله ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها.)(٤)

١- الامام احمد بن حنبل، المسند، جـ ٤، ص ٤٢٦

٢- الامام عبد الله بن يزيد بن ماجة، السنن، حديث رقم ٤١٨٥، بتحقيق: عبد الباقي.

٣- الامام احمد بن حنبل، المسند، جـ، ص ٣٤٠

٤- الامام محمد بن اسماعيل البخارى، الصحيح، كتاب صفة النبي ﷺ باب الحياء.

ح/ الأمـــــانـــــة

==========

الأمانة خلق فاضل رفيع، وهي من ثمار الإيمان الكامل بالله وتقواه، والاخلاص لـــه في السر والعلن، حيث تصان بها حقوق الله ثم حقـوق البشـــر، وبها تحرس الأعمال من دواعي التفريط والضياع والإهمال .

والأمانة في الدين الاسلامي واسعة الدلالة، اذ أنها ترمز إلـى معانٍ كثيرة شتى، مناطهـــا شعار المسلم الأمين بتبعتـــه في كل أمر من الأمـور التى تسنـد إليه، وادراكه الجـازم بأنه مسئول عن ذلـك العمـــل أمام مولاه وسيده عـز وجـل على النحو الذى فصلتـــه خطبـة المصطفى ﷺ يوم عرفة في حجـة الوداع حيث قال ﷺ :

(كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيتـــه ، والمرأة راعيـة في بيت زوجهـــا وهي مسئولة عن رعيتها ، والخادم في مال سيـــده راع وهـــــو مسئول عن رعيتـــه .) (١)

ولعلنا نتساءل وكيف يحافظ الانسان على الأمانة؟؟؟

وكيف يضيعهـــا ؟؟؟ إن الانسان يحافظ على الأمانة بتحقيق عبوديته للـــه سبحانه وتعالى ، وبإقامة التكاليف التى كلّف بها ، وتأدية الرسالة التى خلقـه الله من أجلهـــا وهي إقامة خلافته لله في الأرض، وكل ذلك يتم عن طريق عبادة الله وطاعتـه . أما تضييع الأمانة ، فيكون بالكفـــر والشرك بالله، ثم بارتكاب المعاصي والكبائر، وتحقيق عبوديته وخلافتـه

١ـ الامام احمد بن حنبل ، المسند ، جـ ٢ ص ٥، ٥٤، ١١١، ١٢١

ـ الامام محمد بن اسماعيل البخارى، الصحيح ، كتاب الجمعـة، بـاب الجمعة في المدن والقـرى

لغير الله عز وجل، فإذا ضيع الانسان أمانته، فانه لا يموت ككائن حي، بل يظل حيًا، وإنما تموت فيه إنسانيته وأمانته، ولذلك نجد القرآن الكريم يؤكد هذا المعنى في قوله تعالى:

((لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾)) (١)

ومن ذلك قوله تعالى:

((إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾)) (٢)

ذلك ماكان من حق الله سبحانه وتعالى على البشر، ولكن للأمانة أيضا معان أخرى، منها أن يحرص المسلم على أداء واجبه كاملا في العمل الذى يقوم بإدائه، أو الذى يناط به، وأن يستنفذ جهده كله في الوصول إلى أكمل درجة، حيث يخلص الرجل لشغله ولعمله، وأن يعتني بإجادته، وأن يسهر على حقوق الناس التى وضعت أمانة بين يديه. لذلك نجد المصطفى ﷺ يقول: (إذا جمع الله بين الأولين والآخرين يوم القيامة، رفع لكل غادر لواء يعرف به، فيقال هذه غدرة فلان.) (٣) ويقول ﷺ (لكل غادر لواء عند إسته، يرفع له بقدر غدرته، ألا ولا غادر أعظم من أمير عامة.) (٤)

١- سورة التين آية / ٤-٦

٢- سورة محمد آية / ١٢

٣- الامام احمد بن حنبل، المسند، ج ٢ ص ٢٩

٤- المرجع السابق، ج ٣، ص ٤٦

ومن الأمانة ألا يستغل المسلم نفوذه الشخصي لجرّ منفعة له مباشرة ، أو لقرابته ، بمحاولة التزيد على ما خصص له بالطرق الملتوية غير المشروعة فذلك حرام وسحت ، وغلول ، لذلك نبه المصطفى ﷺ لذلك بقوله ﷺ : (من استعملناه على عمل فرزقناه رزقاً ، فما أخذ بعد ذلك فهو غلول)(١) ، وحتى يشدد الرسول ﷺ النكير في ذلك نجده يقف خطيباً فيقول (لا أُلفينّ أحدكم يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء ، على رقبته فرس لها حمحمة ، يقول يارسول الله أغثني ، فأقول : لا أملك لك شيئا قد أبلغتك ، وعلى رقبته بعير له رغاء يقول يارسول الله أغثني ، فأقول : لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك ، وعلى رقبته صامت فيقول : يارسول الله أغثني ، فأقول : لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك ، وعلى رقبته رقاع تخفق ، فيقول : يا رسول الله : أغثني فأقول : لا أملك لك شيئا قد أبلغتك .)(٢)

١ـ الامام سليمان بن الأشعث ، السنن ، ج ٣ ، ص ٣٥٣ حديث رقم ٢٩٤٣
والغلول : الخيانة ، سمي بذلك لأنه يؤخذ خفية .
(الفيروزآبادى ، القاموس المحيط ، مادة : غل)

٢ـ الامام محمد بن اسماعيل البخارى ، الصحيح ، كتاب الجهاد ، باب الغلول
ـ الامام مسلم بن الحجاج ، الصحيح ، كتاب الامارة ، باب غلظ تحريم الغلول .

وشرح الألفاظ : لا ألفين : لا أجدن ، الثغاء : صوت الشاة .
الحمحمة : صوت الفرس ، الرغاء : صوت البعير ، الصامت : الذهب أو الفضة ، رقاع تخفق : أى الثياب التى تضطرب اذا حركتها الرياح . لا أملك لك شيئا : من المغفرة ، قد أبلغتك : حكم الله ، فلا عذر لك بعد الابلاغ ، وهذا غاية الزجر ، والا فهو ﷺ صاحب الشفاعة في المذنبين .
(محمد فؤاد عبدالباقي ، اللؤلؤ والمرجان ، ج ٢ ، ص ٢٤٣)

وكما نبّه المصطفى ﷺ على الغلول نبه أيضا على ما هو أقل من ذلك ،كاستخدام الأدوات العامة في المسائل الشخصية التي قد يستهين المرء بها ، حتى إذا بليت وعطبت رماها وتخلّى عنها بعد استخدامه لها ،لذلك نجد المصطفى ﷺ يقوم خطيباً عند ما فتح المسلمون خيبرا فيقول :(لا يحلّ لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبتاع مغنما حتى يُقسّم، ولا أن يلبس ثوبا من فيْ المسلمين حتى إذا أخلقه (١) رده فيه، ولا يركب دابةً من فيْ المسلمين حتى إذا أعجفها (٢) ردها فيه (٣)) .

ومن الهدى النبوى الكريم ،التشديد في ضرورة التعفف عن الاستغلال غير المشروع، ورفض المكاسب المشبوهة، فقد روى عدى بن عميرة -رضي الله عنه- قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول (من استعملناه منكم على عمل فكتمنا مخيطا (٤) فما فوق كان غلولا يأتي به يوم القيامة، فقام إليه رجل أسود من الأنصار - كأني أنظر إليه - فقال : يارسول الله اقبل عني عملك قال : مالك ؟؟ ،قال : سمعتك تقول : كذا وكذا . قال : وأنا أقوله الآن ،من استعملناه منكم على عمل فليجئ بقليله وكثيره ، فما أوتي منه أخذ وما نهي انتهى (٥)) .

١- أخلَقَ الثوبَ : أبلاه (الفيروز آبادى، القاموس المحيط، مادة خلق)
٢- أعجف الدابة: أهزلها . (الفيروزآبادى، السابق، مادة عجف)
٣- الامام احمد بن حنبل، المسند، جـ ٤، ص١٠٨
٤- المخيط: الإبرة (ابن منظور، لسان العرب، مادة خيط.)
٥- الامام أحمد بن حنبل، المسند، جـ ٤ ص ١٩٢

وحدث أن استعمل المصطفى ﷺ رجلا من الأزد يقال له ابن اللتبية على الصدقة، فلما قدم بها، قال : هذا لكم، وهذا أهدى إلي. عندها قام الرسول ﷺ خطيبا في الناس، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

(أما بعد، فإني استعمل الرجل منكم على العمل مما ولاني الله، فيأتي فيقول : هذا لكم، وهذا أهدى إلي. أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه إن كان صادقا ؟؟؟ والله لا يأخذ أحد منكم شيئا بغير حقه، إلا لقي الله يحمله يوم القيامة، فلا أعرفن أحدا منكم لقي الله يحمل بعيرا له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تيعر، ثم رفع يديه حتى رؤي بياض إبطيه يقول : اللهم هل بلغت ؟؟.)(1)

(لما كان مثل هذا الاجتهاد الخاطئ - لا يقتصر على فرد دون فرد - لم ينظر إلى ما يترتب عليه على أنه حالة فردية، وإنما اعتبره واقعة تتكرر في المجتمع وتحتاج - لمنع ما يترتب عليها من أضرار - إلى تنبيه وتحذير، فوجه من على المنبر خطبة هادفة جامعة قدم لها بذكر هذه الحادثة دون أن يذكر ممن وقعت منه، سترا لحاله، واشارة الى أنه لم يقصد بما صدر منه تعمد المخالفة والاقدام على أكل الحرام، ثم بين أن من وصل اليه المال عن هذا الطريق فاستحله مع علمه بأنه لولا العمل ما وصل إليه، سيعاقب بسببه، ويفضحه الله بين الخلائق يوم القيامة.)(2)

١- محمد بن اسماعيل البخاري، الصحيح، كتاب الأيمان والنذور، باب كيف كانت يمين النبي ﷺ

- الامام مسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الامارة، باب تحريم هدايا العمال

٢- د. أحمد هاشم، من أدب النبوة، ص ١٤٢

وحتى الصدقة التي تخرجها المرأة من بيت الزوجية يقول فيها المصطفى ﷺ. في خطبته يوم الفتح بمكة المكرمة (لا يجوز لامرأة عطية إلا باذن زوجها.) (١)

وقد خطب المصطفى ﷺ أصحابه ذات يوم فقال في خطبته وذكر أن من أهل النار (الخائن الذى لا يخفي عليه طمع وإن دق (٢) إلا خانه.) (٣)

إن غرس مثل هذه الأمور في نفوس الناشئة وتنشئتهم عليها منذ نعومة أظفارهم، تبني جيلاً يحترم الأمانة بكل صورها، وشتى مجالاتها المختلفة التي تدور عليها شئون الحياة العامة في المجتمع الانساني بعامته.

إن أثر التربية الإسلامية الابتعاد بأبناء المجتمع الاسلامي عن مهاوى طرق الضلال، والتعرف على طرق السلامة لجميع الأبناء.

فإذا استطاعت القيام بهذا كان فضلها عظيما على مجتمعات الانسانية التي تعيش هذه الأيام بعدا سحيقا عن الأمانة.

@@@@@@@@@@@@@@@@@@@@@@@@@@@@
@@@@@@@@@@@@@@@@@@@@@@@@@@@
@@@@@@@@@@@@@@@@@@@@@@@@@@

١- الامام احمد بن علي النسائي، السنن، جـ ٥ ص ٦٥ - ٦٦

٢- دق: صغر وقلّ. (ابن منظور، لسان العرب، مادة: دق)

٣- الامام احمد بن حنبل، المسند، جـ ٤ ، ص ١٦٢

د / الجمال اللغـــوى

من دأب الدين الاسلامي أن يعـوّد أتباعه دائما وأبداً على الكلام الجميل ، والأداء الطيب ، والاهتمام بالألفاظ من حيث الشكل والمضمون ، فالاحساس بمسئولية الكلمة وأثرها ، أكـده الوحي الالهـي حيث قال تعالى : ((وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾)) (١)

ولعله من الواضح والجلي أن الكلمة تؤثر تأثيراً كبيراً في حياتنا اليومية سلباً أو إيجابـاً ، اذ بوسع الكلمة أن تملأ أجواءنا المادية والمعنوية بالبهجة والسرور ، والرجاء والأمل ، والتآلف والتحابب ، والتعاون والتكافـل .

ولقد عرف ديننا الحنيف قيمة الكلمة الطيبة فاعتبرها من الحسنات التى تضاف إلى ميزان أعمال الشخص حيث قال المصطفى ﷺ (الكلمة الطيبة صدقة .) (٢) كذلك جعل المصطفى ﷺ الكلمة المقرونة بالابتسامة صدقة يتصدق بها المسلم على أخيه المسلم حيث قال ﷺ : (تبسمك في وجه أخيك صدقة .) (٣) ولعلنا نستطيع القول ان المقصود بالتبسم هنا إشراقة النفس المؤمنة ، واحساساتها بجمال

١ـ سورة ق آية / ١٦ ـ ١٨

٢ـ الامام أحمد بن حنبل ، المسند ، ج ٢ ، ص ٣١٦

٣ـ الامام محمد بن عيسى الترمذى ، ج ٣ ، ص ٢٢٩

وقوة العلاقـــات التي تربطـه باخوانه المسلمين في مشارق الأرض ومغاربهـــا .

إن الكلام الجميل خيرٌ من الصمت أو السكوت، ولكن الصمـت أو السكوت يكون أجـمل وأوقع في النفس عندما لا ينشرح القـلب ليبعث الكلمـة على اللســان ، ويرفدها بالخبر الطيب النافع، من هنـــا نجـد المصطفى ﷺ يقول : (من كان يـؤمن بالله واليوم الآخـر فليقل خيراً أو ليصمـت .) (١) .

وفي مقابل الكلمـة الطيبة الجميلة، نجـد الكلمـة الشريـرة الداعيـــة إلى نشر الجريمـة ، والفحشاء ، والباعثة إلى هبوط قيـم الانسان الخلقية ، وأذواقه الجميلة، التي يحمل صاحبُها من الـوزر الشئ الكثير ، بينما ينعـم صاحب الكلمة الحسنة الطيبة بالأجـر ، لذلك يحرص المصطفى ﷺ عـلى أن ينبه المسلمين إلى ذلك حيث قال : (إن الرجل ليتكلم بالكلمـــة من الخير ما يعلم مبلغها يكتب الله لـه بها رضوانـه إلى يوم يلقاه . وإن الرجل ليتكلم بالكلمة مـن الشر ما يعلم مبلغها يكتب اللهُ بها عليه سخطَه إلى يوم يلقاه .) (٢) ،

كما أوضح ﷺ أن الرجل الذى يستهين بالكلمة فيلقيها مستهيـنا بدورهـا ، أو ليضحك النّاس بها ، لا يدرى مدى مسئولية الكلمـــة فقـال ﷺ : (إن العبد ليقول الكلمةَ لا يقولها إلا ليضحك فـه

١ـ الامـام أحمد بن حنبـل ، المسنـد ، جـ٢ ، ص ١٧٤

٢ـ الامـام عبدالله بن يزيد بن ماجة، السـنن ، جـ٢ ، ٣٥٨ بتحقيق الألبانـي .

الناسَ، يهوى بـــه أبعد ما بين السماء والارض ، وإنه ليزل عـن لسانه أشد مما يزل عن قـــدمه.) (١)

إن تعويد المسلم على الأداء اللغوى الجميل، صوتاً ومعنىً وشكلاً ومضمونـــاً ، من الأمور التي أمر بها الدين الاسلامي الحنيف. لذا يجـب أن يكون الآبـــاء والأمهـات حريصين على أن لا يسمع طفلُهما إلا الصوتَ الجميلَ ، واللغةَ السليمة، والمعاني السامية، ذاك لأن هذا الغذاء أهم لـــه ولمستقبله ومستقبل أمتـه من سائر الأُغذيـة التي تغـــذى البدَن، فهما مسئولا ن أمام الله سبحانه وتعالى عن رسم معالم شخصيته، إذ تسـيطر الكلماتُ الطيبة الهادفة على صفحات ذاكرته البيضاء الصافية النقيـــة، فالطفلُ يولـد على الفطرة وأبواه يحافظان على فطرتـــه بتعليمه الايمان والخير والجمـال، أو يفسدانها بغرس العصيان والشر. يـؤكـــد لنا ذلك ما خطب به المصطفى ﷺ أصحابَه ذات يوم فقال :

(إن ربي عز وجل أمرني أن أعلمكم ما جلهتم مما علمني في يومي هـذا . كل مال نحلته عبادى حلال ، واني خلقت عبادى حنفاءَ كلهم، وأنهــم أتتهم الشياطينُ فأضلتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللتُ لهـــم، وأمَرَتْهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً .) (٢) ثم يؤكد ذلك ثانية حيث قال : (ما من مولود يولد الا على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجســانه .) (٣)

١ــ الامام عبدالله بن يزيد بن ماجـة، الســـنن ، ج ٢ ، ص ٣٥٨ بتحقيق الألبانـــــي

٢ــ الامـام أحمد بن حنبل، المســـند ، ج ٤ ، ص ١٦٢

٣ــ الامـام محمد بن اسماعيل البخارى، الصحيح ، كتاب الجنائز، باب اذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عـليه.

ــ الامام مسلم بن الحجـاج ، كتا الصحيح ، كتاب القـدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطـرة.

هـ/ الجمال الكوني (١)

=٥=٥=٥=٥=٥=

إن الصورة التي يقوم بعرضها القرآن الكريم عن الكون ومحتوياته – سوا كانت جمادات أو حيوانات – صورة شاملة جامعة لآفاقه وأجزائه كلها، تضع هذا الوجود كله في ثلاثة أطر:

١/ الاطار الأول: اطار مفصل – وهو الاطار الأكبر – حيث تعرض الصورة مفصلة الأجزاء: من السماء بشمسها وقمرها وسائر أفلاكها ونجومها وسكانها. ثم الأرض ببرها وجبالها وسهولها ووديانها وأنهارها وحيوانها ونباتها وسكانها.

٢/ الاطار الثاني: اطار موجز شامل جامع، كقوله تعالى (ملكوت السماوات والأرض) ، أو (مافي السماوات والأرض) أو (ما في الآفاق).

٣/ الاطار الثالث: وتعرض فيه مشاهد مختارة معينة من هذا الكون، بالاشارة إلى جانب العظمة في خلقها وابداعها، أو في حركتها وجريانها ونظام سيرها، ويوجه النظر إليها بشئ من الامعان والتفصيل كقوله تعالى: ((أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾)) (٢)

١- أنظر: محمد المبارك، العقيدة في القرآن الكريم، دار الفكر، بيروت.

٢- سورة الزمر آية/ ٢١

إن هذا الكـون المنبسط في كتاب الله سبحانه وتعالى لـو أردنـا أن نجمع الآيـات المتعلقـة بجزء من الكون كالشمس أو القمر أو الأرض ،أو الزرع والحدائق والجنات، السحب والأمطـار، الينابيع والأنهـار، البحـار والقفـار، الجبال والوديان، الحيوان والانسـان ومشاهد الليل والنهار، الظلام والنور ..... لاستطعنا أن نخرج من ذلك بمشاهـد كثيرة من أروع مشاهد الطبيعـة.(١)

فالقرآن الكريم عندما يعرض لنا الكون ومشاهده في صـور جمالية رائعة أخاذة، يتلمسها الحس والشعور والوجـدان، فيحلق في آفـاق هذا الوجـود الرائع التكوين ،بل وأعظم من ذلك ، نجده عنـدما يعبر عن روعـة هذه المشاهد يختار عبارات في غاية الروعـة والجمال ، إقرأ قوله تعالى ((إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾))(٢)

والقرآن الكريم عندما يتحـدث عن مشاهد الحياة يعرضها بصورة توحي إلى القلب استجلاء جمالها ،والاستمتاع بهذا الجمال الالهـي ،

١- انظر: - جول لابوم :تفصيل آيات القرآن الكريم، نقله إلى العربية محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الكتاب العربي ،بيروت
- محمد قطب، منهج الفن الاسلامي ، دار القلم القاهرة.

٢- سورة الأنعام آيـة/ ٩٥ -٩٧

لأنه مجال واسع للتدبر في آيات الله وملكوته سبحانه وتعالى .

خذ هذه الصورة القرآنية : ((وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾)) (١)

إن هذا الوجود جميل وجماله لا ينفذ ، فالانسان يترقى في ادراك هذا الجمال والاستمتاع به إلى درجة الايمان بأن وراء هذا الابداع خالق باريء مصور ((مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ)) (٢)

((ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ)) (٣)

فالقرآن الكريم عندما يدعو المؤمنين إلى البحث في صفحة الكون الواسع .... وأن يتصلوا بسكوناته ، لا يدعوهم إلى ذلك لمجرد التمتع بهذه الألفاظ ، بل انه يدعوهم للوصول إلى الحقيقة الأزلية الأولى .... ألا وهي وجود الله سبحانه وتعالى ... ثم الايمان به .... والعمل بشريعته ودينه .... حيث يقول سبحانه :

((إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾)) (٤)

١- سورة الأنعام آية / ٩٩
٢- سورة الملك آية / ١٢
٣- سورة المؤمنون آية / ١٤
٤- سورة البقرة آية / ١٦٤

من هذا الايمان بخالق الكون ومبدعه .... نجد الرسول ﷺ يسارع باقامة صلاة الخسوف عندما خسفت الشمس، فكانت صلاة خاصة بهذا الحدث الكوني العظيم، فهي ليست مثل أى صلاة وإنما هي صلاة مميزة لها ركوعها الخاص، وسجودها الخاص، وتلاوتها الخاصة كذلك، ووقتها طويل يمتد منذ أول الحدث حتى تتجلى الشمس فعرف المسلمون أن هذه الظاهرة الكونية لها صلاة خاصة بها، تقام عند حدوثها .

وبعد الانتهاء من الصلاة أتبعها المصطفى ﷺ بخطبة بين فيها ﷺ أن خسوف الشمس أو القمر إنما هو آية كونية من آيات الله الكبرى التى يخوف بها عباده، وأنهما لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته .

وبيّن المصطفى ﷺ للمسلمين أن المطلوب منهم عند رؤية هذا الحدث هو اللجوء والفزع إلى الله عز وجل ، والى الصلاة والتكبير والتصدق على الفقراء والمساكين .

إن هذا الحدث الذى شدّ انتباه الناس .... وجعلهم متفتحي الأذهان من انبهارهم به ... وخوفهم مما قد يقع معه أو بعده استثمره المصطفى ﷺ الاستثمار الحسن الجيد ، فنبّه إلى جريمة اجتماعية شنعاء، ألا وهي جريمة الزنا ... ونبّه المسلمين إلى فضاعة هذه الجريمة التى تقضى على القيم والمبادئ، وتهدم الأسرة، وتحطّم المجتمع.

فعن السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : (خسفت الشمس في عهد رسول الله ﷺ فقام رسول ﷺ يصلي فأطـال ـ ووصفـت هذه الصـلاة وصفا تفصيليا ـ ثم قالت إنصرف رسول الله ﷺ وقد تجلت الشمس، فخطب الناس فحمد الله وأثنى عـليه ثم قال :

(إن الشمس والقمر من آيات الله، وانهما لا ينخسفان لموت أحـد ولا لحياتـه، فإذا رأيتموهما فكبروا الله وصلوا وتصدقوا . يا أمـة محمـد إنّ من أحـد أغير من الله أن يزني عبده أو تزني أمته .
يا أمة محمـد والله لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليـلا ، ألا هل بلغـت .)(١)

بهذا الربط البليغ بين الحدث الكوني والظاهرة الاجتماعيـة يربي المصطفى ﷺ أصحـابه، لتتعلق قلوبهم بخالق الكون سبحانه فلا يقدمون عـلى أفعال تغضب الله عـز وجل ، فيحل بهم ما يريده سبحـانه ، إذ لاراد لما يريد ، ولا قضاء بعد قضائه .

لالالالالالالالالالالالالالالالالالا .

١ـ الامام مالك بن أنس، الموطـأ ، ج١، ص ١٨٦ ، بتحقيق عبد الباقي.
ـ الامام أبو داود سليمان بن الأشعث، السـنن، ج ١ ، ص ٦٩٥ ـ ٦٩٦
ـ الامام احمد بن علي النسائي ، السنن، ج٣ ، ص ١٣٠ ـ ١٣٣
ـ الامام عبد الله بن يزيد بن ماجة، السنن، ج١، ص ٢٣
ـ الامام احمد بن حنبل ، المسنـد ، ج ٦، ص ١٦٤
ـ الامام محمد بن اسماعيل البخارى، كتاب الصحيح ، كتاب الكسوف، باب الصلاة في كسوف الشمس.

جـ ـ القـــيم الاقتصاديـــة (١) Economical Values.

—ه—ه—ه—ه—ه—ه—ه—ه—ه—ه—

مر بنا تعريف مقتضب للقيم الاقتصادية بأنها " ما تهتم بالنواحي المادية، ويعبر عنها اهتمام الفرد وميله إلى ما هو نافع، بحيث يتخذ من البيئة والعالم المحيط به وسيلة للحصول على الثروة وزيادتهـــا عن طريق الانتاج والتسويق والاستهلاك واستثمار الأمـوال ."

وانطلاقـا من هذا التعريف سيكون البحث عن القيم الاقتصاديـــة الاسلاميـــة التى يمكن أن تساعد التربية على أداء مهمتها في تكوين الشخصيـــة الاسلامية.

وانطـــلاقـــا من هذا التعريف للقيم الاقتصادية التى آمـــل

١ـ انظر:
ـ يوسف كمال، أضواء على الفكر الاسلامي المعاصر، دار الانصار، القاهرة.
ـ احمد محمـد جمال، الاقتصاد الاسلامي، الغرفة التجارية بمكة المكرمة .
ـ د . عبدالحليم عويس، ثقافة المسلم في وجه التيارات المعاصرة، الرياض.
ـ د . عيسى عبـده، الاقتصاد في القرآن والسنة، دار المعارف، القاهرة.
ـ ابراهيم النعمـة ، العمل والعمّال في الفكر الاسلامي، الدار السعودية بجدة
ـ سيـد قطــب، الإسلام ومشكلات الحضارة، دار الشروق، القاهرة، ط/ ٨
ـ سيـيد قطــب، معركـة الاسلام والرأسمالية، دار الشووق، القاهرة ط/ ٩
ـ د . محمد البهي، الدين والحضارة الإنسانية، دار الهلال ، القاهرة.
ـ د . عبدالرحمن يسرى احمد، التنمية الاقتصادية والاجتماعية في الاسلام، مؤسسة شباب الجامعـة، الاسكندريــة
ـ عبدالله عبدالغني خياط، مجلة البحوث العلمية، العدد الحادى عشر عـام ١٤٠٥هـ، الرياض، الرئاسة العامة للافتاء.
ـ د . حسين مـؤنس ، الربـا وخراب الدنيا ، الزهراء للاعلام ، القاهرة.

أن أتمكّن من استخلاصها في دراستي هذه إن شاء الله. أستطيع القول بأن العمل في الدين الاسلامي يعتبر من أسس بناء المجتمع الانساني وعمارة الأرض التى استخلف اللهُ الانسانَ فيها للاسهام في ترقيتها وفق منهج الله وشريعته سبحانه.

فالعمل – بعد الميراث – هو الوسيلة التى ينال الشخصُ بها حق التملك.

والمقصود بالعمل في دراستي هذه العمَل بكل أنواعه وألوانه التي أباحها الله سبحانه، من زراعة و صناعة وتجارة، أو العمل للآخرين بأجر ، إلى آخر أنواع الكسب الشريف المباح ، ولقد بيّن الرسولُ ﷺ ذلك بقوله : (ما أكل أحدكم طعاماً قطّ خيراً من عمل يده.)[1] ،لذا نجد الاسلام يقدّر العمل وبذل الجهد،بل وأكثر من ذلك يجعلهما السبب المباشر والرئيسي للتملك والربح ، فالاسلام يحرّم أن يلد المالُ المالَ ، وإنما يلد المالَ الجهدُ ، لذلك حرّم الربا بكل أنواعه وضروبه وصوره.

وعندما قدّس الاسلام العمَل والجهدَ وجعلهما أساسَ عمارة الأرض وترقيتها ، بنى ذلك التقديس على أسس من القيم النظيفة الشريفة التي تساعد على ترقية ونمو المجتمع الاسلامي .

ان العمل الجاد الذى تعمر به الحياةُ الانسانية وترقى ، هوأن ينصر

١ــ الامام محمد بن اسماعيل البخارى، الصحيح ،كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده.

الدين الإسلامي من موقعه، من ميدان عمله، وتخصصه بالابداع فيه، والانجاز والانتاج الذى يدخل السرور على قلب كل مسلم، اذ أن كل جهد يبذل في سبيل ذلك يسمى في الشرع عملاً صالحاً، وجهاداً مبروراً، وضميمة إلى الايمان، تؤهل المرء لرضوان الله، فالله تعالى يقول في محكم التنزيل: ((فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ ﴿٩٤﴾)) (١)

إذ (من المستحيل إقامة مجتمع ناجح الرسالة إذا كان أصحابه جهالا بالدنيا، عجزة في الحياة، والصالحات الطيبات المطلوبة تصنعها فأس الفلاح، وإبرة الخياط، وقلم الكاتب، ومشرط الطبيب وقارورة الصيدلي، ويصنعها الغواص في بحره، والطيار في جوه، والباحث في معمله، والمحاسب في دفتره، يصنعها المسلم صاحب الرسالة وهو يباشر كل شيء، ويجعل منه أداة لنصرة ربه وإعلاء كلمته.) (٢)

إن العبادة في الشريعة الاسلامية ليست مجرد إقامة الشعائر، وإنما هي الحياة بكل معاني هذه الكلمة، اذ أن الحياة في ظل تعاليم الدين الاسلامي خاضعة لشريعة الله، والانسان في الحياة عابد طالما أنه كان متجهاً بكل نشاطه إلى الله، مهما كان نوع العمل والنشاط الذى يقوم به، اذا التزم فيه الشروط التالية :-

---

١- سورة الأنبياء آية/ ٩٤

٢- محمد الغزالي، مشكلات في طريق الحياة الاسلامية، ص ١٢

* أن يكون العمل مشروعا وفق تعاليم الدين الاسلامي .

* أن تصحبه النية الصالحة بنفع نفسه وأمته وعمارة الأرض وفق منهج استخلاف الله الانسان في الأرض .

* أن تلتزم فيه الحدود بالبعد عن الغش والجور والظلم .

* أن يلتزم فيه الاتقان والمهارة واحسان العمل .

* ألا يشغله عمله هذا عن أداء التزاماته الدينية التعبدية التى فرضها الله عليه .

لذلك نجد المصطفى ﷺ يقول : (الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله ، أو القائم الليل الصائم النهار .)(1)

وإذا كانت الغاية من الوجود الانساني هو العبادة ... فالمادة وسيلة تعين عليها ، فهي والحالة هذه ضرورية للانسان لأنها وسيلة للعبادة ، فلا عبادة إن لم يحيا الإنسان ، ولا حياة ان لم تعمر الدنيا .

إن عبادة الإنسان لله تضمن له الحرية الكاملة التى ينشدها ، إذ أنها تحرره من عبودية هواه بالتقوى ، كما أنها تحرره من عبودية الناس ، إلى عبودية رب الناس الله وحده ، ذلك لأن ايمانه بأن الله هو الرازق المعطي يحرره تماما من أى لون من ألوان العبودية للبشر أيا كان .

1- الامام مسلم بن الحجاج ، الصحيح ، كتاب البر والصلة ، باب في ثواب الساعي على الأرملة والمسكين

- الامام عبدالله بن يزيد بن ماجة ، السنن ، ج ٢ ص ٥ حديث رقم ١٧٤٠

لذلك كان التوجيه الاقتصادى الإسلامي يقوم أصــلاً على مبدإ الحريــة، حريــة الفرد في ممارســة أعمال لينمو بروحــه، ولينطــلق بملكاتــه نحو الرقي والصعود في سلم الحضــارة الانسانية، فالفرد الذى يعيش تابعا لغيره يأتمر بأمره ، ويعيش في كنفــه، تضيق أمــام عينــيه فرص الاختيار في سلوكه، يضعف بالتالي حجــية سئواله عــن أفعاله، ولذا كان حساب الرقيق في الشريعة الاسلامية أقل من حساب الحر في التكليف وفي العقوبة.

غير أن الاسلام لم يترك هذه الحرية على اطلاقها ، فهو-كطبيعته- يضعهـــا في الوسط الفاصل حيث لا افراط ولا تفريط، فان إطــلاق الحرية على مداها الواسع قد يؤدى إلى تقييد حرية الآخرين أو الاضرار بهـــا. فالواجب اذن أن تقف الحرية عــند الحد الذى تبدأ فيــه حرية الآخرين.

والاسلام عنــدمــا يطالب الانسان المسلم بالفضيلة مسلكا وخلقا وتوجهــا في الحياة، يجعل المادة وسيلة ومعبرا للآخرة، وليست هدفا في حد ذاتها ، وهذه هي نقطة الافتراق الكبيرة بين منهج الإســلام الدين السماوى، ومناهج الأرض البشرية الوضعية.

فمناهج الأرض البشرية الوضعية تجعل الدنيا والحياة فيها غايــة في ذاتهـــا ، وبذا يصبح الاستمتاع المادى هو الهدف الأساســي

للحياة عندهم، وهذا - في رأى الباحث - هو سبب أزمة الصراع الحاصل في هذه الأيام ، وهو وراء كل صراع بين الدول والشعوب.

أما منهج السماء الذى يجعل الدنيا معبّرا ووسيلةً الى الآخرة فإنه يحرر الانسان المسلم من دوافع الأنانية والأثرة، لإرساء قواعد الحضارة الصالحة والمجتمع الخيّر والانسان الحر. فمبدأ الحرية في الاسلام مرتبط بمفهوم الآخرة، فما دام هناك حساب وجزاء فلا بد من مسئولية ، ولا مسئولية إلّا بحرية في التصرف، وعلى ذلك كان الاقتصاد الاسلامي يرمي بكل أهدافه إلى السمو بالانسان إلى مرتبة المخلوق المتصل بخالقه سبحانه وتعالى ، أكلاً وعملا ومصيرا.

فحقيقة الانسان في نظر الاسلام أنّه يملك الأشياء ويتصرف فيها لكنه لا يتحرر في تصرفاته من حكم الله وأمره وتوجيهه وحدوده.

يقول الله تعالى : ((وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧))) (١)

يقول الأستاذ احمد محمد جمال (٢) معلقا على هذه الآية الكريمة :

(في هذه الآية القرآنية خمس اعتبارات للملكية في الاسلام:

١- ان الملك كله لله أساسا وابتداء.

٢- وجوب ابتغاء الانسان عمله وجه الله.

١- سورة القصص آية/ ٧٧.

٢- محاضرات في الثقافة الاسلامية، ٢١٧

٣ـ ألا يهمل الإنسان حقَّه في الاستمتاع الحلال .

٤ـ وجوب إحسانه إلى المحتاجين وفاقاً كما أحسن الله إليه .

٥ـ ألا يكون في تصرفه بثروته وانتاجه وصناعته فسادٌ في الأرض، أو اساءة إلى الخلق .

والاسلام عند فعل ذلك إنما فعله لبناء المجتمع الفاضل ، ولم يكن فعله مجرد شحنةٍ أو توليد حاسةٍ أخلاقية أو سلوكية ، إن شاء عمل بها وإلا فلا .... وإنما كان قصد الإسلام استقامة أفراد المجتمع كلهم على سنة الله كما تنتظم كل مفردات الكون من أشياء وأحياء . ومن ثم كانت أحكام الشريعة منبثقة من قاعدة الايمان بالله واليوم الآخر ، اذ هي التطبيق الفعلي والعملي للعقيدة، وهي حقيقة الاسلام .

فالاقتصاد في الإسلام مرتبطٌ ببقية الأحكام ـ التى تنظم الحياة في مجتمعه تنظيماً يتسم بالشمولية ـ ارتباطاً الكل بأجزائه، لذا يتعذر فصله عن القواعد الإيمانية والعَقَدية والأخلاقية ، ومن ثم كان ملتزماً بقواعد الحلال والحرام في الكسب والانفاق وفق ما نصت عليه الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة، وهذا على جانب كبير من الأهمية (١) .

ولقد بنى الإسلامُ قواعده الاقتصاديةَ ـ بعد ربطها بالعقيدة ـ على أسس أخلاقية انسانية، هذه الأسس تمثل الوعاء الذى تنصب فيه التشريعات والنظم الاقتصادية، خاصة إذا أدركنا أن الانسان ليس آلة تحرّك بقوانين وأنظمة جافة، لذلك لابد لهذه النظم والتشريعات من وعاء انساني أخلاقي ، ومناخ ملائم للتطبيق الفعلي يكون ملزماً لكل مؤمن أن يتمسك به .

١ـ سعيد رمضان، معالم الطريق، ص ٤٢

من هذا المنطلق أستطيع أن أقول إن الدين الإسلامي فتح الباب على مصراعيه للكسب الحلال، وإنماء الثروة المالية بما يحقق للفرد والمجموع، ولا يلحق الأذى والضرر بالغير، وجعل أهم وسائل هذا الكسب العمل .

لقد عني الدين الاسلامي بالعمل وشجع عليه في كل نصوصه سواء في القرآن الكريم أو السنة النبوية المطهرة، يظهر هذا جليا في قوله تعالى ((فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)) (١)

ففي هذه الآية الكريمة دعوة للمسلم اذا انتهى من صلاته - وهي الركن الثاني من أركان الاسلام - أن يعمل ويجد ويجتهد لطلب الرزق، ذلك لأن هذا السعي - في الاسلام - عبادة كسائر العبادات، بل ان الاسلام جعل السعي والعمل سببا للفلاح حيث قال (لعلكم تفلحون)

ومن أبرز ما اهتم به الدين الاسلامي أن جعل العمل والاهتمام به نعمة من النعم التى تستحق الشكر، حيث قال تعالى :

((لِيَأْكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾)) (٢)

ومن هذا الاهتمام الاشادة بالجادة بكثير من الصناعات، من ذلك صناعة الحديد، حيث قال تعالى ((وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ)) (٣)

١- سورة الجمعة آية/ ١٠

٢- سورة يس آية/ ٣٥

٣- سورة الحديد آية/ ٢٥

ونوه بصناعة الدروع حيث قال : ((وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾)) (١) كما ذكر سبحانه صناعة النسيج حيث قال ((وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾)) (٢)

كما أمر سبحانه أحد أنبيائه وهو سيدنا نوحا عليه السلام بصناعة الفلك فقال تعالى ((وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا)) (٣)

وكما أشاد القرآن الكريم بالعمل والعمّال، والصناعة والصناع، جاء ذلك أيضا على لسان المصطفى ﷺ ، حيث كان ﷺ يعمل بنفسه . ليكون القدوة التي ينبغي أن يقتدى بها كلّ مسلم في رقته وسجاياه وأخلاقه . فقد كان ﷺ راعيا للأغنام في صباه كما عمل بالتجارة للسيدة خديجة بنت خويلد - رضي الله عنها - قبل أن يتزوجها ، حيث ضرب أروع الأمثلة في نزاهته ونبله وإخلاصه وصدقه ونصحه . . . . فكان ﷺ مثال التاجر الصادق الأمين .

ولقد أظهر لنا المصطفى ﷺ أن العمل من أشرف وسائل الكسب التى حثّ عليها الدين الاسلامي ، حيث قال ﷺ (خير الكسب كسب يد العامل اذا نصح) (٤) ، كما أكد ذلك بقوله ﷺ (ما أكل أحدٌ طعامًا خيرًا من أن يأكل من عمل يده ، وأن نبي الله داود - عليه السلام - كان يأكل من عمل يده .) (٥) ، لذلك جاء حث المصطفى ﷺ التجار المسلمين على الصدق في تجارتهم حيث قال ﷺ (التاجر

١- سورة الأنبياء آية / ٨٠

٢- سورة النحل آية / ٨٠

٣- سورة هود آية / ٣٧

٤- الامام أحمد بن حنبل ، المسند ، ج ٢ ، ص ٣٣٤

٥- الامام محمد بن اسماعيل البخارى ، كتاب البيوع ، باب كسب الرجل وعمله بيده .

الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء)[1] ، بل وأكثر من ذلك فقد بين المصطفى ﷺ أن العامل له من الأجر ما لصائم الدهر وقائم الليل حيث قال ﷺ (الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، أو القائم الليل الصائم النهار)[2] كل هذا جعلنا نقول في مقدمة هذه القيم إن الاسلام يدعو إلى أن يلد الجهدُ المالَ، ويحرّم أن يلد المالُ المالَ، وتلك صورة الربا المحرم شرعا .

فالربا هو تفاوت في المماثلة بين طرفي عقد البيع، إما بالزيادة في كمّ أحد الطرفين عن الطرف الآخر، أو باختلاف وقت التسليم لكل منهما ، بين أصناف معينة وخاصة . وهذه الأصناف هي التي يقوم عليها التعامل المالي ، كالذهب والفضة .... أو تقوم عليها معيشة الناس وهي : البر والشعير والتمر .... الخ[3] .

يقول سيد قطب ـ رحمه الله ـ[4] إن الاسلام يقيم نظامَه الاقتصادى ونظامَ الحياة كلها ـ على تصوّر معيّن يمثل الحق والواقع في هذ الوجود ـ يقيم نظاما أساسه أن الله سبحانه وتعالى هو خالق هذا الكون، فهو المالك الوحيد الذى وهب كل موجود وجوده وموجوده . وهو حينما استخلف الجنسَ الانساني في هذه الأرض ، ومكّنه مما ادخر له فيها من أرزاقٍ وأقواتٍ وقوى وطاقاتٍ ،على

---

١ ـ الخطيب التبريزى، مشكاة المصابيح ، حديث رقم ٢٧٩٦ ـ ٢٧٩٧

٢ ـ الامام مسلم بن الحجاج ، الصحيح ، كتاب البر والصلة، باب في ثواب الساعي على الأرملة والمسكين

٣ ـ د . محمد البهي ، منهج القرآن في تطوير المجتمع، ص ١٣٩

٤ ـ في ظلال القرآن، جـ ٣ ، ص ٧١

عهد منه وشرط ، لم يترك له هذا الملك العريض فوضى ، يصنع فيه ما يشاء ، كيف يشاء ، وإنما استخلفه فيه على شرط أن يقوم في الخلافة وفق منهج الله ، وحسب شريعته . فما وقع منه من عقود وأعمال ومعاملات وأخلاق وعبادات وفق التعاقد فهو صحيح نافذ . وما وقع منه مخالفا لشروط التعاقد فهو باطل موقوف . وشرط عليهم أن يلتزموا في تنمية أموالهم وسائل لا ينشأ عنها الأذى للآخرين ، ولا يكون من جرائها تعويق أو تعطيل لجريان الأرزاق بين العباد ، ودوران المال في الأيدي على أوسع نطاق . كما كتب عليهم الطهارة في النية والعمل ، والنظافة في الوسيلة والغاية ، وفرض عليهم قيودا في تنمية المال لا تجعلهم يسلكون إليها سبيلا تؤذي ضمير الفرد وخلقه ، أو تؤذي حياة الجماعة وكيانها .

ولعلنا نلاحظ أن عطية الربا عطية تصطدم ابتداء مع قواعد التصور الإيماني إطلاقا ، فهو نظام يقوم على تصور آخر ، تصور لا نظر فيه لله سبحانه وتعالى ، ومن ثم لا رعاية فيه للمبادئ والغايات والأخلاق التي يريد الله للبشر أن تقوم حياتهم عليها .

فالربا يقوم على أساس أن لا علاقة بين إرادة الله وحياة البشر ، فالانسان هو سيد هذه الأرض ابتداء ، وهو غير مقيد بعهد من الله ، وغير ملزم باتباع أوامر الله . ؟؟؟؟

ثم إن الفرد في تصورهم هذا حر في وسائل حصوله على المال ، وفي طرق تنميته ، كما هو حر في التمتع به ، غير ملزم في شيء من هذا بعهد من الله أو شرط ، وغير مقيد كذلك بمصلحة الآخرين .

والربا يقوم في تصورهم على أساس خاطىء فاسد، هو أن غاية الغايات للوجود الانساني هي تحصيله للمال بأي وسيلة كانت واستمتاعه به على النحو الذى يهواه، ومن ثم يتكالب على جمع المال وعلى المتاع به، ولو داس في الطريق إلى الوصول إليه كل مبدأ أو قيمة.

وينشأ عن هذا في نهاية المطاف نظام يسحق البشرية سحقا، ويشقيها في حياتها أفرادا وجماعات، دولا وشعوبا، لمصلحة حفنة من المرابين، ويحطها أخلاقيا ونفسيا وعصبيا، ويحدث الخلل في دورة الحياة والمال ونمو الاقتصاد نموا سويا.

يقول الله تعالى :

((ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ

أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾)) (١)

يقول سيد قطب ـ رحمه الله ـ (٢) (ما كان أى تهديد ليبلغ إلى الحسّ ما تبلغه هذه الصورة المجسمة الحيّة المتحركة ... صورة الممسوس المصروع ... وهي صورة معروفة معهودة للناس ... إنها وسيلة في التأثير التربوى ناجعة في مواضعها ، كما أنها في الوقت ذاته تعبّر عن حقيقة واقعة بذاتها في حياة البشر في هذه الأرض أيضا ، فهذه الحروب واقعة وقائمة على البشرية الضالة التي تتخبط كالمموسوس في عقابيل النظام الربوى .)

ان الاسلام حين حرّم الربا لم يكن يحرّم صورةً منه دون صورة ، ولكنه كان يناهض تصورا يخالف تصوره ، ويحارب عقلية لا تتمشى مع عقليته .

ان العالم اليوم ـ والذى نعيش واقعه المؤلم ـ في كل أنحاء الأرض هو عالم القلق والاضطراب والخوف ، والأمراض العصبية والنفسية ، وذلك على الرغم من كل ما بلغته الحضارة المادية ، والانتاج الصناعي في مجموعه من الضخامة في هذه الأقطار .

---

١ ـ سورة البقرة آية / ٢٧٥ ـ ٢٨١

٢ ـ في ظلال القرآن ، جـ٣ ، ص ٧٩ .

فعلى الرغم من كل مظاهر الرخاء المادى التى تأخذ بالأبصار ... نرى عالما تشوبه الحروب الشاملة، والاضطرابات التي لا تنقطع هنا وهناك في طول الكرة الأرضية وعرضها . ولعلنا نتساءل ما قيمة كل هذا الرخاء والحضارة إذا لم ينشئ في النفوس السعادة والرضى والاستقرار والطمأنينة ؟؟؟؟

لقد صدق الله وعيده ووعده، فها نحن أولاء نرى أنه ما من مجتمع يتعامل بالربا ثم تبقى فيه بركة أو رخاء أو سعادة أو أمن أو طمأنينة..... إن الله يمحق الربا فلا يغيض على المجتمع الذى يوجد فيه هذا الدنس إلا القحط والشقاء... إذ ليست البركة بضخامة الموارد بقدر ما هي في الاستمتاع الطيب الآمن بهذه الموارد .

وليس المهم هو شكلية النظام، إنما المهم هو روحه، فالمجتمع الذى يربيه الاسلام بتوجيهاته وتشريعاته ونظامه، متناسق مع شكل النظام وإجراءاته، متكامل مع التشريعات والتوجيهات ، اذ ينبع التكافل من ضمائره ومن تنظيماته معا متناسقة متكاملة.

ان هذه الحقيقة قد لا يتصورها الذين نشأوا وعاشوا في ظل الأنظمة المادية المغايرة للنظام الاسلامي ،غير أنها حقيقة نعرفها نحن ـ أهل الاسلام ـ ونتذوقها بذوقنا الايماني .

ولعلنا نلاحظ الآيـــة القرآنية الكريمـة السابقة فنلاحظ أن الله سبحـانه وتعالى قـد أعـلن الحربَ على الربا وآكليـه ... والحربُ ممن ؟؟؟؟؟؟من الله ورسولـه ، حربٌ تواجههـا البشرية ..... حرب معروفـة النتائج والعاقبة، فأين الإنسان الضعيف الفاني من تلك القـوة الجبارة الساحقة الماحـقة ؟؟؟؟ إنها حرب على القلوب والأعصـاب، حربٌ على البركـة والرخاء، حرب على السعادة والطمأنينة، حرب القلق والخـوف ...(١)

لذلك نجد المصطفى ﷺ يسارعُ بوضع حـدٍ فاصل لهذا الأمـر فيعلن في حجـة الوداع، وفي خطبته التي حضرها معـه جمعٌ غفير من مسلمي عصـره، وذلك بعد أن نضج المجتمعُ المسلم، واستقرت قواعـدُه وحان أن ينتقل نظامُـه الاقتصـادي كله من قاعـدة الربا الوبيئـة فيقول : (.... وربا الجاهلية موضوعٌ، وأول ربًا أضع من ربانا ربـا العـبّاس بن عبد المطلب، فإنـه موضوع كلـه .)(٢)

إننا إذا تأملنا قول المصطفى ﷺ المعجز (تحت قدمـي موضـوع) لا نجـد أبلغَ في النهي عن شيءٍ وتحريمـه وتأثيمـه، وتصوير شناعتـه وفظاعتـه من إلقاء ذلك الشيء على الأرض ثـم وطئـه بالقـدم، فهذا منتهى التحطيم.

ثم لنتأمل بعد ذلك بـدأه ﷺ بأقرب الناس إليه، بعمه العباس ابن عبد المطلب، فـي قوله : (وأول ربا أضع من ربانا ربا العباس بن عبد المطلب) إذ ليس أدعى إلى التأثير والاقناع من إعطـاء القدوة

١ـ سيد قطب، في ظـلال القرآن، جـ ٣، ص ٧٩ — ٨٧

٢ ـ أبو داود سليمان بن الأشعث، السنن، جـ ٢، ص ٤٦١

الحسنة في الأمر والنهي من قبل الحاكم نفسه ومن أهله وذوى قرباه، وكذلك عندما يريد الحاكم أن يأمر بشيء أو ينهى عنه يبدأ بأهلهم بالناس، ثم يشدد العقوبة على ذوى قرباه وأهلهم أكثر من غيرهم.(١)

ولقد انتقل تأثير ذلك في تربيته ﷺ لأصحابه إلى الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ـ رضي الله ـ نـ حينما ولي أمر المسلمين جمع أهله وقال لهم :

(إني قد نهيت الناس عن كذا وكذا، وإن الناس ينظرون إليكم كالطير الى اللحم، فإن وقعتم وقعوا، وإن هبتم هابوا، وانمي والله لا أوتى برجل منكم وقع فيما نهيت الناس عنه إلا ضاعفت له العذاب لمكانه مني، فمن شاء منكم فليتقدم، ومن شاء فليتأخر)(٢)

(إن الجماعة الأولى التى ربّاها الرسول ﷺ على عينه، وحقق فيها منهج التربية الاسلامية بتمامه كله، هي القدوة الدائمة لنا بعد شخص الرسول ﷺ، وأن صورتها الواقعية هي المرجع لنا في منهج التربية بعد كتاب الله وسنة الرسول.)(٣)

ولقد شدد المصطفى ﷺ في أمر الربا من ذلك قوله :

(أتيت ليلة أسري بي على قوم بطونهم كالبيوت فيها الحيات ترى من خارج بطونهم. قلت: من هؤلاء يا جبريل؟؟ قال : هؤلاء أكلة الربا.)(٤)

١ـ احمد جمال، الاقتصاد الاسلامي، ص ٥٦

٢ـ محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٢٠٧

٣ـ محمد قطب، منهج التربية الاسلامية، ج ٢، ص ٨٧

٤ـ الخطيب التبريزى، مشكاة المصابيح، حديث رقم ٢٨٢٨

وقوله ﷺ (درهمٌ من ربا يأكله الرجلُ وهو يعلم أشدُ من ست وثلاثين زنيةً.)(١) ، وقوله ﷺ (ما من قوم يظهر فيهم الربا إلا أخذوا بالسِّنة.)(٢) ، وقوله ﷺ (لعن الله آكلَ الربا وموكله وكاتبه وشاهديه.)(٣) ، وقوله ﷺ (الربا سبعون جزءاً أيسرها أن ينكح الرجل أمه.)(٤) فهل بعد هذا التصوير تصوير أفظع وأغلظ من ذلك.؟؟؟

إن (الاسلام لا يمنع قطّ معاملة بين الناس تنفعهم وتخلوا من الضرر بهم، والغبن على فريق منهم، وأساس التحريم كله في الاسلام أن يكون في العمل المحرم ضرر،أو إجحاف،أو حِطّة في العقل والخلق.)(٥)

إن الاسلام لم يحرّم شيئاً إلا وأوجد له بديلاً يغني عنه ويأخذ بأيديهم أن يعفوا عن المحرم المنكود ،فهو عندما يحرم الربا أباح البيعَ وضروبَ التجارة الأخرى في الأمور المباحة، فهو لم يرهق المسلم من أمره عسراً ، ولم يكلفه شططاً ، وإنما أوجد له الحلولَ ،وشرّع له الوسائلَ التي من شأنها القضاءُ على المعاملات المحرمة ومنها الربا.

١- الامام احمد بن حنبل، المسند، ج٥، ص ٢٢٥

٢- المرجع السابق، ج ٤ ، ص ٢٠٤

٣- المرجع السابق، ج ١، ص ٣٩٣ و ص ٤٠٢

٤- الامام عبدالله بن يزيد بن ماجة، السنن ج ٢، ص ٧٦٤ حديث ١٨٤٤

٥- عباس محمود العقاد، حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، ص ١٢٢

ومن الحلول التي شرعها وحث عليها للترفع عن مزالق الربا والتورّط في إثمه :

أ/ القرض الحسن: حث الاسلام أتباعه ورغّبهم في القرض الحسن بالوعد الكريم والجزاء الضافي كما قال تعلى:((مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾))(١)

قوله تعالى : ((مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾)) (٢)

ب/ انظار المعسر: ريثما يزول إعساره، والترغيب في إبراء ذمته من الدين أو جزء منه كما قال تعالى :((وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾)) (٣)

ج/ التعاون في مختلف صوره ودروبه ووسائله، بحيث يغدو المجتمع في ظلال هذا التعاون الشامل سعيداً بعيداً عن مآسي الربا والفوائد الماحقة للخير، حيث أمر الله سبحانه المسلمين بالتعاون على البر والتقوى، بما يشدّ أزرهم ويضاعف إنتاجهم حيث قال تعالى : ((وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾)) (٤)

١- سورة الحديد آية/ ١١
٢- سورة البقرة آية/ ٢٤٥
٣- سورة البقرة آية/ ٢٨٠
٤- سورة المائدة آية/ ٢

د / إخراج الزكاة المفروضة على الأموال، ودفعها إلى مستحقيها كما نصت على ذلك نصوص القرآن والسنة ((إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦٠)) (١)

ويجب أن يكون إخراجها دون تهرب أو تسويف، أو طغيان الأنانية على بعض النفوس الضعيفة، فتستأثر بالمال وتحجزه وتشح به، فلا تستجيب لإنفاقه كما أمر الله سبحانه حيث قال تعالى ((ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَأَنفَقُواْ لَهُمۡ أَجۡرٞ كَبِيرٞ ٧)) (٢)

بكل هذه الحلول وغيرها حاولت الشريعة الاسلامية أن يضيء الطريق للمسلمين وتبعدهم عن الربا والوقوع في أوحاله.

وكما عرفنا آنفا أن مصدر الكسب المشروع والوحيد هو العمل، وأن كلا منا يستطيع ـ إذا شاء واستخدم عقله ـ أن يكسب فوق ما يحتاجه، تبينا أن المسلم إذا عمل وفق أوامر الله، وهو العمل الصالح، عرفنا أن باستطاعته أن يكون غنيا، إذ ليس الغنى بكثرة الاموال والعقار ولكن بالاستغناء عن الحاجة ومسألة الناس.

١ـ سورة التوبة آية / ٦٠

٢ـ سورة الحديد آية / ٧

والمعاملة الثانية التى حرّمها الدين الإسلامي هي :

الغش:

لقد حرّم الله الغشَ لأن انتقاص الحقوق أساسُ كبير لزعزعة الثقة بين أفراد المجتمع المسلم، وهذه تؤدى إلى قطع العلاقات بينهم، وإثارة الأحقاد والبغضاء بين الناس، ولذلك ينتشر الفسادُ في الأرض وتضيعُ المصالحُ.(١)

والأصل في تحريم الغش الحديثُ الذى رواه الصحابي الجليل أبو هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ مرّ برجل في السوق يبيع طعاما، فأدخل المصطفى ﷺ يده فيه، فإذا هو مغشوش، فقال ﷺ (ليس منا من غشّ).(٢) ولعلنا نلاحظ أن رسول الله عبّر بقوله "مَنْ غَشَّ" عامًا هكذا، حتى تشمل كلّ أنواع الغش التى نراها قد تفشّت في المجتمعات اليوم. ولعل الحديث الذى رواه عقبة بن عامر – رضي الله عنه – يوضح لنا هذا الأمر بصورة أكبر فقد روى أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : (المسلمُ أخو المسلم، ولا يحلّ لمسلم باع من أخيه بيعًا، فيه عيبٌ إلا بيّنه له).(٣)

ولقد عدّ العلماء من باب الغش (تهاون الصانع في صنعته، وعدم إتقانها إتقانا تامًا، والميزان في ذلك أنما لا يرضاه

١– محمود شلتوت، الاسلام عقيدة وشريعة، ص ٢٨٠

٢– الامام عبدالله بن يزيد بن ماجة ، حديث رقم ٢٢٢٤ بتحقيق عبدالباقي

٣– المرجع السابق، حديث رقم ٢٢٤٦

لنفسه اذا قدمه للآخرين كان غاشا.(1)) والأصل فيه حديث المصطفى ﷺ القائل : (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه.(2)) ، وقوله ﷺ : (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه.(3))

والصورة الثالثة التى حرمها الدين الاسلامي من صور الكسب غير المشروع الرشوة أو استغلال السلطة والنفوذ .

فالرشوة ما وجدت في مجتمع إلا أفسدت موازينه وقيمه ومبادئه ، وإذا فسدت الموازين اضطرب الأمر ، وهي – أى الرشوة – محرمة سواء أكانت لتحقيق نفع عاجل أم بنية التقرب ضمانا لمصلحة قد تقع في المستقبل ، والهدية في هذا المجال هي بحكم الرشوة .

والأصل في ذلك ما ور في صحيح الإمام مسلم عن الصحابي الجليل ابي حميد الساعي – رضي الله عنه – قال : (إستعمل النبي ﷺ رجلا من الأزد يقال له ابن اللتبية على صدقة فلما قدم قال : هذا لكم وهذا أهدى إلي .

قال : فقام رسول الله ﷺ على المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه وقال : (مابال عامل أبعثه فيقول هذا لكم وهذا أهدى لي ، أفلا

١– سعيد حوى ، الاسلام ، ص ٤٢٩

٢– محمد ناصر الدين الألباني ، صحيح الجامع الصغير ، حديث ١٨٧٦ ، ١٨٨٧

٣– يحيى النووى ، شرح صحيح مسلم ، ج ١٢ ، ص ٢١٩

قعــد في بيت أبيه أو في بيت أمه حتى ينظر أيهدى إليه أم لا ؟؟ والذى نفس محمد بيده لا ينال أحد منكم منها شيئا إلا جاء به يوم القيامة يحمله على عنقه ، بعير له رغاء ، أو بقرة لها خوار ، أو شاة تيعر ، ثم رفع يديه حتى رأينا بياض (عفرتي) إبطيه . ثم قال: اللهم هل بلغت مرتين .) .

إن جمع الرسول ﷺ الناس وخطبته فيهم بعد هذه الحادثة يظهر لنا عظم خطورة الرشوة ، اذ قد يلتبس على الناس فيها أمر الحلال والحرام ، لذلك نجد المصطفى ﷺ يسارع إلى بيان حكم الشرع في مثل هذا الأمر ، فهو ﷺ بالمؤمنين رؤوف رحيم ، لم يشأ أن تستدرجهم الدنيا فتأخذهم كما حدث في المجتمعات اليوم من صور مختلفة من ألوان الرشوة ، إذ قد سميت بغير اسمها ، فمنها ما يطلق عليه اليوم "أتعاب" أو "سمسرة" أو "سعي" ، وهي في النهاية على صورها وأشكالها المختلفة غالبا ما تكون مقابل أداء عمل مكلف به العامل ضمن عمله الرسمي الذى يتقاضى عليه أجره من الدولة ، أى من الخزينة العامة للمسلمين .

ولقد ركز المصطفى ﷺ في خطبته على جزاء الله يوم الحساب ، وذلك بمخاطبة الضمير وإحياء الوازع الديني في نفوس المستمعين حتى يكون سدا منيعا أمام الانسان في مواجهة ما قد يقدم عليه من إثم سواء في حق نفسه ، أو حق الأفراد ، أو حق المجتمع ، أو حق الدولة .

والصورة الرابعـــة من صـــور التملك غير الشرعي التى حـــرّمها الدين الاسلامي هـــي :

الاحتكـــار :

قـــرر الاسلام أنّ كل كســـب فيه إضرار بالفرد أو المجتمع هو مـــن وسائل الكسب غير المشروع لتنمية الثروة ..... ومن هذه الوسائل الاحتكار اذ أن فيـــه تضـــييقاً على الناس، وإعنـــاتاً لهم، وهدماً لقاعدة التنافس الشريف الذى حـــث عـــليه وشجعـــه الدين الإسلامي .

فالاحتكار لـــه عـــدة صـــور أُستطيع اجمالها فيما يلي :

١ـ شراء سلعة مـــا من السوق ثم اخفاؤها لفترة من الزمن لرفـــع سعرها والتحكم فيـــه .

٢ـ تخفيض سعر سلعـــة ما لمضـــارة تاجر نـــاشئ .

وحتى يخلـــو له الطريق ليغرض فيما بعد السعر الذى يريـــد .

وفي كلتا الحالتين يبتعـــد أمثال هـــؤلاء عن ركب جماعة المؤمنيـــن ، وذلك لكونهم أداة تلهب ظهـــور أفراد المجتمع لتستغله أســـوأ استغلال .

والأصـــل في ذلك كلـــه أحاديث المصطفى ﷺ والتى منها :

(لا يحتكـــر الا خـــاطئ)(١) وقـــوله ﷺ (الجـــالب مـــــــرزوق والمحتكر ملعـــون .)(٢) ، وقوله ﷺ محـــذراً من الاحتكار (من احتكر على

١ـ الامـــام عبدالله بن يزيد بن ماجـــه ، السنن ، حديث رقم ٢١٥٤ بتحقيـــق عبـــد البـــاقـــي .

٢ـ المرجع الســـابق ، حـــديث رقم ٢١٥٣

المسلمين طعامهم ضربه الله بالجذام والإفلاس[1]) ، ثم يزيد المصطفى ﷺ الموضوع ايضاحا بقوله ﷺ (بئس العبد المحتكر : إن أرخص الله الأسعار حزن ، وإن أغلاها فرح[2]) ، ثم يصل بالتحذير إلى أبعاد جديدة حيث يقول ﷺ (من احتكر طعاما أربعين يوما يريد به الغلاء ، فقد برئ من الله ، وبرئ الله منه[3]) ، ثم يؤكد أن المبالغ التي يجنيها المحتكر حتى ولو تصدق بها لم تغن عنه من الله شيئا حيث يقول ﷺ (من احتكر طعاما أربعين يوما ثم تصدق به ، لم يكن له كفارة[4])

ولقد نص الامام ابن تيمية على (أن لولي الأمر أن يكره الناس على بيع ما عندهم بقيمة المثل عند ضرورة الناس اليه ، مثل من عنده طعام لا يحتاج اليه والناس في مخمصة ، فإنه يجبر على بيعه للناس بقيمة المثل[5])

هذا ولقد حذر المصطفى ﷺ أمته من التنافس على الدنيا والأموال في خطبته التى رواها الصحابي الجليل رضي الله عنه

١ـ الامام أحمد بن حنبل ، المسند ، ج ١ ، ص ٢٢

٢ـ الخطيب التبريزى ، مشكاة المصابيح ، حديث رقم ٢٨٩٧

٣ـ الامام أحمد بن حنبل ، المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٣٣

٤ـ الخطيب التبريزى ، المرجع السابق ، حديث رقم ٢٨٩٨

٥ـ الحسبة في الاسلام ، ص ١٧

أبو سعيد الخدرى حيث قال : قام رسولُ الله ﷺ فخطب الناسَ فقال : (لا والله ما أخشى عليكم أيها الناس إلا ما يخرجُ اللهُ لكم من زهرة الدنيا .

(فقال رجلٌ : يارسول الله أيأتي الخيرُ بالشر ؟؟؟ فصمت رسولُ الله ﷺ ساعةً ، ثم قال : كيف قلتَ ؟؟ قال : قلتُ يارسول الله أيأتي الخيرُ بالشر ؟ ، فقال له رسول الله ﷺ :

(إنّ الخير لا يأتي الا بخير أو خير هو ، ان كل ما ينبت الربيع يقتل حبطًا (١) أو يلمّ (٢) إلا آكلة الخضر (٣) ، أكلت حتى اذا امتلأت خاصرتاها استقبلت الشمس ، تلطّت (٤) ، أو بالت ، ثم اجترّت (٥) ، فعادت فأكلت ، فمن يأخذ مالاً بحقه يبارك له فيه ، ومن يأخذ مالاً بغير حقه فمثله كمثل الذى يأكل ولا يشبع ، ثم يكون عليه شهيداً يوم القيامة . (٦))

اننا نلاحظ أن المصطفى ﷺ قد استعمل في هذه الخطبة تشبيهاً من البيئة ليوضح به موقف المال المكتسب من طريق حلال ،

١- الحَبَطُ : بفتح الحاء والباء : التخمة ، ويعني به الهلاك .

٢- أو يُلِمّ : الإلمام هنا بمعنى القتل .

٣- آكلة الخضر : اى الدابة التي تأكل الطرى الغض من النبات .

٤- تلطّت : أى ألقت الرجيع من بطنها .

٥- اجترّت : أى مضغت ما اجترته من معدتها ، ثم تبلعه ثانية .

٦- الامام محمد بن اسماعيل البخارى ، الصحيح ، كتاب الجمعة ، باب يستقبل الأمامُ القومَ .

- يحيى النووى ، شرح صحيح مسلم ، ج ٧ ، ص ١١٤

- الامام احمد بن علي النسائي ، السنن ، ج ٥ ، ص ٩٠

ومن يجمع المال من طرق غير شرعية . وأن المال الذى يأتي عن طريق الكسب الحلال يبارك الله تعالى فيه ، وأن المال أو الأموال التى تأتي عن طريق الكسب غير المشروع يمحقه الله ويذهبه ، فالذى يكسب المال عن طريق غير مشروع يشبهه المصطفى ﷺ بالذى يأكل ولا يشبع ، حتى أصبحت القناعة ليس لها وجود في نفس من تذوق الكسب الحرام . كما أن المصطفى ﷺ بين في هذه الخطبة أن الخير الحقيقي لا يمكن أن يأتي إلا بالخير ، وأن الذى يحصل للناس من زهرة الدنيا إنما هو فتنة لهم وليس بخير ، وذلك في حواره مع أحد الحاضرين الذى استبعد أن يكون الشئ خيرا ثم يترتب عليه شر ، وضرب لذلك ﷺ مثلا " إن كل ما ينبت الربيع يقتل حبطا أو يلم إلا آكلة الخضر " ، ومعناه أن نبات الربيع وخضره يقتل الدواب بالتخمة لكثرة الأكل ، وهو ان لم يقتلها فهو يقارب القتل ، الا اذا اقتصر منه على اليسير الذى تدعو إليه الحاجة ، وتحصل به الكفاية المقصودة فانه لا يضره . هكذا المال فهو كنبات الربيع تطلبه وتتطلع إليه النفوس وتميل إليه ، فإذا استكثر الانسان منه ، واستغرق فيه ولم يصرفه في وجوه الخير والإنفاق المشروع ، فهذا يهلكه ويورده المهالك ، وإن لم يهلكه فقد شارف على الهلاك .

وأن من يقتصد في جمع المال فلا يأخذ منه الا يسيرا ، وان أخذ كثيرا منه فرقه في وجوه الخير والصلاح ، فهو كما تتلطه الدابة وتخرجه فهذا لا يضره

لذلك نجد المصطفى ﷺ يعاود تأكيد هذا الأمر في خطبته بمنى حيث قال : ﷺ (ألا وإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، حتى تلقوا ربكم فيسألكم عن أعمالكم ،ألا فليبلغ أدناكم أقصاكم،ألا هل بلغت. ؟؟؟) (١)

وعندما ذكر المصطفى ﷺ في خطبته بمنى قائلا :

(ولا يحل لامرئ من مال أخيه إلا ما طابت به نفسه) قال له أحد أصحابه : "أرأيت يارسول الله لو لقيت غنم ابن عمي فأخذت منها شاة، فاحترزتها هل علي في ذلك شيء ؟؟ قال ﷺ "إن لقيتها نعجة تحمل شفرة وزنادا فلا تمسها.) (٢)

وخلاصة القول في القيم الاقتصادية أن الإسلام يقوم على قاعدة أساسية هي أن العمل الانساني ـ أيا كانت مجالاته الاقتصادية أو الاجتماعية أو السياسية ـ لا يصح ولا يؤتي ثماره الطيبة الا اذا صحت العقيدة لقوله تعالى

((وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾)) (٣)

(فالعقيدة عندما تنحرف يفقد العقل ـ أو النسق الادراكي ـ العون الايماني فيندفع تحت تأثير الأهواء والشهوات إلى متاهات التفكير الأيدلوجي ، القائم على تحقيق المصالح الذاتية ،ولو كان

١ـ محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، زاد المعاد ، جـ ١ ،ص ٢٣٨

٢ـ الامام احمد بن حنبل، المسند ، جـ ٣ ، ص ٤٢٣

٣ـ سورة الزمر آية/ ٦٥

ذلك على حساب التضحية بالقيمة الانسانية، وإهلاك الحرث والنسل، وتدمير البيئة وتحطيم الوجود الانساني ٠)(١)

والغرض والهدف عند هؤلاء من السلوك الاقتصادى هو تحقيق أقصى ما يمكن من المتعة أو اللذة الحسية بصرف النظر عن الالتزام بقواعد الأخلاق الفاضلة، أو الاكترات بالقيم الانسانية كالعدل والرحمة والايثار ٠ فهؤلاء النفعيون يعلنونها صراحة بأن النشاط الاقتصادى لديهم مفصول بالكلية عن الدين والأخلاق، فلا يهم أن يكون الانتاج أسلحة عدوانية لسفك دماء الشعوب المغلوبة على أمرها، أو سلب مواردها وخيراتها، أو قد يكون المنتج أفلاما هابطة أو ملابس خليعة، أو أى شيء آخر مما يفسد الانسان أو يحطم الأخلاق أو يفسد البيئة الطبيعية ويلوثها، كل ذلك لايعنيهم في كثير أو قليل (٢)

ان الشقاء الذى تعيشه المجتمعات المعاصرة ـ سواء النامية أو المتقدمة ـ مصدره الخروج عن قاعدة السلوك الاسلامي، وقد أشار إلى ذلك المصطفى ﷺ حيث قال : (تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة (٣)، إن أعطي رضي، وإن لم سخط، تعس وانتكس، (٤) وإذا شيك فلا انتقش ٠٠٠٠) (٥).

١ـ د ٠ حسين غانم، جريدة أخبار العالم الاسلامي العدد ١٠٦٨ موضوع : نحو نظرية عامة في القيمة، ص١٣

٢ـ المرجع السابق ٠، نفس المكان ٠

٣ـ عبد الخميصة : الخميصة ثوب خز أو صوف معلم ٠

٤ـ انتكس : أى صار ذليلا، وهذا دعاء عليه ٠

٥ـ الامام محمد بن اسماعيل البخارى، كتاب الجهاد، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله ٠

من هذا المنطلق نجـد المصطفـى ﷺ يحذرنا من التنافس غير الشريف على الدنيا حيث قال ﷺ : (فـوالله لا الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوهـا كما تنافسوهـا وتهلككم كما أهلكتهم ٠) (١)

٠٠))))))))))((((((((٠٠

****

١ـ الخطيب التبريزى ، مشكاة المصابيح ، حديث رقم ٥١٦٣

الفصل الرابع

بعض الأساليب التربوية المستنبطة من خطب المصطفى صلى الله عليه وسلم

- الرسول المربي والمعلم الأول .
- موقف الرسول من العلم والتعلم .
- تربية العقيدة تربية للسلوك .
- وحدة الفكر والمنهج وحدة للقيم والمبادئ والمثل .

١- الرسول ﷺ المربي والمعلم الأول

+++++++++

تسعى كل النظريات والأفكار التربوية، منذ عرف الإنسان مفهوم التربية، إلى إيجاد المثل الأعلى الذى تربي عليه أبناءها، وتتخذ منه مثالها الذى يحذو حذوه شبابها في كل تحركاتهم وتصرفاتهم التي تصدر عنهم، حتى يكونوا شخصيات مرغوبا فيها تسود مجتمعاتهم.

وإذا كان الفكر المجرد المثالي – في أغلب الأحوال – غير متصور ولا مفهوم عند الغالبية العظمى من البشر، إذا لم يقترن هذا الفكر بأمثلة محسوسة، تبين معالمه، وتوضح للناس مبادئه، ومن ثم تكون شاهدة على مدى واقعيته، وامكانية تطبيقه في المجتمع البشرى، اذ أن الفكر المجرد المثالي سيبقى مثاليا ما لم يرتبط بالواقع ويلتصق به، ثم يظهر في صور شخصيات متحركة هنا وهناك، حتى تتحقق خلافة الإنسان في الأرض.

وحتى تكون شريعة الله هي الخالدة، شاءت إرادة الله سبحانه أن تتجسد في مثال انساني تمثلت فيه قمة الكمالات التي يحتاج إليها البشر في حياتهم التي خلقهم الله لها لتحقيق خلافة الله في الأرض، بحيث تكون هذه الشخصية تطبيقا عمليا لتلك المبادىء والتشريعات التي جاء بها الدين الاسلامي، ودعا الناس جميعا إلى الأخذ بها، ومن ثم صياغة حياتهم على منوالها.

كانت تلك الشخصية التى اختارها الله سبحانه وتعالى لتكون مثالا واقعيا لكل متطلبات الدين الاسلامي هي شخصية سيدنا محمد ﷺ حيث قال تعالى حكاية عن الجاهليين ((وَقَالُوا۟ مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَـٰلَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًۢا ﴿١٠﴾)) (١)

يعلّق المرحوم سيد قطب على هذه الآيات الكريمات بقوله (٢):

(مالهذا الرسول يأكل الطعام، ويمشي في الأسواق؟؟ ما بشرا يتصرف تصرفات البشر ؟؟ انه الاعتراض المكرور الذى رددته البشرية عن كل رسول ؟؟؟ إنه التكريم الإلهي للإنسان يبدو في هذه الصورة العجيبة، كما أنها الحكمة الالهية تبدو في رسالة واحدة من البشر إلى البشر، واحد من البشر يحس احساسهم، ويتذوق مواجدهم، ويعاني تجاربهم، ويدرك آلامهم وآمالهم، ويعرف نوازعهم وأشواقهم، ويعلم ضروراتهم وأثقالهم، ومن ثم يعطف على ضعفهم ونقصهم، ويرجو في قوتهم واستعلائهم، ويسير بهم خطوة خطوة، وهو يفهم ويقدّر بواعثهم وتأثراتهم واستجاباتهم، لأنه في

١- سورة الفرقان آية / ٧ - ١٠

٢- في ظلال القرآن، ج ١٩، ص ١٨ ومابعدها.

النهاية واحد منهم، يرتاد بهم الطريق الى الله، بوحي من الله، وعون منه على وعثاء الطريق.

(فالرسول بشخصه ترجمة حيّة للعقيدة التى يحطها إليهم، وتكون حياته وحركاته وأعماله صفحة معروضة لهم ينقلونها سطرا سطرا، ويفقونها معنى معنى، وهم يرونها بينهم، فتهفو نفوسهم إلى تقليدها، لأنها ممثلة في إنسان، ولو كان ملكا ما فكروا في تقليده في عمله، لأنهم منذ البدء يشعرون أن طبيعته غير طبيعتهم، فلا جرم يكون سلوكه غير سلوكهم على غير أمل في محاكاته ولا شوق إلى تحقيق صورته.

(والله سبحانه وتعالى لم يرد لرسوله ﷺ أن يكون له كنز، ولا أن تكون له جنة . لأنه أراد أن يكون قدوة كاملة لأمته، ينهض بتكاليف رسالته الضخمة الهائلة، وهو في الوقت ذاته يسعى لرزقه كما يسعى رجل من أمته . فلا يقولن أحد من أمته يكد لعيشه : لقد كان رسول الله ﷺ مكفي الحاجة، لا يعاني صراع العيش، ومن ثم فرغ لعقيدته ورسالته وتكاليفه، فلم يعوقه عائق مما أعاني، فها هو رسول الله ﷺ يعمل ليعيش، ويعمل لرسالته فلا أقل من أن ينهض كل أحد من أمته بنصيبه الصغير من تكاليف هذه الرسالة وقدوته أمامه .)

من هذا يظهر لنا أن الرسول ﷺ هو المثل الأعلى للكائن الحيّ في هذا الوجود . ذلك لأن الرسول ﷺ هو المعين الذى

لا ينضب، والمثل الأعلى الذى يجب أن يحتذى وأن يكون قدوة لجميع المسلمين. فالرسول ﷺ كالشمس المشرقة التى تطارد خيوط الظلام حين تشرق على الوجود، فتكون متضائلة ومتلاشية أمام أنوار البريق المحمدى.

وحتى نستطيع ادراك هذه الحقيقة، أمرنا رسول الله ﷺ أن يكون حبنا له أكثر من حبنا أنفسنا، وأكثر من حبنا آباءنا وأمهاتنا بل وجميع المخلوقات في هذا الوجود. وقد ورد عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنه قال للنبي ﷺ لأنتَ أحبُّ إليَّ من كل شيء إلا نفسي التى بين جنبي، فقال له النبي ﷺ (لن يؤمن أحدكم حتّى أكونَ أحبَّ إليه من نفسه. فقال عمر: والذى أنزل عليك الكتاب لأنتَ أحبُّ إليَّ من نفسي التى بين جنبيّ، فقال ﷺ الآن ياعمر.)[١]

ويؤكد هذا المعنى أيضا حديث الرسول ﷺ حيث يقول ﷺ (لا يؤمن أحدكم حتّى أكونَ أحبَّ إليه من ولده ووالده والناسِ أجمعين.)[٢]، فالمؤمن حينما يحب رسول الله ﷺ حتى يملك عليه هذا الحبّ كل جوانحه، يبدأ في حب كمالاته التى جاء بها، ومن ثم كان الاقتداء به ﷺ حيث أمرنا الله سبحانه وتعالى بذلك في قوله (لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ)[٣] تمسكا بهدى القرآن الكريم، اذ أن الرسول ﷺ هو الطريق الموصلة الى القرآن وفهمه.

١- القاضي عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، جـ ٢، ص ١٩

٢- الامام محمد بن اسماعيل البخارى، الصحيح، كتاب الايمان، باب حب الرسول ﷺ من الايمان.

٣- سورة الأحزاب آية / ٢١

ويمكننا القول بأن تمثلنا حياة سيدنا محمد ﷺ واتخاذها قدوة ، بحيث لم نقتد بغيرها في كل مناحي حياتنا العامة والخاصة، يومئذ لا ننخدع بمعسول من الكلام يحرفنا عن جادة الطريق، وبمثال غير مثاله الواقعي الخالد مع الأيام.

من هنا يجب أن تكون سيرة سيدنا محمد ﷺ في تربية أصحابه ـ رضوان الله عليهم ـ القدوة المثلى في تربية أبنائنا ، وايجاد جيل مؤمن يستطيع تحمل التبعات الطقاة على كاهله، أداء للأمانة التي ائتمنه الله عليها وهذا ما سأحاول شرحه وتبيانه ـ إن شاء الله ـ في ثنايا هذا البحث.

(((((((((((((((((((((((((((((((((((((( ))))

٢- منهجه ﷺ في التربية والتعليم: (١)

استطاع الرسول ﷺ أن يربي صحابته -رضوان الله عليهم- تربية (اجتمعت لها عناصر التربية الاسلامية بكل تمامها، على يد أعظم مرب في التاريخ. فهي المقصودة أولا بقوله تعالى: "كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون الناس بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله"، إنها الأمة التى حوت كل ألوان العظمة، فكان لها في كل اتجاه مالم يكن لأمة أخرى في التاريخ بهذه الوفرة وذلك التعدد. هذه الأمة هي التى وضعت أسس التاريخ الاسلامي كله، ورسخت قواعده في الأرض، بما قدمت من مبادىء قيمة ومثل عليا مطبقة في عالم الواقع بصورة فريدة في التاريخ، صورة يلتقي فيها المثال بالواقع، فلا تكاد تعرف من روعة العظمة المذهلة أيها الواقع وأيهما المثال. إنها الثمرة الجنية للتربية الإسلامية في أعلى صورها على يد أعظم مرب في التاريخ.

(وستظل هذه الجماعة .... هي النموذج الذى تتطلع إليه الأجيال، وتحاول أن تعيده في عالم الواقع ....) (٢)

١- كثيرة هي المراجع التى تحدثت عن منهجه ﷺ في التربية، منها:
- د. محمد علوى المالكي الحسني، الانسان الكامل.
- د. عبدالحميد محمد الهاشمي، الرسول العربي المربي.
- محمد قطب، منهج التربية الإسلامية.
- د. محمد رأفعت سعيد، الرسول المعلم ومنهجه في التعليم.

٢- محمد قطب، منهج التربية الاسلامية، ج ٢، ص ١٥-١٦

ومن طرق المصطفى ﷺ في تربيته لصحابته :

١- توجيه الهمم إلى معالي الأمور :

كانت الفكرة الطاغية في الجاهلية أن الغني هو الانسان الذى يملك الأموال الطائلة، والعبيد والحشم والخدم، وحتى يتمكن الرسول ﷺ من تغيير هذه الفكرة في نفس أصحابه نجده ﷺ يبدأ بتغيير هذه الفكرة، فيبدأ بتوجيه الهمم إلى معالي الأمور، ومعالي المقاصد ، ومن ثم تصوير/ المعاني الراقية الجليلة في إطار المفاهيم التى كانت شائعة في المجتمع آنذاك. فنراه ﷺ يقول : (ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس.) (١) وهذا يعني ان (الغنى المحمود المعتبر عند أهل الكمال غنى القلب، أو غنى النفس، اى استغناؤها وقناعتها ورضاها به .... ، ومن كفته نفسه عن المطامع قرت وعظمت ، وجعل لها من الخطورة والنزاهة والشرف والمدح أكثر من الغنى الذى يناله من كان فقير النفس، فانه يورطه في رذائل الأمور وخسائس الأفعال لدناءة همته فيصغر في العيون، ويحتقر في النفوس ، ويصير أذل من كل ذليل.) (٢)

١- الامام محمد بن اسماعيل البخارى، الصحيح ، كتاب الرقاق ، باب الغنى غنى النفس.

٢- د. محمد المالكي ، الانسان الكامل ، ص ٣٢٤

٢ـ الانتقال من الحاضر المحسوس إلى صورة ذهنية تتعلق بالايمان أو السلوك :

يستخدم المربون هذه الوسيلة في تثبيت النظرية العلمية، وتجسيدها أمام أعين الناظر ... حتى تتمثل أمامه فيشعر بها، ويحس بما تشاهده عيناه ... من ذلك ما جاء عن جابر ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ مر في السوق والناس عن جانبيه، فمر بجدي أسك(١) ميت، فتناوله فأخذ بأذنه، ثم قال : أيكم يحب أن يكون له هذا بدرهم ؟؟؟ فقالوا : ما نحب أنه لنا بشيء وما نصنع به ؟؟ ثم قال : أتحبون أنه لكم ـ أي بلا شيء ـ ، فقالوا : والله لو كان حيا كان عيبا أنه أسك، فكيف وهو ميت ؟؟؟ فقال ﷺ : فوالله إن الدنيا أهون على الله من هذا عليكم.(٢))

من هذا يتضح لنا كيف استطاع ﷺ أن يجعل من هذا الجدي الميت المعيب، مادة محسوسة مشاهدة ملموسة، درسا عمليا، وموعظة نبوية بليغة لتبيان قيمة الدنيا وحقيقتها، وأنها لا تستحق هذا التكالب عليها، ولا الحرص الشديد والتحاسد والتباغض والتشاحن، وبذا نراه ﷺ ينتقل من قضية الجدي المحسوس الملموس إلى قضية ذهنية علمية.(٣)

١ـ الجدي الأسك : ولد المعز صغير الأذن أو عديمها أو مقطوعها.
الزمخشري : أساس البلاغة، مادة، سكك.)

٢ـ الامام مسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب الزهد والرقائق باب في الزهد في الدنيا وهوانها على الله عزوجل

٣ـ د. محمد المالكي، الانسان الكامل، ص ٣١٥

٣- إصلاح عملي لنموذج سلوكي منحرف : (١)

اذا ظلت التربية عبارة عن أوامر ونواهٍ مجردة بحتة ، أو عبارة عن وصايا تربوية كلامية ، دون أن تتجسد في نماذج سلوكية وأنماط عملية من السلوك التطبيقي ، فإنها حينذاك تفقد معناها ، بل وأكثر من ذلك تبقى تربية جوفاء لا روح فيها ، بل تعتبر تربية فاشلة .

ولكن التربية النبوية التي لها مناهجها وطرائقها الفريدة : تتبنى مبدأ العمل الايجابي التنفيذي في سلوك المؤمن نفسه ومع أعضاء مجتمعه .

من هذا المنطلق التربوى العملي ، نجد الرسول الكريم ﷺ ينزل السوق ليكون أول محتسب ، يراقب السوق ، يفتش المحلات حماية للمستهلك من بعض ضعاف النفوس ، ويمر على بائع لطعام يعرض بضاعته على الناس ، فيدخل الرسول ﷺ يده في هذا الطعام المعروض للبيع ... فإذا بها تصيب بللاً ... هنا يلتفت الرسول ﷺ المربي والموجه ، لصاحب الطعام ويسأله قائلا " ماهذا ياصاحب الطعام " ؟؟؟

إنه ليس سؤالا استفهاميا استعلاميا ... ولكنه سؤال تعجبي إنكارى .... وعندها يجيب صاحب الطعام قائلا : " أصابته السماء " - أى نزلت عليه قطرات المطر فابتل - فيقول الرسول الكريم مخاطبا البائع :

١- د. عبدالحميد الهاشمي ، الرسول العربي المربي ، ص ص ١٨٢ -١٨٣

" أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس" ؟؟ أى تعرضه بالحالة التي هو عليها ، لا أن تدس المبتل من أسفل ... وتضع الجاف من أعلى .

وبعد هذا الحوار بين البائع والمرشد ﷺ يضع الرسول ﷺ التوجيه اللازم والأساسي لسلوك المؤمن الملتزم فيقول ﷺ :

((من غش فليس منا)) (١)، لتكون قاعدة عامة لمكافحة كل أنواع الغش مهما كانت صغيرة أو كبيرة ، وفي كل مجال من مجالات الحياة .

٤- الحوار المقنع :

كان رسول الله ﷺ يثير في أصحابه النشاط الذهني العقلي ، ويحرك فيهم القوى العقلية الكامنة، وهو بهذا يقدح فطنتهم لاستقبال الموعظة حين يسوقها لهم في قالب من الاقناع والمحاجاة .

يتضح لنا هذا جلياً من الحوار التالي بين الرسول ﷺ وبين أصحابه حينما بادر أصحابه يوماً بالسؤال التالي :

((أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء " ؟؟؟؟

قالوا : لا يبقى من درنه شيء .

فقال ﷺ ذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا)) (٢).

١- الامام محمد بن عيسى الترمذى، السنن، جـ ٢، ص ٣٨٩

٢- الامام محمد بن اسماعيل البخارى، الصحيح ، كتاب الأذان ، باب فضل من غدا الى المسجد ومن راح

- الامام مسلم بن الحجاج ، الصحيح ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب المشي الى الصلاة تمحى به الخطايا

٥- الالزام بوازع الضمير :

حينما يشعر الرسول ﷺ بأخطاء في سلوك جماعة أو فرد من صحابته ﷺ يسارع ﷺ إلى تصحيح هذا الخطأ أو ذاك السلوك، من غير أن يذكر أصحابه، بل انه يكتفي ﷺ بقوله "ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا"، وبذا فهو يتركهم لوازع الضمير، ورقابة الله سبحانه وتعالى عليهم، فهي من أعظم الزواجر، وخاصة في الذنوب التي قد يقترفها الانسان بعيداً عن تناول يد العدالة التي أقامها الشرع في الأرض، أو بعيدا عن أعين الناس ....

(فحين يحوّل الايمان نفسا لوّامة، ووخزا لاذعا لا يرتاح معه صاحبه حتى يعترف بذنبه، ويعرّض نفسه للعقوبة الشديدة يتحملها مطمئناً تفاديا من سخط الله وعقوبة الآخرة، من ذلك ما جاء في صحيح مسلم عن ماعز بن مالك الأسلمي حيث أتى النبي ﷺ فقال : "يارسول الله إني ظلمت نفسي وزنيت، وإني أريد أن تطهرني"، ورسول الله ﷺ يرده ثلاث مرات، ويسأل أهله عن عقله، وهو يصر على اعترافه وطلبه) (١) .

نفس أبية عرفت ما أعد الله للزاني من عذاب أليم يوم القيامة، فأراد أن يطهّر نفسه في الدنيا قبل أن يقبل على الله سبحانه .

١- أبو الحسن الندوي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص ٩١ .

٦- التوازن بين متطلبات الروح ومتطلبات الجسد :

مرّ بنا آنفا أن الرسول ﷺ أعطى التاجر درسا عمليا في الغش مبينا له أن الإسلام والغش لا يجتمعان . ونحن هنا أمام نموذج آخر في التربية ... فقد دخل الرسول ﷺ المسجد يوما ، فوجد حبلا ممدودا بين عمودين من أعمدة المسجد ... فسأل : لمن هذا الحبل ؟؟؟

ويأتي الجواب من الصحابة - رضي الله عنهم - انه لزينب ...

تستخدمه كساند لها إذا فترت عند صلاتها نافلة الليل ، فكان جوابه ﷺ (حلوه .... ليصل أحدكم نشاطه ، فإذا فتر فليقعد .) (١)

توجيه نبوى كريم ، فالاسلام لا يطلب من الأعمال الا ما يطيقها الانسان ((رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ)) (٢) ولقد عرف سيدنا محمد ﷺ أن الجسد يحتاج إلى الراحة كما يحتاج إلى الغذاء ....

لذا نراه ﷺ يقول : (إذا نعس أحدكم وهو يصلي فليرقد حتى يذهب عنه النوم ، فإنه إذا صلى وهو ناعس لا يدرى ، لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه .) (٣)

٧- التمثيل التربوى :

(يراد بالتمثيل تقديم الأفكار أو المعاني بصورة مثل يضرب لتجسيد تلك الأفكار ، فهو وسيلة تربوية تعليمية لتقريب ما كان

١- الامام محمد بن اسماعيل البخارى ، الصحيح ، كتاب التهجد بالليل ، باب ما يكره من التشديد في العبادة.

٢- سورة البقرة ، آية / ٢٨٦

٣- الامام محمد بن اسماعيل البخارى ، الصحيح ، كتاب الوضوء ، باب الوضوء من النوم.

بعيداً ، وإيضاح ماكان غامضاً . فالتمثيل يساعدنا على تقديم الأفكار المجردة بصورة محسوسة ملموسة يعرفها كل الناس أو أكثرهم على أقل تقديره (١)

من هذا المنطلق نجد سيدنا محمداً ﷺ يقدم لنا نماذج رائعة في هذا المجال ، سأكتفي بإيراد مثال واحد منها :

عن أبي موسى الأشعرى ـ رضي الله عنه ـ قال قال

(مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن ، كمثل الأترجة (٢) ، ريحها طيب ، وطعمها طيب ، ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن ، كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو ، ومثل المنافق الذى يقرأ القرآن ، كمثل الريحانة ، ريحها طيب وطعمها مرّ ، ومثل المنافق الذى لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة (٣) ، ليس لها ريح وطعمها مرّ .) (٤)

أول ما يلاحظ المتدبر لهذا الحديث النبوى الشريف أن الرسول ﷺ قد استعمل خامات البيئة الموجودة في عصره ، فجميع النباتات التي ذكرها ﷺ معروفة لدى أهل بيئته وعصره ، وهذا ما هو مطلوبٌ من المعلم عندما يريد أن يعطيَ أمثلةً توضيحيةً أن يختارها من البيئة التي يعيشها الطلاب ، فذلك أدعى لأن يدركوها ويعرفوها ، ومن ثمّ يؤتي ضرب المثل ثماره المرجوة منه .

---

١ ـ د . عبدالحميد الهاشمي ، الرسول العربي المربي ، ص ٢١٢

٢ ـ الأترجة : نوع من الحمضيات والفصيلة النارنجية ، ثمرها أملس البشرة ، عابق الخضرة ، (ادوارد غالب ، الموسوعة في علوم الطبيعة ، ج ١ ص ١٧)

٣ ـ الحنظل : نبات حولي شديد المرار ، يستعمل في الطب (ادوارد غالب ، المرجع السابق ، ج ١ ص ٣٣٠)

٤ ـ الامام محمد بن اسماعيل البخارى ، الصحيح ، كتاب فضائل القرآن ، باب أثم من رآى بقرآة القرآن

إننـــا بدراسة هذا المثل نجد أن الرسول ﷺ قد قسّـــم المؤمنين إلى أربعة أقســام (١) :

الأول : المؤمن الذى يقرأ القرآن ويعمل بما يبلغه لغيره، فهو كمثل "الأترجــة"، لها نفع غذائي يفيد الجسم، كما أن رائحتهـــا زكيـــة طيبـــة ... فهي تفيد من كان في جوارها وإن لم يذقها.

الثاني : المؤمن طـيّب القلــب ... ولكنـه لا يقرأ القــرآن إلا قليـــلا ... فيشبهــه الرسول ﷺ بالتمرة ... اذ أنها عظيمـة الفائــدة ... فهي طعام متكامل لما تحطه من عناصر غذائيـــة غنية بالفيتامينات (٢)، ولكنه حيث أنه لا يقرأ القرآن إلا قليلا، فهو قليل الفائدة لجـيرانه ...

الثالث : المنافق الذى يظهر خلاف ما يبطن، فهو يقرأ القرآن لكنّــه لا يتجاوز لسانه، فهو عـديم النفع اذ أنه خاوى القلـــب، فهو كالريحانة ظاهرها يغرى... اذ أنّ رائحتها طيبة، لكن طعمها مـرّ كل المرارة.

الرابع: المنافق الظاهر نفاقه للعيان، باطنه فاسد وظاهره أفسد منه، فهو كالحنظلة ليس لها رائحة ... كما أن طعمها مر كذلك.

١- د. عبدالحميد الهاشمي، الرسول العربي المربي، ص ٢١٦

٢- التمر من الثمار الغذائية الغنية بالأملاح المعدنية والفيتامينات. وحداتها الغذائية تبلغ ٨٥٪ متوسط تركيـــب لبابها المأكول: هيدرات الكربون ٧٨٪ ، بروتين ٢،٥٪ ، مواد دهنية ٣٪ مواد معدنية ١،٥٪ (ادوارد غالب، الموسوعة، ج ١ ص ٢٢٣)

إن الأمة التي رباها النبي ﷺ كانت أمة فريدة في تاريخ البشرية كلها ، لأنها انتقلت من عصر البداوة المطلقة إلى قيادة العالم في فترة وجيزة لا تكاد تحسب في تاريخ الأمم، وكان الجيل الأول الذى تربى على يد النبي ﷺ هو نفسه الجيل الذى تسلم زمام قيادة الحضارة البشرية، ولم يحدث في تاريخ البشرية مطلقا ، أن وجدت أمة لها كل مقومات الأمم الحضارية، في الجوانب الفكرية، والنفسية، والاجتماعية ، والاقتصادية ، والسياسية، والعسكرية مع الابداع الكامل في كل هذه الجوانب، إلا الأمة الإسلامية في مثل هذه الفترة الوجيزة.

(لقد التف حول النبي ﷺ رجال كل منهم أمة واحدة ، تصلح به دولة، وتقوم به حضارة، وينشأ به مجتمع، من أمثال : أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي ، وخالد ، وسلمان ، وكل منهم يجد مثله الأعلى في رسول الله ﷺ ، وهذا الجيل البدوى، الذى رباه النبي ، هو الجيل الذى انتقل من البداوة المطلقة إلى قيادة البشرية، تلك هي جوانب الإعجاز. (٢)

(‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌ ‌)

١ـ أبو الحسن الندوى، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص ١١٩

٢ـ د. أحمد خليل ، قضايا معاصرة، ص ١٤٢

موقف الرسول ﷺ من العلم والتعليم

شاءت إرادة الله سبحانه وتعالى النافذة، وقضت حكمته البالغة، أن تكون بلاد العرب مهد ومهبط الدعوة الاسلامية، وأن يكون سكان هذه البلاد وهم العرب، قادة الناس إلى الخير الذى أراده الله لهم، اذ بعث سيدنا محمد ﷺ وهو العربي القرشي في هذه البيئة التى عاش فيها وترعرع، ومن بين قوم اشتهروا بالبلاغة والفصاحة.

فكانت بعثته ﷺ في هؤلاء العرب نعمة عظمى امتن الله بها عليهم، إذ لم يكونوا قبلها شيئا يذكر في التاريخ، فأصبحوا بعدها كل شيء في التاريخ، ذلك لأنهم قبل البعثة المحمدية لم يكن لديهم ما يقدمونه للانسانية.

ولعلنا نتساءل لماذا اختارهم الله ليكونوا حملة الرسالة العامة ورشحهم للدفاع عن دينه: هل لديهم من المؤهلات ما يجعلهم أهلا لهذا الشرف وذلك الفضل.؟؟؟

(كانت الأمة العربية قبل نزول القرآن، قد انتشر فيها وباء الجاهلية، وخيم عليها ظلام الكفر، وعاشت في ضلال الباطل، ولم تبق ناحية من نواحيها: اجتماعية، واقتصادية، وسياسية، ودينية، وخلقية، إلا وقد امتدت إليها يد الموت الذى يحلق الأمم، ولحق بها داء العمى فتاهت بها الطرق، وضلت سواء السبيل، إلا أن هذا الميت كان يستعد للبعث، ويتطلع للحياة، وأودع الله

فيـه من الصفات ما أهـله لحمل هذه الرسالة الخالدة وإن كانـت هـذه المؤهـلات الخطيرة قـد انحرفت عن غايتها ، فأصبحت الشجاعة للاعتـداء ، والحرية للكبرياء ، والكرم للتفاخر والتظاهر ، والوفاء بالعهد وسيلة لحروب طلحـنة تضيع فيها دماء الأبرياء ، فلا غـرو أن أمسـك القرآن بزمامهـا وقادها لنصرة الحق ، ورفعة دين اللـه .....) (١)

والمتتبع لتاريخ العرب بعد بعثة المصطفى ﷺ يجـد أنهـم انتقلوا بفضل الدين الاسلامي — من دائرة حياتهم الضيّقة إلى رحابة الإنسانية الفسيحـة الأرجاء التي مكّنتهم بعد ذلك من قيادة الانسانية، وأعطتهم حـق الإمامة العالمية، فإذا بنا نراهم في فترة قصيرة من عمر الزمن والشعوب أدلاء رُكّب الحضارة وقادتها ، وأصبحوا حمالـي ألويـة الخليقة، وبذا ساروا السادة الذين اختارهم الله سبحانه — بعلمه وقدرتـه — ليكونوا شهداء عـلى الإنسانية، قال تعالى :

((لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ)) (٢)

ولعلنا نلاحظ أن آيات كثيرة من القرآن الكريم ، حرصت على بيان أميـة سيدنا محمـد ﷺ فهو لم يكن لديه علم سابق ، اذ لم يكـن ﷺ يتطلع إلى أن يلقى إليه مثل هذا العلم ، ((وَمَا كُنتَ تَرۡجُوٓاْ أَن يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبُ إِلَّا رَحۡمَةً مِّن رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾)) (٣)

١ـ د . عبدالفتاح عاشور ، منهج التربية في تربية المجتمع ، ص ٥١ ـ ٥٢
ـ أبو الحسن الندوى ، ماذا خسر العالم ، ص ٥٢

٢ـ سـورة الحـج آيـة / ٧٨

٣ـ سـورة القصص آيـة / ٨٦

(١)
((مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا))

وكذلك تنص هذه الآية على أمية الرسول ﷺ صراحة ((ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾))(٢)

وكما مر بنا في ثنايا هذا البحث ، أن العرب قبل البعثة المحمدية كانوا هم أهل الفصاحة والبلاغة واللسن ، فقد اكتملت لغتهم ونضجت ووصلت إلى أعلى مراتب الرقي اللغوى ، فكانت أسواقهم في عكاظ ومجنة وذي المجاز ، مجالاً واسعاً ، وميداناً فسيحاً لصولة اللغة والأدب في ثوب الخطب ، وإطار الشعر الفصيح الذى اشتهروا به ، بين من عاصرهم من الأمم .

ومن المعلوم أن الله سبحانه وتعالى عندما يبعث رسولاً في قوم ما ، يبعثه ويؤيده بمعجزة من جنس ما اشتهر به قومه ، فقد كانت معجزة سيدنا موسى - عليه السلام - من جنس ما اشتهر به المجتمع المصرى الذى بعث فيه ، وهو السحر ، وزوده بعصا تأكل ما يأفك السحرة ، اذ أنها تتحول - بقدرة خالقها سبحانه - إلى حية تسعى ، فهو لم يكن ساحراً ، ولكنه نبي مرسل مزود بمعجزة

١- سورة الشورى آية / ٥٢

٢- سورة الأعراف آية / ١٥٧

من عند الله ، لذلك عندما تحداه فرعون وجمع له السحرة ... كانت المعجزة أن هؤلاء السحرة سجدوا لله سبحانه وتعالى ، اذ عرفوا — وهم أصحاب المهنة — أن هذا ليس من صنع بشر ، وأن ما جاء به سيدنا موسى — عليه السلام — فوق قدرة الساحر أو حتى السحرة ، لهذا سارعوا إلى الايمان برب موسى — عليه السلام — ، ولم يكترثوا بوعيد فرعون وتهديده لهم بشتى صنوف العذاب .

كذلك عندما بعث الله سبحانه سيدنا عيسى — عليه السلام — كانت البشرية آنذاك قد قطعت شوطاً عظيماً في عالم الطب ... لذا كانت معجزة سيدنا عيسى — عليه السلام — من جنس ما اشتهر به قومه وشاع بينهم ، فكان يصنع من الطين كهيئة الطير ، ثم ينفخ فيه ، فإذا بها تطير باذن الله ، وعندما يمرر يديه على جسد الأبرص يقوم معافى من هذا المرض ... كل ذلك مقيد بإرادة الله الحكيم العليم ... لذا كانت معجزته — عليه السلام — مخرسة للأطباء في زمانه ، فآمنوا بأن ما جاء به عيسى — عليه السلام — هو شيء آخر غير ما يعرفونه ويمارسونه ، وأنه شيء من عند الله سبحانه .

أما سيدنا محمد ﷺ فقد نشأ في قوم بلغوا الذروة في البلاغة والفصاحة ، فكانت معجزته ﷺ أن أنزل الله عليه القرآن ، وهو نبي أمي لا يقرأ ولا يكتب ، فسمع منه كل من قرأ وكتب ، وكان ذا فصاحة وبلاغة ولسن ، فأطرق وأدرك أن هذا القرآن ليس من صنع البشر ، وأنه ليس بمقدور أحد مهما أوتي من قوة الكلم أن يأتي بمثله ، فتحداهم أن يأتوا بمثله جملة ، وعندما عجزوا وفشلوا تساهل

معهم لعلمه ـ سبحانه وتعالى ـ بعجزهم ، فتحداهم أن يأتوا بعشر سور مثلـه ، وعندما ظهر عجزهم واضحـا للعيان تحداهم أن يأتوا بسورة واحـدة ، بل مضى في التحدى شوطا بعيدا عندما تحداهم أن يأتوا بآيـة واحـدة مثله ، عجزوا تماما وفشلوا جميعا شعراؤهم ، وخطباؤهم وهم أصحـاب المهنة .... ذلك ليلزمهم الله الحجـة وهـو العزيز الحكيم ، فيقول :

((قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴿٨٨﴾))

هذا النبي الأمي الذى لم يدرس علـى أحد من البشر ، ولم يتعلـم من أحـد ، نجـده أشـد الناس وأحرصهم على تعليـم صحابتـه ومحو أميتهم ، فيأمرهم بالتعلم والتعليم ، ولم يكتف بذلك ، بل نفـذ كثيرا من الأمور المادية الحسية في مسألة التعليم منها :

١ـ ما إن بدأت طلائع الإسلام تصل المدينة المنورة ، مهاجـر المسلمين الجـديد ، ويقبل سكانها على الدين الجـديد ، حتى يرسـل الرسول ﷺ مصعب بن عمير ، وعبد الله بن أم مكتوم ـ رضوان الله عليهم ـ إلى هذا المجتمع الجـديد ـ بعد بيعة العقبـة ـ ليعلموا الناس هناك أمور دينهم . (٢)

٢ـ في غـزوة بدر الكبرى جعل الرسول ﷺ فداء الأسـير من كفـار قريش الذى يتقن الكتابة ، ولا يمتلك مالا ، أن يعـلم عشرة صبية مـن صبيـان المسلمين الكتابـة (٣) ، فكانت هذه الحملة أول حملـة جماعيـة لمحـو الأميـة في المجتمع الاسلامي في عهد الرسول ﷺ

١ـ سـورة الاسـراء آيـة / ٨٨

٢ـ احمـد المقريزى ، إمتاع الأسماع ، جـ ١ ، ص٣٤ بتحقيق : شاكر .

٣ـ ابن قيم الجوزيـة ، زاد المعـاد ، جـ٢ ص ٦٨٧

ـ احمـد المقريزى ، المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ١٠١

٣- وفي خبر بئر معونــــة، أن رسول الله ﷺ أرسل سبعين شاباً من شباب المسلمين الذين يعرفون القراءة ، وعرفوا في مجتمع المدينة المنورة بالقراء، إجابة لدعوة تقدّم بها عامر بن مالك، ليعلموا أصحابه، غير أنه غدر بهم، وتكلف رسل الهداية هؤلاء حياتهم في سبيل الله وفي سبيل نشر الدعوة الإسلاميـــــة.(١)

٤- لم يكتف الرسول ﷺ بذلك بل حثّ على تعلم اللغـــات الأجنبيـــة ، فقـد ورد في سيرة الصحابي الجليل زيد بن ثابت - رضي الله عنـه - أنه كان يكتب للملوك ويجيب بحضرة النبي ﷺ وكان ترجمانه بالفارسية والرومية والقبطية والحبشية، تعلم ذلك بالمدينة من أهل هذه الألســـن .(٢)

كمـــا ورد في الاستيعـــاب(٣) أنه كانت ترد على الرسول ﷺ كتب بالسّريانيـــة، فأمر زيد بن ثابت - رضي الله عنـه - فتعلمها في بضعة عشر يومـــا . كما ورد أن النبي ﷺ قال لزيد بن ثابت : (إنـــي والله ما آمـــن يهود على كتابي" قال : فما مرّ بي نصف شهـر حتى تعلمته له، قال : فلما تعلمته كان إذا كتب إلى يهود كتبت إليهم، وإذا كتبوا إليه قرأت له كتابهم .(٤))

١- أحمد المقريزي، امتاع الأسماع، جـ ١ ، ص ١٧١

٢- الخزاعي التلمساني ، تخريج الدلالات السمعية، ص ٢٠٨

٣- الامام محمد بن عيسى الترمذي، السنن، جـ ٤ ، ص ١٦٧

ـــ يوسف بن عبد البر، الاستيعـــاب، جـ ٢ ، ص ٥٣٨

ـــ محمد بن سعـد ، الطبقات الكبرى، جـ ٢ ، ص ١١٥

ـــ الخزاعي التلمساني ، المرجع السابق، ص ٢١٠

هذا ما كان من أمر الرجال وتعليمهم على عهد الرسول ﷺ ، فما هو الحال بالنسبة للنساء ؟؟؟

لقد أمر الرسول ﷺ الشفاء – أم سليمان بن ابي حثمة – رضي الله عنها – أن تعلم حفصة بنت عمر بن الخطاب – زوج النبي ﷺ ورضي الله عنها – رقية النملة كما علمتها الكتابة قائلا : (ألا تعلمين هذه رقية النملة كما علمتها الكتابة.) (١)

والاسلام عندما أناط التكليف بالرجال أناطه أيضا بالنساء ، فالمرأة كالرجل مسئولة أمام الله عز وجل عن تطبيق أحكام الشريعة فيما فرض عليها من العبادات ، فإذا كان ذلك كذلك ، كان لها الحق ، بل عليها واجب تعلم الأمور التى لا تتحقق العبادة إلا بتعلمها .

ولقد كان من اهتمام الرسول ﷺ بتعليم النسوة أن جعل لهن مجلسا يجلس إليهن فيعلمهن أمور دينهن . ففي صحيح البخارى عن أبي سعيد الخدرى – رضي الله عنه – قال قالت النساء للنبي ﷺ غلبنا عليك الرجال ، فاجعل لنا يوما من نفسك ، فوعدهن يوما يعظهن فيه . فوعظهن وأمرهن ، فكان فيما قال لهن : ما منكن امرأة تقدم ثلاثة من ولدها إلا كان لها حجابا من النار ، فقالت امرأة واثنين ؟؟ فقال : واثنين .) (٢)

١– الخزاعي التلمساني ، كتاب تخريج الدلالات السمعية ، ص ٧١

٢– محمد بن اسماعيل البخارى ، كتاب الصحيح ، كتاب الجنائز ، باب فضل من مات له ولد فاحتسبه .

ولقد لاحظ الإمام البخارى المعنى الجيد في هذا الحديث لذا جعل عنوان هذا الحديث " باب هل يجعل للنساء يوم على حدة في العلم ". ؟ وكان للمرأة المتعلمة أن تستفسر عما يشكل عليها مما تتعلم. ففي صحيح البخارى عن ابي ملكية أن عائشة زوج النبي ـ ﷺ قال : (من حوسب عذب ، فقالت أوليس يقول الله تعالى " فسوف يحاسب حسابا يسيرا " ؟؟ قالت فقال : إنما ذلك العرض ، ولكن من نوقش الحساب يهلك .) (١)

ولعلنا نستطيع أن نستنتج مما مر بنا المغازى التربوية التالية :

أ / ان الرجل والمرأة سواء في مشروعية طلب العلم، اذ أن عليها أن تتعلم كل ما تحتاج إليه حتى تستطيع عبادة الله وطاعته كما يجب، وأن يكون مقصوراً على ما يتناسب وفطرتها وما تحتاجه فعلا .

ب/ أن الرسول ﷺ فصل في تعليمه بين الرجال والنساء ، فجعل لهن مكاناً ويوما يأتي إليهن لتعليمهن أمور دينهن ووعظهن .

جـ/ أن المرأة من الصحابيات كانت تناقش وتسأل عما كان يشكل عليها مما تتعلمه حتى تكون على بينة من دينها .

ـ ويمضي الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ نفس سيرة سيدنا محمد ﷺ حينما كان يرسل إلى البدو

١ـ محمد بن اسماعيل البخارى، كتاب الصحيح ، كتاب العلم، باب من سمع شيئا فراجع حتى يعرفه .

من يعلمهم ، كما كان ـ رضي الله عنه ـ أول من فرض للمعلمين والمتعلمين أعطيات في ديوان العطاء.(١)(٢)

هذا ولقد ورد عن الرسول ﷺ أحاديث كثيرة في الحث على طلب العلم،(٢) من ذلك أن النبي ﷺ خطب ذات مرة فأثنى على طوائف من المسلمين خيرا، ثم قال: (مابالُ أقوامٍ لا يفقهون جيرانَهم ولا يعلّمونهم ولا يعظونهم ولا يأمرونهم ولا ينهونهم، ومابالُ أقوام لا يتعلمون من جيرانهم ولا يتفقهون ولا يتعظون، والله ليعلّمَنّ قومٌ جيرانَهم، ويفقهونهم ويعظونهم ويأمرونهم وينهونهم، وليتعلمَنّ قومٌ من جيرانهم ويتفقهون ويتعظون، أو لأعاجلَنّهم العقوبةَ، ثم نزل، فقال قوم من ترونه عني بهؤلاء؟؟؟ قال: الأشعريين هم قوم فقهاء ولهم جيران جفاة من أهل المياه والأعراب، فبلغ الأشعريين، فأتوا رسولَ الله ﷺ، فقالو: يارسول الله ذكرت قوماً بخير وذكرتنا بشرٍّ فما بالنا؟؟؟ فقال: ليعلمن قومٌ جيرانَهم وليفقهنهم وليعظنهم وليأمرنهم ولينهينهم، وليتعلمن قومٌ من جيرانهم ويتعظون ويتفقهون، أو لأعجلنهم العقوبة في الدنيا، فقالوا: يا رسول الله أيعظن غيرنا؟؟ فأعادوا قولهم أيعظن غيرنا؟؟ فقال ذلك أيضا، فقالوا أمهلنا سَنةً، فأمهلهم سنةً ليفقهوهم ويعلموهم ويعظوهم، ثم قرأ ـ ﷺ هذه الآية: لعن الذين كفروا من بني اسرائيل ....).(٣)

١ـ محمد بن النديم، الفهرست، ص ٦٦

٢ـ القاسم بن سلام، الأموال، ص ٣٧١ ـ ٣٧٢، بتحقيق د. هراس

٣ـ يوسف بن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، ص ١ ـ ١٠

٤ـ الفاسي المغربي، جمع الفوائد، ج ١، ص ٤٣

من كل ماتقدّم يظهر لنا أن المصطفى ﷺ حرص أشد الحرص على دفع عجلة العلم والتعليم في مجتمع الصحابة ، أولئك الذين ربوا في حجره ﷺ ورعاهم بنفسه، فكانوا بحق خير أمة أخرجت للناس، ذلك لأن سيّدنا محمد ﷺ كان إنسانا تجمّع فيه مـا تفرق في عالم البشر كله من أمجادٍ ومؤاهب وخيراتٍ، إنها صورة لأعلى قمة من الكمال يمكن أن يبلغها بشر، فلا غرو إذا كان الذين قبسوا منه، وداروا في فلكه، وعاشوا معه، واهتدوا بهديه، وساروا على نهجه، رجالا يحيون بالعلم وللعلم، ذلك لأنه أتيح لهم مالم يتح لغيرهم من منابع الصفاء، ووسائل الارتقاء، وهم قد التقوا بسيدنا محمد ﷺ فكانوا له تلاميذ مخلصين، شفّت طباعهم وزكت بصحبته ﷺ نفوسهم ، حتى أشرق عليها من أنوار الالهام ماجعلها تنطق بالحكمة وكلمة الحق، رضي الله عنهم وأرضاهم وجعل الجنة مقرهم ومثواهم.

تربية العقيدة تربية للسلوك

إنّ الدارس لتاريخ العرب قبل البعثة المحمدية، يقع على الفساد المستشرى في مظاهر الحياة التي عاشها الانسان في ذلك المجتمع، وخاصة فساد العقيدة. ولعب هذا الفساد دورا فعّالا في حياة أولئك الناس، وأثّر تأثيرا كبيرا في بيئتهم الأخلاقية والاجتماعية والتربوية والسياسية والاقتصادية، وقد أدى هذا الخلل في العقيدة، إلى تكوين عادات وتقاليد منحرفة ساهمت في تحديد مفاهيم خاطئة للقيم والموجودات المحيطة بهم في بيئتهم، فانحرفت الفطرة المودعة في النفس البشرية، التي قال عنها سبحانه:

((وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾)) (١)

ولقد اعتنى المصطفى ﷺ في البيئة المكية بتربية العقيدة، اذ نراه ﷺ أول ما يبدأ معهم يبدأ بهذه الناحية، فيصعد على جبل الصفا وينادى بأعلى صوته أهل مكة للايمان بالله سبحانه قائلا

يابني عبدالمطلب، يابني فهر، يابني كعب، أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقيّ ؟؟؟ قالوا: نعم، ما جرّبنا عليك كذبا. قال:

١ـ سورة الأعراف آية / ١٧٢

إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد .)[1]

لقد طرح رسول الله ﷺ الثقة بنفسه على قريش برفعه علَمَ الأمانة في وجوههم، لأنه كان مطمئنا واثقا أن حياته هي من الصفاء، بحيث لم يشبها ما يجعل رأي قريش فيه قبيحاً.

لذا أعلن لهم ﷺ أن حياته الصافية الشريفة تثبت لهم صدق مايقول.[2]

ثم نجده ﷺ يكرر نفس الموقف مع قومه، والأسلوب نفسه، إذ يقف فيهم خطيباً للمرة الثانية قائلا :

(الحمد لله، أحمده، وأستعينه، وأومن به، وأتوكل عليه،

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له. ثم قال : إنّ الرائدَ لا يكذب أهلَه، والله الذى لا إله إلاهو، إني رسولُ الله إليكم خاصة وإلى الناس عامة. والله لتَموتُنَّ كما تنامون، ولتُبعثُنَّ كما تستيقظون، ولتحاسبون كما تعلمون، وإنها الجنة أبداً، أو النار أبدا.)[3]

من خلال الخطبتين السابقتين نلاحظ أن المصطفى ﷺ يحاول فيهما أن يشرح لقومه ـ قريش ـ المهمةَ التى بعثه اللهُ بها إليهم خاصةً، ثم إلى الناس عامة، وأن أول ما يدعو

١ـ الامام مسلم بن الحجاج ، الصحيح ، كتاب الايمان ، باب قوله تعالى " وأنذر عشيرتك الأقربين . "

ـ اسماعيل بن كثير ، السيرة النبوية ، جـ ٢ ، ص ٤٥٦

ـ علي بن الأثير ، الكامل في التاريخ ، جـ ٢ ، ص ٦٠

ـ محمد بن أحمد الذهبي ، السيرة النبوية ، ص ٨٥

٢ـ د . عبدالحليم محمود ، الايمان ، ص ١٠

٣ـ علي بن الأثير ، المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٦١

إليه ﷺ هو تخليص النفس البشرية من عبادة غير الله سبحانه، حتى تتحرر من ربقة العبودية. وتحرير النفس البشرية من عبادة غير الله يعني تصحيح العقائد، ووضعها في مسارها الصحيح.

فما هي العقائد؟؟؟؟؟؟؟

(العقائد هي الأفكار التي يؤمن بها الانسان وتصدر عنها تصرفاته وسلوكه.) (١)

و (الهدف منها تقديم تفسير للكون ولوجود الانسان، وذلك كله ضروري، إذ أنه بدون العقيدة يستحيل على الفرد أن يتكيف مع الحياة، وأن يتقبل وجوده ويعمل على استمرار هذا الوجود، حيث يؤدي الفراغ العقدي عند الفرد إلى الاضطراب العقلي والنفسي، وقد يؤدي به أحيانا إلى الجنون، وأحيانا إلى الانتحار) (٢)

لقد عجزت العقائد البشرية المادية عجزاً مطلقا عن تقديم تفسير مغزى للحياة الانسانية وجدواها، كما فشلت هذه العقائد في إيجاد معنًى للوجود البشري، أو تحديد هدف أو غاية تليق بالإنسان، أو حتى ترضي نفسه، أو تشبع آماله وطموحاته التي تلح عليه في ضرورة الارتفاع عن الوجود الماثل لوجود الحيوان. (٣)

١- عبدالرحمن النحلاوي، أصول التربية الاسلامية، ص ٦٩

٢- د. مصطفى حلمي، الإسلام والمذاهب الفلسفية، ص ١٥٦

٢- د. فاروق الدسوقي، مفاهيم قرآنية حول حقيقة الإنسان، ص ١٠

٣- المرجع السابق، نفس المكان.

- د. عبدالغني عبود، العقيدة الإسلامية والأيدلوجيات المعاصرة، ص٣٤ ١

وعلى العكس من ذلك، نجد أن حياة الانسان في ظل الايمان، مفهومة المقدمات، معلومة النتائج، لا تقف أمام الانسان أية ألغاز أو أحاجي تعيق فهمه لدوره الذى اختاره الله له على هذه الأرض، فهو يعيش آمنا مطمئنا، وهذا يؤدى إلى تماسك وترابط الأفراد تحت ظلال هذه العقيدة التى اعتنقوها. وإذا شعر الفرد بالاطمئنان والراحة النفسية كانت تصرفاته في واقع حياته صورة منعكسة عن عقيدته. (١)

ولعلنا نستطيع أن نفرّق بين نوعين من العقائد هما:

(القسم الأول: يمثّل العقيدة الصحيحة، وهي تلك التى جاءت بها الرسل الكرام في أى زمان أو مكان، وهي عقيدة واحدة لأنها منزلة من العليم الخبير، ولا يتصوّر أن تختلف من رسولٍ إلى رسول، ومن زمان إلى زمان.

(والقسم الثاني: ويشمل العقائد الفاسدة على كثرتها وتعددها. وفسادها ناشئ من كونها نتاج أفكار البشر، ومن وضع عقلائهم ومفكريهم، ومهما بلغ البشر من عظم الشأن فإن علمهم يبقى محدودا مقيدا بقيود متأثرا بما حولهم من عادات وتقاليد وأفكار) (٢)

١ـ د. محمد بيصار، العقيدة والأخلاق، ص ٥٤

ـ د. فاروق الدسوقي، مفاهيم قرآنية، ص ٩

ـ السيد سابق، عناصر القوة في الاسلام، ص ١٦

٢ـ د. عمر الأشقر، العقيدة في الله، ص ١١

فالعقائد التي جاءت نتيجة تصورات البشر عن أمور وشئون الحياة، تأتي ناقصة باهتة الأضواء، بل أكثر من ذلك فهي تأتي خاطئة ومحرفة، ذلك لكونها وضعية بشرية، كما أنها ليست ثابتة بل هي دائمة التغير، لتغير الأهواء البشرية.

أما العقيدة الصحيحة، وهي العقيدة الاسلامية، فقد نزلت من عند الله وبوحي منه سبحانه، على سيدنا محمد ﷺ ودستورها القرآن العظيم وسنة رسوله الكريم ﷺ لهذا فهي ثابتة بثباتهما، وصالحة لكل زمان ومكان.

ولعلنا نلاحظ ان الخطوط العريضة الأساسية لهذه العقيدة الجديدة هي :

أ/ الايمان بالله الواحد.

ب/ الايمان برسول الله ﷺ.

جـ/ الايمان باليوم الآخر. (١)

وهذه الخطوط بينها الرسول ﷺ في خطبته الثانية التي مرت بنا آنفا، وهي أهم ما أكد عليه المصطفى ﷺ أثناء إقامته في مكة المكرمة.

ذلك لأن العقيدة الغيبية النظرية مرتبطة بالجانب العملي التشريعي، اذ أن الاسلام عقيدة وشريعة، إيمان وعمل.

فعقيدة التوحيد تقوم على الايمان ثم العمل.

١- محمد منير الغضبان، المنهج الحركي للسيرة النبوية، ص ٤٤

فالعقيدة (الاسلامية ليست نظرية تحفظ، وليست لاهوتاً يدرّس، وانما هـي واقع سلوكي معيّن لا بـد أن يرى أثره في واقع الأرض.) (١)

والراحة النفسية التي يجدها المسلم في نفسه مردّها إلى الإيمان بالله تعالى، إذ (أن الايمان بالله تعالى يحمي المؤمن من أن يتسرّب إليه اليأس، أو يقعد به القنوط في أي حال من الأحوال، وإن أوصدت في وجهه كل أبواب الحياة، أو ضاقت عليه مسالك العيش، لأن له من الثقة بربه، وحسن الاعتماد عليه، ما يجعله مطمئن القلب ناعم البال.) (٢) لذلك نجد أن الايمان بعقيدة التوحيد، يربّي في النفوس البشرية ما يمنعها من الانحراف، وما يسمو بها إلى درجة الكمال، ومن ثمّ يدفعها إلى الإيمان ثم إلى العمل المتمثّل في العبادات بأنواعها، وهي الأعمال الصالحة سواء المفروضة عليه أو التي تقوم بها حياته كإنسان خلقه الله في أحسن تقويم.

ولقد جاء (المستوى للكمال الانساني في مجال العبودية لله عزّ وجلّ متمثلا في سيدنا محمد ﷺ كفرد حقّق عبوديته الفردية لله عز وجل، والمستوى المطلق للكمال الإنساني بالنسبة للمجتمع في جيل الصحابة – رضوان الله عليهم – ، الذين أقاموا مجتمع الخلافة بتحقيق عبوديتهم الاجتماعية لله عز وجل على أساس العبوديات الفردية لكل منهم يتفاوتون فيها بالقياس إلى

١– محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، جـ ٢، ص ٥٦

٢– على الشربجي، قبسات من هدى الرسول الاعظم ﷺ، ص ٢١

الأســوة الحسنة للانسانية جمعــاء وهو سيدنا محمــد ﷺ) (١)

ويظهر هذا واضحــا من موقف الرسول ﷺ وصحابته ـ رضوان اللــه عليهم ـ من إغراءات المجتمع الجاهلي الذى كانوا يعيشون فيــه في بيئة مكــة المكرمة، حيث عرض الجاهليون على الرسول ﷺ أن يجمعوا لــه من المال مايريده إن شــاء المال، أو يملكونــه عليهم إن أراد الملك ؟؟؟

لكن الايمان بالله الواحــد الأحــد يحول بينه وبين كل مــا يريــدون، فيرفض كل هذه الإغــراءات التى جــاء بهــا زعماء قريش رفضــا باتا منقطع النظير، بل ويصر على أن تكون العبودية للــه وحــده سبحانه وتعالى . (٢)

من خلال هذه الفترة تبرز طلائع المؤمنين الذين رباهم المصطفى ﷺ . يتلــقون الأذى تلو الأذى من قريش، حتى كان أبو جهل إذا سمــع برجــل قــد أسلم، له شرف ومنعــة، أنبــه وأخزاه، وأوعده ببالغ الخسارة الفادحــة في ماله وتجارته، وإن كان ضعيفا ضربــه وأغرى بــه السفهاء من القوم. (٣) وما لقيــه عثمان بن عفــان من عمه، ومصعب بن عمير من أمــه، وبلال بن رباح من سيده أمية بن خلف، وعمــار بن ياســر (٤)، يعطينا صــورة واضحــة عن مدى تأثــير العقيــدة في هذه النفوس الطيبة حتى صبرت على كل هذا البلاء الذى أنزله بهــا من المشركين .

١ـ د . فــاروق الدسوقي ، استخلاف الإنسان في الأرض ، ص ٥٣

٢ـ عبدالملك بن هشــام ، السيرة النبوية ، حـ ١ ، ص ٢٦٥

٣ـ المرجــع الســابق ، ص جـ ١ ، ص ٣٢٠

٤ـ صفي الرحمن المباركفورى ، الرحيق المختوم ، ص ١٠١ ـ ١٠٤

ولقد كان ايثار المصطفى ﷺ للحياة الآخرة على الحياة الدنيا ، هو المنهاج الذى ربى رسول الله ﷺ نفسه به أولا ، ثم أصحابه من بعده ، ويبدو هذا واضحا في إجابته ﷺ على عمه قائلا :

(ياعم : والله لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في يسارى ، على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله ، أو أهلك فيه ، ما تركته .)(١) بكل هذا الاصرار على الحق ، وبكل الثقة بالله التي لاتزعزعها الأعاصير ، تصدر هذه الكلمات فتقع في نفس أبي طالب موقع الرحمة والرأفة بابن أخيه ، فيجيبه قائلا : (إذهب يابن أخي ، فقل ما أحببت ، فوالله لا أسلمك لشئ أبدا .)(١)

ولعلنا نستطيع أن نستخلص من خطبتي الرسول ﷺ في مكة فى أوائل دعوته لقومه ــ قريش ــ إلى الايمان بالله ، ثم الايمان به ﷺ رسولا لهم ، ثم الايمان بيوم القيامة ، الأمور التالية :

١ــ أن التربية الاسلامية ينبغي أن تتم عن طريق التدرج ، وأن اهتمامها الأول يكون بتربية العقيدة وتصحيح مسارها من كل إنحراف أو شائبة تشوبها .

٢ــ ان العلم لابد وأن يتبعه العمل الصالح ، فالايمان والعمل مرتبطان ببعضهما ارتباطا وثيقا ، إذ أن الإيمان هو (الاقرار باللسان ، والاعتقاد بالقلب ، وهو طمأنينة النفس إلى صدق

١ــ عبدالملك بن هشام ، السيرة النبوية ، جـ١ ، ص ٢٦٦

ــ محمد احمد الذهبي ، السيرة النبوية ، ص ٨٥

ما حصل الاقرار به، والعمل بالأعضاء بمقتضى ما صدّق به باقراره واعتقده بقلبه. (١)

ولعلنا نلاحظ أن السور المكية كان درسها الوحيد درس العقيدة، إعدادا لمعركة لا إله إلا الله، حتى تترسخ قواعد التوحيد في النفوس، فيأتي بعد ذلك دور التشريعات والتنظيمات التي نزلت بها السور المدنية في المجتمع المدني، لتأسيس المجتمع الايماني بعد تصحيح مسار العقيدة. (٢)

على أن الرسول ﷺ لم يترك في المدينة المنورة محاولات إشعال فتيل الايمان وترسيخ العقيدة في نفوس أصحابه، (٣) فنراه يؤكد ذلك في أول خطبة له في المدينة المنورة، وفي أول جمعة صلاها بالمدينة المنورة في سالم بن عوف، حيث قال ﷺ:

(الحمد لله أحمده وأستعينه، وأستغفره وأستهديه وأومن به ولا أكفره، وأعادي من يكفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، أرسله بالهدى والنور والموعظة على فترة من الرسل، وقلة من العلم، وضلالة من الناس، وانقطاع من الزمان، ودنو من الساعة، وقرب من الأجل، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصه فقد غوى وفرط وضل ضلالا بعيدا.

(وأوصيكم بتقوى الله، فإن خير ما أوصى به المسلم المسلم أن يحضه على الآخرة، وأن يأمره بتقوى الله، فاحذروا ما حذركم الله من

١- عبد الرحمن بن الجوزي، نزهة الأعين النواظر، ص ١٤٥

٢- سليمان الخطيب، أسس مفهوم الحضارة الإسلامية، ص ١٢٤

٣- محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، ج ٢، ص ٣٠

نفسه، ولا أفضل من ذلك نصيحة ولا أفضل من ذلك ذكرا ،

وأن تقوى الله لمن عمل به على وَجَلٍ ومخافةٍ من ربّه عون

صدق على ما تبتغون من أمر الآخرة ومن يصلح الذى بينه وبين

الله من أمره في السر والعلانية، لا ينوى بذلك إلا وجه الله يكن له

ذكرًا في عاجل أمره، وذخرا فيما بعد الموت، حين يفتقر المرء

إلى ما قدّم، وماكان سوى ذلك يودّ لو أنّ بينه وبينه أمدا

بعيدا (ويحذركم اللهُ نفسه والله رؤوف بالعبادْ) .

(والذى صدق قوله وأنجز وعده، لا خلف لذلك فإنه يقول

عز وجل (ما يبدّل القولُ لدى وما أنا بظلّام للعبيد)

(فاتقوا الله في عاجل أمركم وآجله، في السر والعلانية فإنه

من يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا ، ومن يتق الله فقد فاز

فوزًا عظيما ، وإن تقوى الله يوقى مقته، ويوقي عقوبته، ويوقي سخطه،

وإن تقوى الله يبيّض الوجوهَ ويرضى الربَّ ويرفع الدرجة.

(خذوا بحظكم ولا تفرطوا في جنب الله، قد علمكم اللهُ كتابه

ونهجَ لكم سبيله، ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين .

(فأحسنوا كما أحسن الله إليكم، وعادوا أعداءه، وجاهدوا في الله

حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين، ليهلك من هلك عن بينة،

ويحيا من حيّ عن بينة ، ولا قوّة إلا بالله.

(فأكثروا ذكر الله واعطوا لما بعد اليوم ، فإنه من يصلح ما بينه وبين

الله يكفهِ اللهُ ما بينه وبين الناس، ذلك بأن الله يقضي على الناس ولا

يقضون عليه، ويملك من الناس ولا يملكون منه. الله أكبر، ولا قوة إلا

(١)
بالله العلي العظيم .)

وتحليل عناصر الخطبة يظهر لنا مايلي :

١ـ البدء بحمد الله والاستعانة به واستغفاره .

٢ـ الشهادتان ، وأن ماجاء به الرسول ﷺ هو الهدى والنور والموعظة .

٣ـ بيان الأسباب لبعث الرسل ، لقلة العلم ، وضلالة الناس .

٤ـ بيان أن طاعة الله ورسوله فيها الرشد والنجاة .

٥ـ توصية المسلمين بتقوى الله ، ثم اعمال الفكر فيما يقدم المرأ لآخرته .

٦ـ الدعوة إلى تقوى الله في العاجل والآجل .

٧ـ أخذ المسلم بحظه من الدنيا ، ولكن دون تفريط في جنب الله سبحانه وتعالى .

٨ـ أن كتاب الله سبحانه وتعالى فيه توضيح سبيل الله .

٩ـ دعوة المسلمين إلى الإحسان فيما بينهم .

١٠ـ الأمر بمعاداة من عادى الله عز وجل .

١١ـ الأمر بالجهاد في سبيل الله .

١٢ـ الدعوة للعمل لما بعد الدنيا ، والإكثار من ذكر الله عز وجل .

١٣ـ دعوة المسلمين ليصلحوا ما بينهم وبين الله سبحانه وتعالى .

من كل ما تقدم يظهر لنا أن الرسول ﷺ أكد في خطبته هذه ، ما كان يؤكده دائماً وأبداً من ارتباط الانسان

١ـ محمد بن جرير الطبرى ، تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٢ ، ص ٣٩٤ ـ ٣٩٦

المسلم بربه سبحانه وتعالى ، ووضح فيها الرسول ﷺ الأمور الأساسية لبناء المجتمع الجديد في المدينة المنورة .

ولعلنا نحس من أقوال المصطفى ﷺ أنه يشعر بأن الايمان بالله هو الحد الفاصل الذى يميز الشعب المسلم الذى غايته الله ، عن شعوب العالم الأخرى التى غايتها المادة والقوة واللذة ، إنه يميز سلوكه عن سلوكها ، وحياته عن حياتها ، وأغراضه من أغراضها ، وطابعه عن طابعها ، وأساليبه عن أساليبها ، لذلك يجب أن يشب أولادنا على حب الاسلام وما فيه من قيم وأقدار ومبادئ وتشريعات.(١)

ولقد (قرر علماء النفس والتربية أنه لا توجد قوة أكثر عمقاً وأشد سلطانا على النفوس من الايمان بالمنافع والايمان بالفضائل ، وذلك الذى حدا بالصحابة ومن تبعهم إلى الشهادة في سبيل الله ، وبذل النفس والنفيس في خدمة الاسلام ، وهانت عليهم بذلك حياتهم ولذاتهم وأوطانهم وولدانهم ومطالب النفس والجسد .)(٢)

وهكذا نجد أن التربية الاسلامية عندما تطالب بتكوين عقيدة راسخة في نفوس أبنائها ، تطالب بذلك لتقيهم شر العقد النفسية والفكرية وغيرها ، لأنه بهذه العقيدة يكون دائما (مع الله ، لا يخافون إلا منه ، ولا يلتجئون إلا إليه ، ويرتبطون به ارتباطا وثيقا ، بحيث تنعكس هذه الرابطة أو ذلك الرباط على الانسان

١ـ السيد محمد الحسني ، المنهج الإسلامي السليم ، ص ص ٢٤ـ٢٥

٢ـ أبو الحسن الندوى ، التربية الإسلامية الحرة ، ص ٦٧

ـ د . عبدالله علوان ، تربية الأولاد في الاسلام ، جـ ١ ص ١٦٠

ـ عبدالرحمن الباني ، مدخل إلى التربية في ضوء الاسلام ، ص ٣١

في معـــاملاتـــه ، وعشرته ، بحيث تصبح حياة الانسان كلها عبادة فهي لا تقتصـــر على أداء الفرائض المطلوبة منها ، حتى تحقق التربية تحقيق الانســـان العابد الصالح في المجتمع الانساني ٠)(١)

فبقدر ما تكون العقيدة في الأمة تكون هذه الأمـــة متماسكة ملتزمـــة بالسلوك الذى تقتضيه هذه العقيدة، إذ أن العقيدة قوة دافعة إلى العمل ، وموجهـــة إلى أعمال وغايات سامية، فبقدر قوة العقيدة يندفع الأفراد والجماعـــات إلى الأعمال الايجابية، فالعقيدة من هذه الناحـــية طاقـــة لا تنفـــذ للأفـــراد والجماعات، وبقدر هذه الطاقة يحمـــل الناس المسئوليات ويلتزمون بالأعمال ٠(٢)

١ــ د ٠ على أبو العينين ، فلسفة التربية الاسلامية في القرآن الكريم ، ص ١٨٤

٢ــ د ٠ مقداد يالجـــن ، جوانب التربية الإسلامية الأساسية ، ص ١٤٤

ــ د ٠ عبدالحميد الزنتاني ، أسس التربية الإسلامية في السنة ، ص ٣٢٢

ــ د ٠ محمد أمين المصرى ، لمحات في وسائل التربية الإسلامية ، ص ٨٢

ــ د ٠ حسن عبدالعال ، مقدمة في فلسفة التربية الاسلامية ، ص ٣٢٧

ــ د ٠ مقداد يالجـــن ، التربية الأخلاقية الاسلامية ، ص ٢١٠

ــ د ٠ يوسف القاضي وزميله ، علم النفس التربوى في الاسلام ، ص ٢٥١

ــ د ٠ اسحاق فرحـــان ، التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة ، ص ٦٢

ــ د ٠ بشير حـــاج التوم ، التربية والمجتمع ، ص ٧

ــ د ٠ محمد ســـلام مدكور ، التعليم في الإسلام ، ص ٥٦

ــ د ٠ محمد الصادق عفيفي ، الفكر الاسلامي ، ص ٤٤

ــ د ــ عبدالفتاح عاشـــور ، منهج القرآن في تربية المجتمع ، ص ١٥٧

ــ د ٠ محمد جميل خياط ، النظرية التربوية في الاسلام ، ص ٤١

ــ د ٠ ماجـــد الكيـــلاني ، الفكر التربوى عند ابن تيميـــة ، ص ص ٧٧ــ٧٨

ولقد (بُنيت التربية الاسلامية على أساس من الايمان بالله واليوم الآخر، والكتاب والنبيين، ايمانا مبنيا على التأمل والتفكير والبرهان والإستدلال بالكائنات على عظمة الله خالقها ، إيمانا ينطلق من ذات الانسان وعواطفه، فيدفع إلى العمل ، ويدعوه إلى الاستقامة والإخلاص والانتاج المثمر، والتسامي والترفع عن الأثرة والغش والفوضى والاهمال والتواكل .) (١)

(وعلى أساس تلك التربية اختار الله الأمة الاسلامية لتكون خير أمة أخرجت للناس، ولم يكن الاختيار لمجرد كونهم عربا أو لأن الرسول من قريش، ولكن لأن المنهج الاسلامي منهج كامل من جميع الوجوه .) (٢)

ويجدربنا أن نذكر هنا أن ما نعنيه بالتربية الايمانية غير مرادف للتربية الدينية بالمعنى الكهنوتي الغربي .Religious Education إذ أن هذا المعنى للتربية لا وجود له في قاموس التربية الاسلامي ، لأن التربية الإسلامية شاملة شمول الدين الإسلامي نفسه لكل مناحي الحياة فهي تعنى بالإضافة إلى صلة العبد بربه أن يتفاعل هذا الانسان مع ظواهر الكون وميادين الحياة بكل ما فيها من مستويات بيئية سواء كانت اجتماعية أو طبيعية .

وعلى ذلك فإن التربية الاسلامية (لا ينحصر همها في تنمية الايمان عن الغيبيات فقط والظواهر الروحية والعبادات ، بل ان كتاب الطبيعة

١- عبدالرحمن نحلاوى، التربية الاسلامية والمشكلات المعاصرة، ص ٤١
- د . عباس حسني ، اتجاهات النهضة والتغيير في العالم الاسلامي ، ص ٣٢
٢- د . محمد عبده يماني ، المعادلة الحرجة في حياة الأمة الاسلامية، ص ٤٤

المفتوح ، والظواهر الكونيـــة ، والعلوم المختلفة ، والممارسة العملية في الحياة كلهـــا تعزز هذا الإيمان وترتبط به إيما ارتباط .) (١)

فإحســاس الانسان المسلم بعبوديته لله ، يفرض عليــه أن يتلمس طريق المعرفة والوصول إلى معرفة الله سبحانه وتعالى ، وأنه لا بـد له من أن يدرس ويتفهم ، ويعرف أسرار الكون ، إذ أنه جـزء لا يتجزأ منه. وعـلى ذلك نستطيع القول بأن الأمر بالقراءة في أول ما نزل به القرآن الكـريم من آياتٍ مفتاحُ باب المعرفة ، والمعرفة هي المادة الخـام للبحث العلمي ، والبحث العلمي بالتالي هو الطريق إلى التنمية والتقدم ، فإن هناك ترابطاً واضحـاً بين كون الشعب متقدماً ، وكونه قارئاً ، فالقراءة تنمـي الغرد والغرد ينمي المجتمع ، ولن تكون تنمية بدون قراءة . (٢)

واعتناء الدين الإسلامي ببناء العقيدة الصحيحـــة يرجع إلـــى أسباب ثلاثـة هـي : (٣)

١ـ أن العقيدة الإسلامية تكون حجر الزاوية في كيان الأمـــة الاسلاميـــة وبنائها الحضارى ، إذ أنها تعمل على تذكيرها بالأمانة التى أناطها بهـــا المولى عـز وجل ، حيث يقول تعالى :

((وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا)) (٤)

كما أنهـــا تحفزها دائمـــا عـلى الارتقاء الى مستواها اللائق بهـــا ، وتحدد لها غايتها القصوى وهدفهـــا الأسمى لكي لا

١ـ د . اسحاق فرحـان ، التربية الاسلامية بين الأصالة والمعاصرة ، ص ٥٥

٢ـ د . عبدالغني عبـــود ، في التربية الاسلامية ، ص ٢٩

٣ـ د . مصطفى حلمي ، الإسلام والمذاهب الفلسفية ، ص ص ١٥٧ ـ ١٥٨

٤ـ ســـورة البقرة آيـــة / ١٤٣

تختلط مع أهداف غيرها من الأمم والحضارات التي ترفع شعارات اقتصاديـــة أو سياسيـــة أو اجتماعية، وتلهى البشرية بغاياتٍ مادية على حساب القيم والغايات النبيلة، قال تعالى :

((كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ))(١)

٢ـ أن العقيدة الاسلامية درعٌ واقٍ كفل للأمـة الإسلامية ـ ومـا يزال يكفل لهـا ـ الصمـودَ في وجـه كل ما لاقتـه وتلاقيـه من تحـديات وغزواتٍ عسكرية وثقافيـةٍ بشتى صنوفهـا ودروبها .

٣ـ ان العقيدة الاسلامية تعطي معنًى للحياة عند أصحابهـا وسط هذا الزخم من الحـيرة والقلق والضياع الذى تعيشه الأمم الاخرى، لأنهـا العقيدة التى تضع الإجابات الحاسمة للأسئلة التي تدور فـي أذهان بني آدم جميعا مثل : لِمَ خَلَقَنا؟؟ ومِمَّ خَلَقنا ؟؟ وإلى أين المصـير؟؟؟

ولعله من الواضح أن عقيدة الأمة الاسلامية تتشكل أساسًا مـن معطيات كتاب الله العزيز ، وحديث رسول الله ﷺ الكريم، وما يـدور في فلك هذين المصدرين الأساسين من قيم ومثل ومبادئ. وهذه المثل والقيم والمبادئ جميعها كفيلة بضمان استمرارية حياة المسلمين عزيزةً قـوية لتحقيق الغاية من استخلافهم في الأرض.

ولقد اتخذ المسلمون المخلصون على مر العصور والأزمان من هذه المعطيـات والقيم والمبادئ والمثل محورًا لفكرهم في مجال العلوم

١ـ سـورة آل عمران آيـة / ١١٠

والمعـــارف والآداب، وما يقدمونـــه لأمتهم دعمـــا لوجودهـــا ، وتأكيـــدا لخيرتها وريادتها للعالم، كما قال تعالى :

((كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)) (١) ، وبذلك تتآزر العقيدة الإسلاميـــة والفكر المنبثق عنها لإبراز كينونة هذه الأمـة، ومن ثم الحفاظ عـليها ، وعلى وجودها ، ودعم قوتها الماديـــة. (٢)

فالمـؤمن الحـق لا يستمد قـــوة قيمه وتصوراته وموازينه من الناس، وإنمـــا يستمدها من رب الناس فهو حسبه وكافيـــه.

إنه يستمد هذه القيم والمبادئ والمثل من ميزان الحق الثابـــت الذى لا يتأرجح ولا يميل ... فهو لا يستمدها من شهوات الخلق حتى يتأرجح مع شهوات الخلق... كما أنه لا يتلقاها من هذا العالم الفاني المحدود ، بل إنها تنبثق في ضميره من ينابيع الوجـــود ... فأنـــى يجـد في نفســـه وهنا أو يجـد في قلبه حزنا ، وهو موصول بـــرب الناس وميزان الحق وينابيع الحق ؟ ؟ ؟ ولن يختار مؤمن الضلال على الحق ــ وهو مؤمن ــ ولن يعدل بالحق الضلال ، كائنة ما كانـــت الملابسات والأحـــوال. (٣)

١ــ ســـورة آل عمران آيـــة / ١١٠

٢ــ د . سعد أبو الرضـا ، في الأصالة وبناء المسلم ، ص ١٠-١١

٣ــ سيد قطـــب، معالم في الطريق، ص ٢٣٠

إن الإيمان يمنع الفوضى والتشويش والتسيّب، ويقيم نظاماً خلقياً دقيقـــاً يضع الفرد والجماعـة في أوضاع محكمــة.(١)

اذن نستطيع القول بأن العقيدة الصحيحـة ـ وهي العقيدة الإسلامية دون غيرها ـ ووحـدتها في المجتمع كلــه يؤديان إلـــى وحــدة الفكر، ووحدة المنهج في الحياة في ذلك المجتمع.

وهذه الوحـدة تؤدى بدورها إلى وحـدة القيم والمبادئ والمثل ، فيكون سير الجماعـة على نورٍ وبصيرة من ربهم وخالقهم سبحانه وتعالى الذى لــه الأمر كلــه، والخلق كلـه.

))))))))))((((((((
)))))))))(((((

١ــ محمد الغزالي، نظرية التربية الاسلامية للفرد والمجتمع، بحوثه ندوة أسس خبراء التربية الاسلامية.

وحدة الفكر والمنهج وحدة للقيم والمبادئ والمثل

مادام الانسان ليس انسانا بجسمه، ولا بهيئته وشكله، ولكنه في الحقيقة إنسان بعقله وفكره، فحاجات الانسان العقلية، ومتطلبات فكره هي الحقائق الخالدة التى تعطي الإنسان قيمته ومنزلته بين جميع المخلوقات، فإن وحدة الفكر من أهم وسائل توحيد الإتجاه، لأن الجماعة التى تفكر بطريقة واحدة، ولها عقيدة واحدة توجه فكرها وتفكيرها، لا بد أن تكون غايتها واحدة أيضا.

فوحدة الفكر في مجتمع ما تعطى انطباعا واضحا عن وحدة الهدف الذى جعلته نصب عينها ليتم لها العمل على تحقيقه. فهي بهذا تظهر هذا المجتمع في صورة متكاتفة عاملة، وهي بهذا تبرزه أمة واحدة.

ووحدة الفكر هنا نقصد بها وحدة المبادئ الأساسية للأمة، وظهورها في صورة واضحة معلومة لدى كل فرد من أبنائها.

(فأهل الثقافة الواحدة والنمط الموحد في التفكير يفكرون بأسلوب واحد، وكذلك أذواقهم وما يميلون إليه، وما يكرهونه وما يقدرونه ومالا يبالون به.) (١)

فالتصور الاسلامي للحياة يقوم على أساس الدين. والعقيدة – كما وضحت سابقا – أساس الدين، وهي بعد تقوم مقام الأيديولوجية

١- جودت سعيد، حتى يغيروا ما بأنفسهم، ص ١١٠

في أى فكر بشرى وضعي ،لكنها تفوق الأيديولوجية البشرية بأنها تعطى الفكرة الواضحة الصحيحة الصريحة عن الخالق جل شناؤه وعن المخلوق والكون والمبدأ والمصير، والمصدر الوحيد لهذه العقيدة النص من القرآن الكريم أو السنة النبوية المطهرة.

على أننا نرى بعض التفاوت في مدارك الناس لفهم النص ،أدى إلى حصول الخلاف في الشرح والتفصيل لا في أصل النص.

ولقد كانت غاية التوحيد تطهير الانسان من أوحال الشرك والالحاد، كما كانت غاية النبوة انبثاق الحضارة العالمية الراقية والمدنية الفاضلة التى تسعى إلى ربط الإنسان بالله وبالحق وبالعدل.

إن الغاية الشريفة تحتاج إلى وسيلة شريفة مثلها، وهل هناك أشرف من قيام الحق والعدل بين الأفراد والجماعات والأمم. ؟؟؟؟ وهل هناك أشرف من عقيدة صحيحة سليمة متماسكة متكاملة تتبنى ذلك كله، بل وأكثر من ذلك تقيمه على أساس متين من المنطق السليم. والترابط العضوى الصحيح.

على أن هذا التصور لا يتم بالاعتقاد الصحيح وحسب، اذ لابد من العمل ،اذ أن الايمان لابد أن يصحبه سلوك إسلامي ،لذلك نجد في كثير من آيات القرآن الكريم الربطَ الواضح بين الايمان والعمل مثل قوله تعالى:

((إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾))[١]

١ــ سورة الكهف آية/ ٣٠، وانظر الآيات التالية:

١٠٧ من سورة الكهف، ٩٦ من سورة مريم، و٤١، ٥٠، ٥٦ من سورة الحج، و٥٥ من سورة النور، و٧ من سورة العنكبوت، و١٩ من سورة السجدة.

ولقد استطاعت الشريعة الاسلامية أن تحول الايمان إلى عمل ، وتترجمه إلى واقع ملموس، اذ أن الشريعة جملة معايير تنظم السلوك البشرى بين الأفراد والجماعات بعضهم مع بعض ، وذلك عن طريق التكليف.

من هنا نجد النصوص الشرعية متوفرة في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، إذ لم يترك الله سبحانه الناس فوضى ينظمون سلوكهم وحياتهم كما يشتهون ، وذلك لأنهم خلق متشابه ، وكل منهم له مصالح خاصة يتمنى لو تتوفر له حتى ولو أضر ذلك بمصالح غيره من البشر، ولعلها قاعدة عامة تعم البشر أجمعين إلا النادر منهم، بل ربما لم ينج منها أحد سوى الرسل والأنبياء والذين اصطفاهم الله من خلقه وقليل ما هم. فلو ترك الله سبحانه الناس يشرعون لأنفسهم ما يشاؤن لأصبحت الدنيا فوضى لا يضبطها ضابط، لذلك اقتضى الأمر أن يكون الشارع الوحيد هو الله سبحانه وتعالى .

من هنا ومن هذا المنطلق نستطيع أن نقول بأن وحدة الفكر أو وحدة المنهج تضمن للبشرية السير الصحيح في هذه الحياة الدنيا نحو الهدف الواضح المنشود ، وهو حياة دنيوية سعيدة تؤدى إلى جنات عدن ، يوم القيامة.

فوحدة الفكر والمنهج تؤدى إلى وحدة الأمة في قيمها ومبادئها ومثلها ، اذ أن هذه القيم نطقت بها نصوص الاسلام الحنيف من قرآن وسنة ، وجعلت اعتناقها دينا يثاب المرء على فعله ويحاسب على تركه ، فاستطاعت هذه النصوص بذلك أن تجعل من الفرد المسلم الصادق نموذجا فذا للانسان الاجتماعي المهذب التقي الخيّر النظيف ،

ومن ثمّ يجعل من المجتمع الاسلامي مجتمعا فذا من النمط الراقي الرفيـــع الذى تصبو جميع المجتمعات البشرية إلى الوصول إلى ما ما وصـــل إليه .

إن القيم في المجتمع الاسلامي تستندُ إلى أساس متين ذلك هو الايمان بالله ، ومن هنا جاءها الثباتُ والرسوخ الـدائمان ، فـلا تَعصف بها الأهواء الشخصية ، ولا تهزهـــا الأزمات ، ولا تستطيع أن تؤثر فيها المغريات ، ولا يغير جوهرها تطوّر المجتمعات وتتابع الأيام والسنـين .

ولعلنا نستطيع القول بأن أيَّ أسلوب تربوى لابد له حـتى ينجح ويـؤدى دوره كاملاً ، من الاعتماد عـلى الأخلاق ، فالأخلاق تسمـو بالانسان ، وبالمجتمع ، وهي تقوم مقام الحارس الذى يحمي فاعليات هذا المجتمع وانجازاته الحضارية التي توصل إليها عن طريق التقدم والنمو التقني أو المـــادى .

فـكلّ جهد تربوى تنموى في حاجـة ماسة وشديدة إلى الاخلاص والمثابرة ، والعمل ، واحترام النفس البشرية وإقامة كرامتها على أســـس راسخـــة قويـــة لا تهتز مع أول ريح تصادفها ... وغير ذلك من قيم تربط بين أفراد المجتمع بعضهم ببعض ، فينتج عن ذلك تعاون يساعد عـلى الإنتاج والتنمية ، اذ أن القيمة الخلقية تعتبر عنصرا جوهريـــا وأساسيا في أي نشاطٍ مشترك يؤدى إلى التنمية والانتاج .

فالقيمة الخلقية تستطيع تنظيم النشاط والحركة في سبيل الغاية التي يسعى إليها الإنسان ، ولكن كلما (حدث إخلال بالقانون الخلقي في مجتمع معيّن حدث تمزق في شبكة العلاقات الاجتماعية التي تتيح له أن يصنع تاريخه.) (١) . اذ أن كل خلل في السلوك يكون بالبديهة ناتجا عن قصور في التصور، أو تشويش فيه اضطراب في النسب التي تحكمه، ذلك لأن كلا من التصور الاسلامي والسلوك الاسلامي تحكمه مجموعة نسب لا تجوز تجاهلها وإلا اضطرب الأمر وفسد (٢) .

١- مالك بن نبي ، ميلاد مجتمع، ص ٤٩

٢ - د . محمد الغرفور، خصائص الفكر الاسلامي ، ص ٤٣ .

النتائج والتوصيات

٩- النتائج

أ ـ النتائج

إن المتأمل لتاريخ العقائد والحضارات التى قامت منذ فجر التاريخ ، يقف مبهورا مشدوها أمام العقيدة الاسلامية لما تقدمه من صفحات مضيئة مشرقة بكل معاني الصدق والاخلاص والتضحية في سبيل المثل الأعلى للانسان.

ولقد كان ذلك كذلك لعظمة المبادئ والمثل والقيم التى جاءت بها العقيدة الاسلامية، سواء الفكرية أو التربوية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو السياسية.

ذلك لأن هذه القيم النابعة من الدين الاسلامي قادرة على هداية "الانسان" وعلى اضاءة حياته بنور الايمان، وعلى منحه طاقات غير محددة لتطوير نفسه ومجتمعه وعالمه، ولكن في اتجاه الحق والخير والصلاح والمحبة.

وقد تحقق للمسلمين الأول الوعي بالقيم والمبادئ والمثل الفاضلة ثم العمل بها ومقتضاها ، والوعي بالقيم والمثل والمبادئ الاسلامية والعمل بها ،أساس قيام الحضارة الاسلامية ونشأتها ، لذا جعل الاسلام سبيله الى اعتناق رسالته والتضحية بالنفس في سبيلها ،بث العقيدة الصحيحة في النفوس وتأصيلها في الفكر والوجدان عن طريق الاقناع بالحسنى ، والقدوة الصالحة ، وتقويم السلوك.

هذا ولقد اكتملت هذه القيم والأخلاق والمبادئ والمثل في شخصية المصطفى ﷺ وتمثلت في سيرته أقوالا وأفعالا ، فكان الخلق العظيم الذى سلكه أنقى الأساليب وأشرفها ، لتحقيق القيم السامية التى نزل بها الوحي الكريم. وقاد معتنقيها الى طريق الخير والحق ، وكل ما تتطلع اليه النفس الانسانية من أوجه الكمال ، كما كان القلب الرحيم الذى أرسله الله تعالى لهداية الخلق أجمعين.

واذا كانت الأمم جميعها تهتم بتربية أبنائها على القيم والمبادئ والمثل التى تسود مجتمعاتها ، وتحاول جاهدة أن تورثها للاجيال اللاحقة من أبنائها ، حتى تمتد فروعهم بأصولهم.
لذلك ، فان التربية الاسلامية المستمدة من الكتاب والسنه تربط تربية أبنائها على قيم ومبادئ ومثل ثابتة غير قابلة للتغيير فى أصولها ، وانما يحدث التغيير والتعديل والتحوير فى الوسائل والطرق التى تتحقق بها هذه القيم .

ولقد استطاعت التربية الاسلامية أن تتخذ من شتى الطرق والوسائل سبلاً لتحقيق هذا الهدف ، ومن ضمن هذه السبل والوسائل الخطابة التى أستخدمها المصطفى ﷺ فى تربية الجيل الأول الذى حمل مشعل الحرية للإنسانية . .

هذا ولقد توصل الباحث الى النتائج التالية :

١ - ان الخطابة العربية عاشت وترعرعت فى بيئة تقوم حياتها على التفاخر بالعصبية والأنساب والأحساب ، والصراع بين القبائل ، لذلك تولى الخطابة أهل السيادة والرئاسة من شيوخ القبائل وكبرائها لما لها من خطر فى التوجيه .

٢ - عمل الدين الاسلامي - ومنذ أول ساعاته - على تخليص العرب من العادات الجاهلية ، وإبدالهم عنها عادات إسلامية تعلى من مكانه الانسان ، وتزكى النفوس ، وتطهر القلوب.

ومن الوسائل التى استخدمها المصطفى ﷺ فى تربية أفراد الجيل الأول الخطابة والتى امتازت عن الخطابة العربية السائدة فى ذلك العصر بما يلى :

أ - جعلها المصطفى ﷺ شرطاً أساسياً لصحة كثير من العبادات كصلاة الجمعة والعيدين ، وعند ظهور بعض الأحداث الكونية مثل الخسوف ، للفزع إلى الله سبحانه وطلب الدعاء منه .

ب - لم يقتصر الرسول ﷺ على ذلك بل استخدم الخطب فى توجيه بعض المواقف الطارئة ، والتى استخدمها كأسلوب تربوى جديد .

٣ - إمتازت خطابته ﷺ باشراقة الأسلوب، ونصاعة البيان ، وعدم ميلها إلى السجع المتكلف الباهت .

٤ - توصل الباحث إلى أن مؤلفى كتب الحديث النبوى لم يضعوا أبواباً خاصة فى كتبهم للخطب النبوية ، بل انهم ذكروها ضمن الأبواب الخاصة بموضوع كل خطبة كحديث نبوى شريف .

٥ - لم يترك المصطفى ﷺ باباً من أمور الدين أو الدنيا إلا واستخدم الخطبة لمعالجة مشكلاته ، سواء عن طريق خطبة الاجتماع الأسبوعى (الجمعة) أو الاجتماع السنوى (العيدين) ، وكذلك لم يقتصر عليها بل كان يخطب ﷺ فى المسلمين كلما دعت الحاجة إلى ذلك ، وهذا ما أطلقت عليه اسم "" الخطب الطارئة "" .

٦ - هناك من الخطب ما أطلقت عليه اسم "" خطب الأساليب التربوية "" والتى كان المصطفى ﷺ يستخدمها فى التربية والتوجيه والارشاد اذا رأى مناسبة لذلك .

٧- رغم تغير أسلوب وطريقة معالجة الخطب النبوية للقيم والمبادئ والمثل في عصر النبوة الاول ، الا أن القيم الاسلامية والمبادئ والمثل التى كانت تدور حولها هذه الخطب، كانت قيما ثابتة لا تتغيربتغير الأوضاع أو الأشخاص أو المواقف أو الأساليب مايثبتلنا أن التغيير يحدث فقط في الطرق والوسائل المؤدية لتحقيق تلك القيم فيه ، وذلك لأن هذه القيم إنما تتناول علاقة الانسان بالله عز وجل الذى لايتغير سبحانه وتعالى ، ثم بأخيه الإنسان وبالكون ككل ، وهذا لا يعنى أن قيام حياته على هذه القيم الثابتة تعنى الجمود والتخلف .

٨ - القيم الاسلامية من طبيعتها الشمول والتكامل والتوازن ، كما أن من طبيعة التربية الإسلامية التكامل والشمول والتوازن ، والقدوة والواقعية . . . الخ ، لذا فإن أى نظام تربوى يستدخل هذه القيم الإسلامية فى إطار شامل ، يحقق لنا شخصيات إسلاميه تستطيع مسايرة متطلبات العصر الحديث لكل مقوماته .

٩- تأكيد العمل على ترسيخ القيم الاسلامية فى نفوس الناشئه المسلمه مثل :

قيم العمل والانتاج ، الصبر ، استقلالية التفكير ، موضوعية السلوك والتصرف وواقعيته ، ومن ثم نبذ الاتكالية التى شاعت فى أرجاء المجتمع المسلم .

١٠ - ربط السلوك والتصرف بالجزاء الدنيوى والجزاء الأخروى الدائم يحيى الضمير الانسانى ، ويدفعه للعمل والبعد عن الانحراف أو السقوط فى مهادى الرذيلة ، ومن ثم تحمى المجتمع من التسيب الحاصل الآن .

ب - التوصيات

ب / التوصيـــــــات

إذا أردنا أن تعود للأمة الإسلامية عزتها وقوتها ومكانتها فى مشارق الأرض ومغاربها ، لتأخذ بزمام البشرية مرة أخرى ، ومـــن ثم تقودها إلى الطـــريـــــق المستقيم الذى يحمى المجتمعات البشرية من الانحرافات والخروج عن هـــــــدى السماء ، ويهديها إلى نور الله ، فإنه لايمكن تحقيق ذلك إلا فى ضوء الآتى :-

١ - ينبغى الانتباه إلى أثـر العقيدة الايجابية فى تربية ضمير الانسان والـــذى بدوره يلعب دوراً كبيرا فى سلوك الفرد ومن ثم سلوك الجماعة.

٢ - عند وضع البرامج التعليمية فإن على المسئولين عنها أن يهتموا بمحتوى هذه البرامج بحيث تربط سلوك الطالب بعقيدته الايمانية حتى يشبّ على وحدانيةَ الله سبحانه وتعالى ، وهذا يقتضى أن تكون العقيدة أساساً لهذه البرامج.

٣ - أن تكون هذه البرامج مستمدة من القرآن الكريم والسنه النبويه المطهـــــرة وأن تكون حياة المصطفى ﷺ هى المنهج الذى نربى عليه أبناءنا ، علـــى الايمان الكامل بأن حياته ﷺ فى جميع أقواله وأفعاله هى الوسيلة الكاملـة الصحيحة لبناء المجتمع الاسلامى بناءً صحيحاً مستقيماً بعيداً عن الانحراف.

٤ - أن يكون المربون قدوةً صالحةً لأبنائهم الطلاب فى سلوكهم حتى يقتـــدوا بهم ، وعلى المربين أنفسهم أن يضعوا تقوى الله سبحانه وتعالى بيـــن أعينهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا.

٥ - أن يخلّص المجتمع الاسلامى من التناقضات الموجودة فيه بحيث لايفتح الطالب عينيه فيجد فى مجتمعه ما يحرمه دينه مثل البنوك الربوية ، أو بعض سلوك الأفراد سواء فى بيته أو مدرسته مثل الكذب والنميمة والغش والاحتكار.

٦ - صياغة المناهج الدراسية صياغه اسلامية أساسها القرآن الكريم والسنه النبوية المطهرة، بحيث تتخذهما أساسا ومنطلقاً فى محتواها وأسلوبها .

٧ - إذا أردنا تحرير العقلية الاسلامية - فينبغى على المسئولين فى التربية فى العالم الاسلامى أولا وقبل كل شيء -/التحرر من التبعيه الفكرية لاى منهج سوى منهج المصطفى ﷺ وذلك حتى تتحقق أهداف المجتمع الاسلامى .

٨ - أن تستخدم الخطب في التوجيه والارشاد والتعليم كما كان يفعل المصطفى ﷺ - على أن تكون بلغة مفهومة واضحة بعيدة عن التقعر والتشدق حتى يكون لها تأثيرها المطلوب فى النفوس .

٩ - العودة إلى فاعلية المسجد فى المجتمع الاسلامى واعطاءه دوره الذى أراده الله سبحانه وتعالى له فى التربيه ، اذ أن المسجد فى الاسلام هو سر قوة المسلمين، فيه الامامة ، وفيه الجماعة ، فيه الدين والدنيا جميعا.

١٠ - يجب أن يعمل المسجدُ على محاربة الرذائل والقبائح والمعاصى والمفاسد ، وفى مقدمتها جميعا ما يدنس المجتمع من مخدرات أو رباً أو غش أو غيبة أو نميمة . . . .

١١ - وإذا كانت هذه هى مكانة المسجد فى المجتمع، فينبغى أن تصاغ البرامج والمحاضرات والخطب فى المساجد بأسلوب تربوى مؤثر فى النفوس.

١٢ - حبذا لوكانت في المدارس برامج تدريبية للطلاب على الخطابة والالقاء، وتدريبهم على صياغة هذه الخطب على أن يكون ذلك ضمن الأنشطة اللاصفية.

١٣ ـ فى هذا المجال يمكن استخدام الاذاعات المدرسية للتدريب والتمرين ، تحت إشراف مدرسي اللغة العربية والتربية الاسلامية .

١٤ ـ آمل أن يوفق الله سبحانه بعض الإخوة الباحثين لاستكمال صورة البحث فى الميادين التالية :ـ

أ ـ القيم والأساليب السياسية التى يمكن استنباطها من خطب المصطفى ﷺ

ب ـ بعض القيم النظرية والتى تساعد على وضع أسس فلسفة تربوية اسلامية مستمدة من القرآن والسنه ، وخاصة من الخطب النبوية .

جـ ـ بعض القيم الاجتماعية غير التى توصلت إليها فى هذه الدراسة مثل : النميمة ، الغيبة ، الكذب ، الخيانة . . . . وتوضيح أضرارها على المجتمع المسلم .

()()()()()()()()()()()()()()

****

QQQQQQQQQQQQQQQQQQQQQQQQQQQQQQQQ

****

المصادر والمراجع

أ - المصـــــادر *

- القـــرآن الكريـــم

١ - ابراهيم بن موسى اللخمي الغرناطى المالكى ، المعروف بالشاطبى ،
- الموافقات في أصول الشريعة ، محقق برعاية الشيخ عبد اللـــه
دراز، بيروت ، ١٣٩٥ هـ ، (طبعة مصورة) .

٢ - الامام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية ،
- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيـم ، تحقيـــق
د . ناصر بن عبد الكريم العقـل ، ١٤٠٤هـ .

٣ - ________ :
- الحسبة في الاسلام ، أو وظيفة الحكومة الإسلامية ،
المكتبة العلمية ، المدينة المنورة ، د . ت

٤ - أبو نعيـم ، أحمد بن عبد الله الأصبهانى ،
- حلية الأولياء وطبقات الأصفيـاء ،
دار الكتاب العربى ، بيروت ، ١٩٦٧ م (طبعه مصورة) .

٥ - شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على بن حجـر العسقلانى ،
- فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، قـرأ أصله تصحيحا وتحقيقا :

---

* د . ت = بدون تاريخ للنشر
د . ن = بدون ذكر الناشـر

عبدالعزيز بن باز، قسم كتبه وأبوابه : محمد فؤاد عبدالباقي دار المعرفة، بيروت ، د . ت .

٦ ـ الامام أحمد بن علي بن شعيب النسائي ،

ـ سنن النسائي ، دار الكتاب العربي ، بيروت (طبعة مصورة)

٧ ـ تقي الدين أحمد بن علي المقريزي ،

ـ امتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحضرة والمتاع ،

صححه وشرحه : محمود محمد شاكر، الشئون الدينية / قطر .

٨ ـ أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا ، المعروف بابن فارس ،

ـ مجمل اللغة، دراسة وتحقيق : زهير عبدالمحسن سلطان ،

مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٤هـ.

٩ ـ الامام أبو عبدالله ،أحمد بن محمد بن حنبل ،

ـ مسند الامام أحمد ، دار الباز، مكة المكرمة، د . ت

(طبعه مصورة) .

١٠ ـ أحمد بن محمد بن يعقوب بن مسكويه ،

تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق : حققه وشرح غريبه ابن الخطيب، المطبعة المصرية ومكتبتها ، القاهرة، د . ت

١١ - أحمد بن يحيى بن جابر، المعروف بالبلاذرى،

ـ كتاب فتوح البلدان، نشره ووضع ملاحقه وفهارسه : د. صلاح الدين المنجد، مكتبة النهضة المصرية، د. ت

١٢ - اسماعيل بن حماد الجوهرى،

ـ الصحاح، تاج اللغة العربية، تحقيق : أحمد عبدالغفور عطار، ١٤٠٢هـ (طبعة مصورة) .

١٣ - عماد الدين أبو الفداء، اسماعيل بن عمر القرشى، المعروف بابن كثير،

ـ تفسير القرآن العظيم، مطبعة الحلبى، القاهرة، د. ت .

١٤ - ——— :

ـ السيرة النبوية، تحقيق : د.مصطفى عبدالواحد، مطبعة الحلبى، القاهرة ١٩٦٤م.

١٥ - أبو على الحسن بن رشيق القيروانى، الأزدى، المعروف بابن رشيق .

ـ العمدة فى محاسن الشعر، وآدابه، ونقده، تحقيق : محمد محيى الدين عبدالحميد، المكتبة التجارية، القاهرة ١٣٧٤هـ

١٦- أبو هلال، الحسن بن عبدالله العسكري، المعروف بابي هلال العسكري،
الأوائل، تحقيق: د. وليد قصاب، محمد المصري،
دار العلوم للطباعة، الرياض، ط/٢، ١٤٠١هـ

١٧- الامام أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، الأزدي،
- سنن ابي داود، اعداد وتعليق: عزت عبيد الدعاس،
عادل السيد، دار الحديث، حمص، ١٣٨٩هـ.

١٨- أبو الفرج، عبدالرحمن بن علي، المعروف بابن الجوزي،
- صفة الصفوة تحقيق: محمود الفاخوري، محمد رواس قلعه جي،
دار الوعي، حلب، ١٣٨٩هـ.

١٩- ــــــ:
- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، تحقيق: محمد
عبدالكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٤هـ

٢٠- موفق الدين، أبو محمد عبدالله بن أحمد، المعروف بابن قدامة،
- المغني والشرح الكبير، دار الكتاب العربي، ١٣٩٢هـ

٢١- أبو محمد عبدالملك بن هشام المعافري، المعروف بابن هشام،
- السيرة النبوية، حققها وضبطها، مصطفى السقا وزملاؤه، شركة
الحلبي، القاهرة ١٣٧٥هـ.

٢٢ - أبو الحسن على بن محمد بن الأثير الجزرى ،

- الكامل فى التاريخ ، دار صادر ، دار بيروت، بيروت، ١٩٦٥م

٢٣ - أبو الحسن على بن محمد المعروف بالخزاعى التلمسانى ،

- كتاب تخريج الدلات السمعية ، تحقيق : الشيخ احمد محمد أبو سلامة.

المجلس الاعلى للشئون الاسلامية، القاهرة ، ١٤٠١هـ.

٢٤ - أبوعثمان عمرو بن بحر الجاحظ ،

- البيان والتبيين ، تحقيق : عبدالسلام محمد هارون، مؤسسة الخانجى ، القاهرة ، د . ت

٢٥ - أبو الفضل عياض اليحصبى ، المعروف بالقاضى عياض،

- الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ، دار الفكر، بيروت ١٣٩٩ هـ

٢٦ - أبو عبيد القاسم بن سلام،

- كتاب الأموال ، تحقيق : د . محمد خليل هراس، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، ١٣٨٨ هـ.

٢٧ - الامام مالك بن أنس الأصبحى :

- الموطأ ، حققه ورقم أحاديثه : محمد فؤاد عبدالباقى ، دار إحياء التراث ، بيروت ١٤٠٦ هـ

٢٨ ـ شمس الدين ، أبو عبدالله محمد بن ابي بكر الزرعى الدمشقى ،
المعروف بابن قيم الجوزية ،
ـ إعلام الموقعين عن رب العالمين ، (طبعة مصورة)

٢٩ ـ ـــــــــ :
زاد المعاد فى هدى خير العباد ، دار الكتاب العربى ، بيروت ،
د . ت

٣٠ ـ محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازى ،
مختار الصحاح ، تحقيق : محمد محيى الدين عبدالحميد
المكتبة التجارية ، القاهرة ، د . ت.

٣١ ـ محمد بن أحمد بن عثمان ، المعروف بالذهبى ،
ـ السيرة النبوية ، تحقيق : حسام الدين القدسى ، دار
الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠١ هـ.

٣٢ ـ أبو عبدالله ، محمد بن أحمد الأنصارى الأندلسى القرطبى ،
ـ الجامع لأحكام القرآن ، دار الكاتب العربى ، بيروت ، د . ت

٣٣ ـ محمد بن اسحاق الوراق ، المعروف بابن النديم ،
ـ الفهرست ، (طبعة مصورة)

٣٤ - الامام محمد بن اسماعيل البخارى ،

- صحيح البخارى ، تقديم وتعليق وتحقيق : محمود النواوى وزملائه ، مكتبة النهضة الحديثة ، مكة المكرمة ١٣٧٦ هـ

٣٥ - أبو نصر ، محمد الفارابى ،

- كتاب فى المنطق ، الخطابة - تحقيق وتعليق : د . محمد سليم سالم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٦ هـ

٣٦ - أبو جعفر ، محمد بن جرير الطبرى ،

- تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٠ م

٣٧ - محمد بن سعد بن منيع البصرى ، المعروف بابن سعد ،

- الطبقات الكبرى ، دار صادر ، دار بيروت ، بيروت ، ١٣٧٧ هـ

٣٨ - محمد بن عبد الله ، المعروف بالخطيب التبريزى ،

- مشكاة المصابيح ، تحقيق : محمد ناصر الدين الألبانى ، المكتب الاسلامى ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ .

٣٩ - الامام محمد بن عيسى بن سورة الترمذى ،

- سنن الترمذى (الجامع الصغير) ، حققه : عبد الرحمن عثمان ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ (طبعة مصورة) .

٤٠ - الامام محمد بن محمد بن حامد الغزالى ،

— إحياء علوم الدين ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، د . ت (طبعة

٤١ - الامام ابن ماجة ، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزوينى ،

— سنن ابن ماجة ، حقق نصوصه : محمد فؤاد عبد الباقى ،

المكتبة العلمية ، د . ت (طبعة مصورة)

٤٢ - أبو الطاهر ، محمد بن يوسف بن عبد الله التميمى ،

— المسلسل فى غريب اللغة ، تحقيق : محمد عبد الجواد ،

وزارة الثقافة والارشاد القومى ، القاهرة ، د . ت.

٤٣ - محمود بن أحمد الزنجانى ،

— تهذيب الصحاح ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ، نشر

محمد سرور الصبان ، دار المعارف ، القاهرة ١٣٧١ هـ.

٤٤ - الامام أبو الحسين ، مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى

— الجامع الصحيح ، شركة الاعلانات الشرقية ، القاهرة (طبعة

مصورة) عن طبعة استنبول ١٣٢٩ هـ

٤٥ - أبو النجاء شرف الدين موسى الحجاوى المقدسى ،

— الاقناع فى فقه الامام أحمد بن حنبل ، تصحيح

وتعليق : عبد اللطيف محمد السبكى ، المكتبة التجارية ، القاهرة ،

د . ت

٤٦ - أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووى ،

ـ المنهاج فى شرح مسلم بن الحجاج ، دار احياء التراث العربى ، بيروت ، د . ت.

٤٧ - أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر ،

ـ الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ، تحقيق : على محمد البجاوى ، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها ، د . ت

٤٨ - ———— ،

ـ جامع بيان العلم وفضله ، وما ينبغى فى روايته وحمله ، راجعه وصححه : عبد الرحمن حسن محمود ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، د . ت .

ب ـ المراجــــع

١ ـ أ . ى . ونســك ،

ـ المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى ، (طبعة مصورة عــن

طبعة برايل ، ليدن ، ١٩٤٣هـ)

٢ ـ د . ابراهيم عصمت مطاوع ،

ـ أصول التربية ، دار المعارف ،القاهرة ، ط/٣ ، ١٩٨٣هـ

٣ ـ أبو الأعلى المودودى ،

ـ مبادىء الاســلام، مكتبة الشباب، دمشق، ط/٢، ١٣٧٦هـ

٤ - ــــــ :

ـ الدين القيــم ، موٴسسة الرسالة، بيروت ، ١٤٠١هـ

٥ ـ أبو الحسن على الحســنى الندوى ،

ـ التربية الاسلامية الحــرة، موٴسسة الرسالة، بيروت ، ١٣٩٧هـ

٦- ــــــ :

ـ ماذا خسـر العالم بانحطــاط المسلمين ، دار الكتاب العربــى ،

ط ، ٦ / ١٣٨٥هـ .

٧ ـ أحمد أحمد غلوش،

ـ قواعد الخطابة، وفقه الجمعة والعيدين، ١٣٩٩هـ

د . ن

٨ ـ الشيخ أحمد الاسكندرى والشيخ مصطفى عناني ،

ـ الوسيط فى الأدب العربى وتاريخه ، دار المعارف، القاهرة ،

د . ت

٩ ـ د . أحمد خليل ،

ـ قضايا معاصرة (مشكلات المجتمع الاسلامى) ، مكتبة الفلاح ،

دبى ، ١٤٠٢ هـ

١٠ ـ د . أحمد زكي بدوى ،

ـ معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ، مكتبة لبنان ، بيروت ،

١٩٧٨م

١١ ـ د . أحمد على الفنيش ،

ـ أصول التربية ، الدار العربية للكتاب ، تونس، ١٩٨٢هـ

١٢ ـ د . أحمد فؤاد الأهوانى ،

ـ التربية فى الإسلام ، أو التعليم فى رأى القابسي ، دار

احياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٥٥م.

١٣ - د . أحمد هاشـــم،

ـ من أدب النبوة، دار اقرأ ، بيروت، ط/٢ ، ١٤٠٢هـ.

١٤ - د . اسحاق فرحان ،

ـ التربية الاسلامية بيـن الأصالــة والمعاصرة، دار الفرقان

للنشر، عمان ، ١٤٠٢هـ.

١٥ - د . أشرف محمد موسى ،

ـ الخطابـة وفن الالقاء ، مكتبة الخانجـى ، القاهرة، د . ت

١٦ - ايليا حـاوى ،

ـ فـن الخطابة وتطوره عند العـرب، دار الثقافة، بيروت، د . ت

١٧ د . بشير حـاج التـوم،

ـ التربية والمجتمع، المركز العالمىللتعليم الاسلامى ، مكـة ،

١٤٠٣ هـ .

١٨ - ـــــ :

ـ تأصيل تربية المعلم، ١٤٠١هـ . د . ت.

١٩ - ـــــ :

ـ ماهى فلسفة التربية ؟ مكتبة الوطن ، مكة المكرمة، ١٤٠٣هـ

٢٠ - المعلم : بطرس البستانى ،

ـ محيط المحيـــط، مكتبة لبنان ، بيروت، ١٩٧٧م.

٢١ - د . توفيق مرعى ، د . أحمد بلقيس ،

- الميسر فى علم النفس الاجتماعى ، دار الفرقان ، عمان ، ١٤٠٣هـ

٢٢ - د . توفيق الطويل ،

- أسس الفلسفة ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، د . ت

٢٣ - جودت سعيد ،

- حتى يغيروا ما بأنفسهم ، دار الثقافة للجميع ، دمشق ،

٢٤ - جورج ف . نيلر ، ترجمة : نظمى لوقا

- مقدمة إلى فلسفة التربية ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ،

٢٥- جورجي زيدان ،

- تاريخ آداب اللغة العربية ، راجعه وعلق عليه : د . شوقي ضيف

دار الهلال ، القاهرة ، ١٩٧٧م

٢٦- د . حامد عبدالسلام زهران ،

- علم النفس الاجتماعي ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط/ ٤ ، ١٩٧٧م

٢٧ - د . حسن ابراهيم عبد العال :

- مقدمة فى فلسفة التربية الإسلامية (التربية وطبيعة الانسان) ،

عالم الكتب ، الرياض ، ١٤٠٥هـ .

٢٨ - د . حنا غالب ،

- التربية المتجددة وأركانها ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ،

ط/ ٢ ، ١٩٧٠م .

٢٩ - د . سعد أبو الرضا ،

- فى الأصالة وبناء المسلم ، مكتبة العليقى الحديثة ، بريدة ،

٢٩ - سعد بن عبدالله بن جنيدل ،

ــ أصول التربية الاسلامية مقارنة مع نظريات التربية ، دار العلوم ،

الرياض، ١٤٠١هـ

٣٠ - د. سعيد اسماعيل علي ،

ــ دراسات فى التربية الاسلامية ، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٢م

٣١ - سعيد جلال ،

ــ علم النفس الاجتماعى ، منشأة المعارف، الاسكندرية ، ط/٢ ١٩٨٤م

٣٢ - سعيد رمضان ،

ــ معالم الطريق ، دمشق ، ١٩٥٥م، ٥٠ت

٣٣ - سليمان الخطيب،

ــ أسس مفهوم الحضارة فى الاسلام ، الزهراء للاعلام ، القاهرة ،

٣٤ - السيد سابق ،

ــ عناصر القوة فى الاسلام، دار الكتاب العربى ، بيروت ، ط/٢

٣٥ - سيد قطب،

ــ خصائص التصور الاسلامى ، شركة الحلبى ، القاهرة، د.ت

٣٦- ــــــــ :

ــ دراسات اسلامية، دار الشرق ، جدة، ١٣٩٣هـ

٣٧ - سيـــد قطـــب،

في ظلال القرآن ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة،

د . ت .

٣٨ - ————— :

ـ معالم في الطريـــق ، مكتبة وهبـــة ، القاهرة ، ١٣٨٤هـ

٣٩ - د . شوقي ضيف،

ـ العصر الجاهلي ، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٠م

٤٠ - صالح عبدالعزيز،

ـ تطور النظرية التربوية ، دار المعارف، القاهرة، ط/ ٢ ،

١٩٦٤م

٤١ - صفــي الرحمن المباركفــوري ،

ـ الرحيق المختــوم ، رابطة العالم الاسلامي ، مكة المكرمة ، ١٤٠٠هـ

٤٢ - د . صلاح الدين المنجـد ،

ـ معجم ما ألف عن رسول الله ﷺ ، دار الكتاب الجديـــد ،

بيروت، ١٤٠٢ هـ .

٤٣ - د . صلاح الدين الهادى ،

الأدب في عصر النبوة والراشدين ، مكتبة دار العلوم ، القاهـــرة ، ١٣٩٨هـ .

٤٤ - د . ضياء زاهـــــر ،

ـ القيم فى العملية التربوية ، موسسة الخليج العربى ، القاهرة ، ١٩٨٤م .

٤٥ - دكتورة : عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) ،

ـ الشخصية الاسلامية "" دراسة قرآنية "" ، دار العلـــــم للملاييـــن ، بيروت ، ١٩٧٣هـ .

٤٦ - د . عباس حسنـــــى ،

ـ اتجاهات النهضة والتغيير فى العالم الاسلامـــى ، مكتبـــة السلام العالمية ، القاهرة ، د .ت .

٤٧ - عباس محمود العقاد ،

الاسلام فى القرن العشرين ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٧٩م

٤٨ - ——— :

ـ الفلسفة القرآنية ، دار الهلال ، القاهرة ، د .ت

٤٩ - د . عباس محمود عـوض،
القيادة والقيم ، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٨٥

٥٠ - د . عبدالحليم محمود ،
- الايمـــان ، سلسلة المكتبة الثقافية العدد ١٨٨ ، دار
الكاتب العربى ، القاهرة، ١٩٦٧م.

٥١ - ——— :
- التفكير الفلسفى فى الاسلام ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت
ط/٢ ، ١٩٨٢م.

٥٢ - د . عبدالحليم محمود السيد ،
- علم النفس الاجتماعى والاعلام ، "المفاهيم الأساسيـــة" ،
دار الاصلاح ، الدمام، د . ت.

٥٣ - د . عبدالحميد الصيد الزنتاني ،
- أسس التربية الاسلامية فى السنة النبوية، الدار العربيـــة
للكتاب ، تونس ، ١٩٨٤م.

٥٤ - د . عبدالحميد محمد الهاشمى،
- الرسول العـربى المربـى ، دار الثقافة للجميع، دمشـــق،
١٤٠١ هـ

٥٥ - د . عبدالحميد الهاشمي ،

- المرشد في علم النفس الاجتماعي ، دار الشروق ، جدة ،

١٤٠٤هـ

٥٦ - عبدالرحمن الباني ،

- مدخل إلى التربية في ضوء الاسلام ، المكتب الاسلامي ،

ط/٢ ، ١٤٠٣هـ

٥٧ - د . عبدالرحمن بدوي ،

- الأخلاق النظرية ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ط/٢ ، ١٩٧٦م

٥٨ - د . عبدالرحمن صالح عبدالله ،

- المنهاج الدراسي : أسسه ، وصلته بالنظرية التربوية

الاسلامية ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية ،

الرياض ، ١٤٠٥ هـ .

٥٩ - عبدالرحمن النحلاوي ،

- أصول التربية الاسلامية ووسائلها ، دار الفكر ، دمشق ،

١٣٩٩ هـ .

٦٠ ـ التربية الاسلامية والمشكلات المعاصرة، المكتب الاسلامي ، بيروت ، ١٤٠٢هـ.

٦١ ـ د . عبدالغنى عبود ،
ـ العقيدة الاسلامية والأيدويولوجيات المعاصرة، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٧٦م.

٦٢ ـ ——— :
ـ فى التربية الاسلامية، دار الفكر العربى ، القاهرة، ط/ ٢ ، ١٩٨٥م.

٦٣ ـ د . عبدالفتاح احمد فؤاد ،
ـ فى الأصول الفلسفية عند مفكرى الاسلام، منشأة المعارف، الاسكندرية، ١٩٨٣م.

٦٤ ـ عبدالفتاح عاشور،
ـ منهج القرآن فى تربية المجتمع، مكتبة الخانجى ، القاهرة، ١٣٩٩ هـ .

٦٥ ـ عبدالقادر عودة،
ـ التشريع الجنائى فى الإسلام، دار التراث ، القاهرة، د . ت

٦٦ - عبدالكريم عبدالله نيـازى ،

ـ الاسلام والانسانية ، مركز الصف الألكترونى ، بيروت ، ١٤٠٨هـ

٦٧ - د . عبدالله شحاته ،

ـ الدعوة الإسلامية والاعلام الدينى ، الهيئة المصرية العامـة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٨م

٦٨ - د . عبدالله علوان ،

ـ تربية الأولاد فى الاسلام ، دار السلام ، حلب ، ط/٣ ، ١٤٠١هـ

٦٩ - د . عبدالهادى الجوهرى وزملاءوه ،

ـ دراسات فى التنمية الاجتماعية ، (مدخل اسلامى) مكتبـة نهضة الشرق ، القاهرة ، د . ت .

٧٠ - عدنان على رضا النحـوى ،

ـ منهج المؤمن بين العـلم والتطبيق ، دار النحوى ، الرياض ، ١٤٠٧ هـ

٧١ - د . عرفات عبد العـزيز سليمان ،

ـ ديناميكية التربية فى المجتمعات (مدخل تحليلى مقـارن) ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٩م .

٧٢ - عز الدين التميمى ، بدر اسماعيل سمرين ،

ـ نظرات فى التربية الاسلامية ، دار البشير ، عمان ، ١٤٠٥هـ

٧٣ - على الشربجى ،

ـ قبسات من هدى الرسول الأعظم ﷺ دار العلم ، دمشق ، ١٣٩٨هـ.

٧٤ - د . على خليل مصطفى أبو العنيين ،

ـ أهداف التربية الاسلامية : مصادرها ، اشتقاقها ، ومعايير صياغتها للمجتمع الاسلامى المعاصر ، مكتبة ابراهيم حلبى ، المدينة المنورة ، ١٤٠٨هـ.

٧٥ - ــــــ :

ـ فلسفة التربية الإسلامية فى القرآن الكريم ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٨٠م

٧٦ - على عبد العظيم ،

ـ الدعوة والخطابة ، دار الاعتصام ، القاهرة ، ١٣٩٩هـ

٧٧ - الشيخ على محفوظ ،

ـ فن الخطابة وإعداد الخطيب ، دار الاعتصام ، القاهرة ، د.ت

٧٨ - د . عمر سليمان الأشقر،

- العقيدة في الله، مكتبة الفلاح ، الكويت ، ط/٥، ١٩٨٤م

٧٩ - د . عمر فروخ ،

- تاريخ الأدب العربى ، دار العلم للمربين ، بيروت،ط/٢ ،

١٣٨٨هـ.

٨٠ - د . فاروق الدسوقى ،

- مفاهيم حول حقيقة الإنسان ، المكتب الاسلامى ، بيـــــروت،

ط/٢، ١٤٠٦ هـ

٨١ - ـــــ :

- استخلاف الانسان فى الأرض، المكتب الاسلامى ، بيـــــروت،

ط/٢، ١٤٠٦هـ.

٨٢ - فتحية عمر رفاعى الحلوانى ،

- دراسة ناقـدة لأساليب التربية المعاصرة فى ضوء الإسـلام ،

تهامة، جدة، ١٤٠٣هـ

٨٣ - فوزية رضا أمين خياط،

- الأهداف التربوية السلوكية عند شيخ الإسلام ابن تيميـــة،

مكتبـة المنـارة، مكـــة المكرمة، ١٤٠٨هـ.

٨٤ـ فيليب هـ . فينكس، ترجمة : د . محمد لبيب النجيحي .

ـ فلسفة التربية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٥م

٨٥ـ كارلونا لينو،

ـ تاريخ الآداب العربية من الجاهلية حتى عصر بني أمية،

دار المعارف ، القاهرة ، ط/٢، ١٩٧٠م

٨٦ ـ د.كمال محمد عيسى،

ـ خصائص مدرسة النبوة، دار الشروق ، جدة ، ١٤٠٢هـ

٨٧ ـ د . لطفى بركات احمد ،

ـ القيم والتربية ، دار المريخ ، الرياض، ١٤٠٣هـ.

٨٨ ـ ———— ،

ـ فلسفة تربوية عربية، دار المريخ ، الرياض، ١٤٠٢هـ

٨٩ ـ د . لطفى بركات احمد ، ود . يوسف القاضى ،

ـ فى الفكر التربوى الاسلامى ، دار المريخ ، الرياض، ١٤٠٢هـ

٩٠ـ د . ماجد عرسان الكيلانى،

ـ الفكر التربوى عند ابن تيمية، ١٤٠٥ هـ د.ن ،

٩١ - - د . ماجد عرسان الكيلانى ،

- تطور مفهوم النظرية التربوية الاسلامية، ط/٢، ١٩٨٣م ،

د . ت.

٩٢ - ———— :

- فلسفة التربية الاسلامية (دراسة مقارنة بين فلسفة التربية الاسلامية والفلسفات التربوية المعاصرة) مكتبة المنارة، مكة المكرمة ، ١٤٠٧ هـ

٩٣ - مالك بن نبى : ترجمة :د.عبدالصبور شاهين

- ميلاد مجتمع "" شبكة العلاقات الاجتماعية "" دار الفكر ، دمشق ، ١٤٠١هـ .

٩٤ - مجمع اللغة العربية بالقاهرة، باشراف واخراج : ابراهيم مصطفى وآخرون .

- المعجم الوسيط ، القاهرة ، ١٣٨٠هـ

٩٥- د . محمد ابراهيم كاظم،

- تطورات فى قيم الطلبة - دراسة تربوية تتبعية لقيم الطلاب فى خمس سنوات، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، د ت

٩٦ - محمد أبوزهـــــرة ،

ـ الخطـابـــة : أصولها ، تاريخها فى أزهر عصورها عنـــد العرب، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ط/٢ ، ١٩٨٠م.

٩٧ - السيد محمد الحســـــنى ،

ـ المنهج الاسلامى الســليم، دار القلم، بيروت، ١٤٠٤هـ

٩٨ - د . محمد الصادق عفيفى ،

ـ الفكر الاسلامى : مبادئه ، مناهجه ، قيمه ، أخلاقياتـــه ، مكتبة الخانجـى ، القاهرة، د . ت

٩٩ - محمد الطاهر بن عاشور ،

ـ أصول النظام الاجتماعى فى الاسلام، الشركة التونســـية للتوزيع ، تونس ، ط/٢ ،د . ت

١٠٠ - د . محمد العبــد الخطراوى ،

ـ المدينة المنورة فى صدر الاسلام ، "الحياة الأدبيـــة"، مؤسسة علوم القرآن ، دمشق ، ١٤٠٤ هـ .

١٠١ - محمد الغــزالى ،

ـ مشكلات فى طريق الحياة الاسلامية ، دار الشروق ، القاهرة ، ط/٢ ، ١٤٠٣هـ

١٠٢ - د . محمد الهادى عفيفى ،

ـ فى أصول التربية -"الأصول الفلسفية للتربية" - مكتبـــة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٥

١٠٣- د . محمد أمين المصرى ،

ـ لمحات فى وسائل التربية الاسلامية وغاياتها ، دار الفكـــر ،

بيروت ، ط/٣ ، ١٣٩٤ هـ .

١٠٤ ـ د . محمد بيصـــار ،

ـ العقيدة والأخلاق وأثرها فى حياة الفرد والمجتمع ، دار

الكتاب اللبنانى ، بيروت، ط/١٩٧٣م.

١٠٥ ـ د . محمد جواد رضـــا ،

ـ فلسفة التربية ومعضلـــــة القصور الذاتـــى فى التربيـــــة

العربية المعاصرة، (الرؤية الثانية) شركة الربيعـان ، الكويت،

ط/ ٢ ، ١٩٨٤م

١٠٦ ـ د . محمد جميل خياط،

ـ النظرية التربوية فى الإسلام، "" دراسة تحليلية "" مكـــــة

المكرمة، ١٤٠٧ هـ د . ت

١٠٧ ـ د . محمد سلام مدكور،

ـ التعليم فى الإسلام : ماضيه وحاضره، المركز العالمـــــى

للتعلم الاسلامى ، مكة المكرمة ، ١٠٤٣ هـ .

١٠٨ - د . محمد سمير حسانين ،

ـ التربية أصول وأساسيات "الأصول الفلسفية والنفسية"، موسسة

سعيد للطباعة، طنطا ، ١٩٧٨م .

١٠٩ - د . محمد سيف الدين فهمى ،

ـ النظرية التربوية : وأصولها التربوية والنفسية ، مكتبة الأنجلو

المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٢م .

١١٠ - محمد صلاح الدين المجاور ، د . فتحى عبدالمقصود

ـ المنهج المدرسى : أسسه ، وتطبيقاته فى التربية ، دار القلم ،

الكويت، ط/٥، ١٤٠١ .

١١١ - د . محمد طاهر درويش،

ـ الخطابة فى صدر الإسلام ، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٥م

١١٢ - محمد عبدالغنى حسن ،

ـ الخطب والمواعظ ، دار المعارف، القاهرة، ط/٢ ، د.ت

١١٣ - د . محمد عبداللطيف الفرفور ،

ـ خصائص الفكر الإسلامى ، دار الامام الأوزاعي ، دمشق ، د.ت

١١٤ - د . محمد عبدالله دراز، ترجمة وتعليق : د . عبدالصبور شاهين .

- دستور الأخلاق فى القرآن (دراسة مقارنة للأخلاق النظرية فى القرآن) مؤسسة الرساله ، بيروت، ط/٤ ، ١٤٠٢ هـ

١١٥ - د . محمد عبده يمانى ،

- المعادله الحرجة فى حياة الأمة الإسلامية، جدة، د . ت

١١٦ - د . محمد عجاج الخطيب،

السنة قبل التدوين، دار الفكر، القاهرة، ط/٢ ١٣٩١هـ .

١١٧ - د . محمد علوى المالكى الحسنى ،

- الإنسان الكامل ، جدة ١٤٠١ هـ، د .ت

١١٨ - د . محمد فتحى عثمان ،

- حقوق الانسان بين الشريعة الاسلامية والفكر القانونى الغربى ، دار الشروق ، بيروت، ١٤٠٢ هـ .

١١٩ - محمد قطب ،

- منهج التربية الإسلامية : دار الشروق ، بيروت، ١٤٠٢هـ

١٢٠ - ——— ،

- منهج الفن الإسلامى ، دار القلم، القاهرة ، د . ت

١٢١ - محمد قطب ،

ـ واقعنا المعاصر ، مؤسسة المدينة للصحافة والنشر ،

جدة، ١٤٠٧ هـ.

١٢٢ - محمد كامل حته ،

ـ القيم الدينية والمجتمع، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٤م

(سلسلة اقرأ) .

١٢٣ - د . محمد لبيب النجيحي ،

ـ في الفكر التربوي ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ط/٢ ،

١٩٨١م.

١٢٤ - محمد بن محمد بن سليمان الفاسي المغربي ،

ـ جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد ، المكتبة

الاسلامية ، لاهور ، باكستان ، د.ت

١٢٥ - د . محمد زيدان ،

ـ معجم المصطلحات النفسية والتربوية ، دار الشروق ، جدة ،

ط/١ ، ١٣٩٩هـ.

١٢٦ - محمد بن مكرم بن منظور،

ـ لسان العرب

اعادة بناء المعجم على الحرف الاول للكلمة، وسمى " بلسان العرب المحيط".

من اعداد :

يوسف خياط ، نديم مرعشلى ، دار لسان العرب، بيروت، د.ت

١٢٧ - محمد منير الغضبان ،

ـ المنهج الحركى للسيرة النبوية ، مكتبة المنار ، الزرقاء ، ١٤٠٤هـ

١٢٨ - د. محمد منير مرسى ،

ـ فلسفة التربية ، (اتجاهاتها ومدارسها)، عالم الكتب، القاهرة، ١٤٠٢ هـ

١٢٩ - محمد ناصر الدين الألبانى ،

ـ صحيح الجامع الصغير وزياداته ، المكتب الاسلامى ، بيروت، ١٣٩٩ هـ

١٣٠- ــــــــ:

ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة، المكتب الاسلامى ، بيروت، الدار السلفيه ، الكويت.

١٣١ - د . محمود احمد موسى ،

ـ التربية ومجالات التنمية (فى الانماء التربوى) ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٤٠٥ هـ

١٣٢ - محمود شلتوت ،

ـ الاسلام عقيدة وشريعة ، دار القلم ، القاهرة ، د . ت

١٣٣ - د . محمود عبد الرزاق شفشق وزملاؤه ،

ـ التربية المعاصرة : طبيعتها وأبعادها الأساسية ، دار القلم ، الكويت ١٤٠٤ هـ .

١٣٤ - د . مختار حمزة ،

ـ أسس علم النفس الاجتماعى ، دار البيان العربى ، جدة ، ط/٢ ، ١٩٨٢ م .

١٣٥ - د . مصطفى حلمى ،

ـ الاسلام والمذاهب الفلسفية ، دار الدعوة ، الاسكندرية ، ١٤٠٥ هـ

١٣٦ - د . مصطفى فهمى ، د . محمد على القطان ،

ـ علم النفس الاجتماعى ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ، ط/٢ ، ١٩٧٧ م

١٣٧- د . مقداد يالجن ،

- الاتجاه الأخلاقي في الإسلام (دراسة مقارنة) مكتبة الخانجي ،

القاهرة، ١٣٩٢هـ.

١٣٨ - ـــــ :

- التربية الأخلاقية الاسلامية ، مكتبة الخانجي ،القاهرة ،

١٣٩٧ هـ

١٣٩ - ـــــ :

- التربية الاسلامية ودورها في مكافحة الجريمة ،الرياض، ١٤٠٨هـ

د . ن

١٤٠ - ـــــ :

- أهداف التربية الاسلامية وغايتها ، الرياض، ١٤٠٦هـ د . ن

١٤١ - ـــــ :

- جوانب التربية الاسلامية الأساسية ، بيروت، ١٤٠٦هـ د ن

١٤٢- نخبة من الأساتذة المتخصصين ، باشراف : د . ابراهيم مدكور ،

- المعجم الوسيط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ،

١٩٧٥م.

١٤٣ - د . يوسف القرضـاوى ،
ـ الايمان والحياة، الـدار السعودية للنشر، جدة، ١٣٨٩هـ

١٤٤ - ـــــ :
ـ الخصائص العامة للاسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/ ٢،
١٤٠٤هـ.

١٤٥ - د . يوسف مصطفى القاضى ، د . مقدار بالجن ،
ـ علم النفس التربوى الاسلامى ، دار المريخ ، الرياض، ١٤٠١هـ

جـ/ الدوريـــات والمجـــلات

١ - المجلة الاجتماعية القومية ، المركز القومى للبحوث ، القاهـــرة ،
العدد الأول ، المجلد الحادى عشر، ١٩٥٤م
الموضوع : العلاقة بين أسلوب المعلم ودرجة التوافق بين قيمـــه وقيم تلاميـــذه .
الكاتـب: د . فوءاد أبو حطـــب .

٢ - المجلة الاجتماعية القومية ، المركز القومى للبحوث ، القـاهـــرة ،
العدد الثانى ، المجلد الخامس ، ١٩٦٨ م.
الموضوع : التطور القيـمـى وتنمية المجتمعات الريفية .
الكاتـب : د . محمد ابراهيم كاظـــم .

٣ - الكتاب السـنوى فى التربية وعلم النفس، إصدار دار الثقافـــة ،
القاهرة ، العدد السابع، ١٩٨١م باشراف د. سعيد اسماعيـل علـــى .
الموضوع : علاقة القيم البيئية بانتاجية العمل الصناعى .
الكاتـــب : د . محمود السيد أبو النيـــل .

٤ - مجلة العلوم الاجتماعية ، إصدار جامعة الكويت.
العدد الأول ، المجلد الخامس عشر ١٩٨٧م.

الموضوع : دراسة حضارية مقارنة لقيم الشباب من طلاب الجامعة الكويتية والمصرية .

الكاتبان : حسن عيسى ، مصطفى حنتورة .

٥ - مجلة العلوم الاجتماعية ، إصدار جامعة الكويت

العدد الثانى ، المجلد السابع ، ١٩٧٩ م .

الموضوع : التحديات الاجتماعية للقيم والمشكلات الاجتماعية .

الكاتب : د . سمير نعيم أحمد .

٦ - مجلة العلوم الاجتماعية ، إصدار جامعة الكويت .

العدد الثانى ، المجلد العاشر ، ١٩٨٢ م

الموضوع : أنساق القيم الموضوعية ، وملامحها ، وظروف تشكلها وتغيرها فى مصر .

الكاتب : د . سمير نعيم أحمد .

٧ - مجلة كلية التربية ، بمكة المكرمة .

العدد الرابع ، السنه الرابعه

الموضوع : القيم وعلاقتها بالأمن النفسى .

الكاتب : د . فاروق سيد عبد السلام .

٨ - بحوث ندوة خبراء أسس التربية الاسلامية ،

المنعقدة بمكة المكرمة فى ١١ / جمادى الآخرة - ١٦ منه ١٤٠٠ هـ

إصدار جامعة الملك عبد العزيز ، جدة والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، د . ت

الموضوع : نظرية التربية للفرد والمجتمع .

الكاتب : الشيخ محمد الغزالي .

د / الرسائل الجامعية

١ - احمد يحيى المقرى ،

- تربية النفس الانسانية فى ظل القرآن الكريم، رسالة ماجستير مقدمة الى قسم الدراسات العليا الشرعية ، فرع الكتاب والسنه - جامعة أم القرى ، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م ، غير منشورة.

٢ - حامد سالم عائض الحربى ،

- مدى تطبيق المدرسة للقيم التربوية المستنبطة من سورة الحجرات، رسالة ماجستير مقدمة الى قسم التربية ، جامعة أم القرى ١٤٠٤هـ ، غير منشورة .

٣ - عبدالمعين عبدالغنى الحربى ،

- التربية فى العهدين المكي والمدنى ، رسالة ماجستير مقدمة الى قسم التربية فى كلية التربية بجامعة أم القرى، ١٤٠٤هـ،غير منشورة .

وآخر دعواهم

أن الحمد لله رب العالمين